الأسرار الزوجية

في ضوء الكتاب والسنة والواقع

جاسم المطوع

دار اقرأ للنشر والتوزيع

الأسرار الزوجية

الأسرار الزوجية

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم : (٧١)

الأسرار الزوجية

الأسرار الزوجية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مركز ... للدراسات والاستشارات
ت: ٢٤٤٦٠٢٢٠
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣٢
ترخيص رقم: ٧١

الأسرار الزوجية

في ضوء الكتاب والسنة والواقع

جاسم المطوع

الأسرار الزوجية

الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جميع الحقوق محفوظة

دار اقرأ للنشر والتوزيع

دار اقرأ الدولية

الكويت - حولي - شارع المثنى - بجوار المكتبات الاسلامية .
ص.ب ، ١٩٣٧ حولي - الرمز البريدي ، ٣٢٠٢٠ - هاتف ، ٢٦٥٥٣٤٠٠ - ٢٦٥٥٣٥٠ ٢فاكس ، ٢٦٥٥٣٥٠٠

القاهرة - مدينة نصر خلف أرض المعارض عمارات إمتداد رمسيس ٢ رقم ١٦٨ شقة ٢
ت، ٢٠٢/٢٦٢٠٥٦٣ ف، ٢٠٢/٢٦٢٠٥٦٣ محمول، ٠١٠/١٥٣٢٧٢٦ - ٠١٠/١٥٣٢٧٦٧

email: dariqraa@yahoo.com / email: dariqraa@hotmail.com / www.dar_iqraa.tk

الاخراج الفني والطباعة رواج للطباعة والإعلام والنشر . ت :٠٠٢٠١٠١١٢٠١٢٥

إهداء

إلى كل مؤسسة ترعى شؤون الأسرة والعائلة ، وتلتزم إيجاد الحلول الناجحة للمشاكل الأسرية وتجعل من هموم الأسرة وقضاياها همها الأول إلى كل جهة وهيئة - رسمية أو غير رسمية ترى أن الأسرة هي أهم لبنة من لبنات المجتمع المتماسك السليم ، وتعلم أن الأمة المتفوقة المتقدمة هي نتيجة من نتائج وجود أسر سعيدة متفاهمة متحابة .

إلى كل شخص وفرد ، جعل من إسعاد الأسرة المسلمة هدفه الأول ، ومن إصلاح الأسرة قضيته الأولى .

إلى هؤلاء كلهم ... أهدي كتابي المتواضع هذا

جاسم المطوع

شكر ودعاء

إن شكر الله عز وجل الذي لا تنقضي آلاؤه ولا نِعَمُهُ علي وجب، كيف لا وقد من علي بنعمة الإسلام، وزاد علي أن جعلني من طلاب العلم ورثة الأنبياء، وفضل علي أن جعلني ممن جندوا أنفسهم وعملهم وقلمهم ولسانهم في سبيل إصلاح وتقويم الأسر العربية والمسلمة .

ثم من بعد شكر الله أشكر من كل قلبي جامعة الجنان في لبنان، تلك الجامعة التي أخذت على نفسها إحياء العلوم الشرعية والإنسانية، وبعث نهضة علمية شاملة في مجتمعنا المسلم، فلها ولكل القائمين المشرفين عليها كل شكر .

ثم تقف الكلمات عاجزة عن تقديم الشكر والاعتراف بالجميل، للأستاذة القديرة الفاضلة، الدكتورة (منى حداد يكن) والتي كان لها فضل عظيم، ورؤية ثاقبة، ومتابعة دقيقة شاملة، لكل أجزاء هذا البحث وتفاصيله، وفرغت من وقتها الكثير لتسدي إلي بنصائحها وملاحظاتها القيمة، فجزاها الله عني وعن ملاحظاتها كل الخير

ولا أنسى من شكري كل من أعارني مرجعاً علمياً، أو أرشدني إليه، أو أضاف لي معلومة مفيدة . فلهم مني كل شكر وثناء .

اللهم أرزقني علما نافعا ، وعملا متقبلاً ،
واخلاصاً في عملي لوجهك الكريم إنك يارب سميع الدعاء .

المحتويات

المقدمة

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- تحديد مشكلة البحث وحدود الدراسة.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة.
- كلمة أخيرة في المقدمة.

تمهيد في ماهية الأسرار

صفحة ٣٢ : ٥٠

- أولا: تعريف الأسرار.
- تعريف السر لغةً.
- تعريف السر شرعاً.
- تعريف السر طبياً.
- تعريف السر فلسفياً.
- ثانيا: أنواع الأسرار.

١- أسرار الاستشارة.
٢- الحديث الخاص.
٣- أحاديث المجالس.
٤- الغيبة.
٥- أن يطلب المتحدث الكتمان.
٦- ما يطلع عليه بمقتضى المهنة.

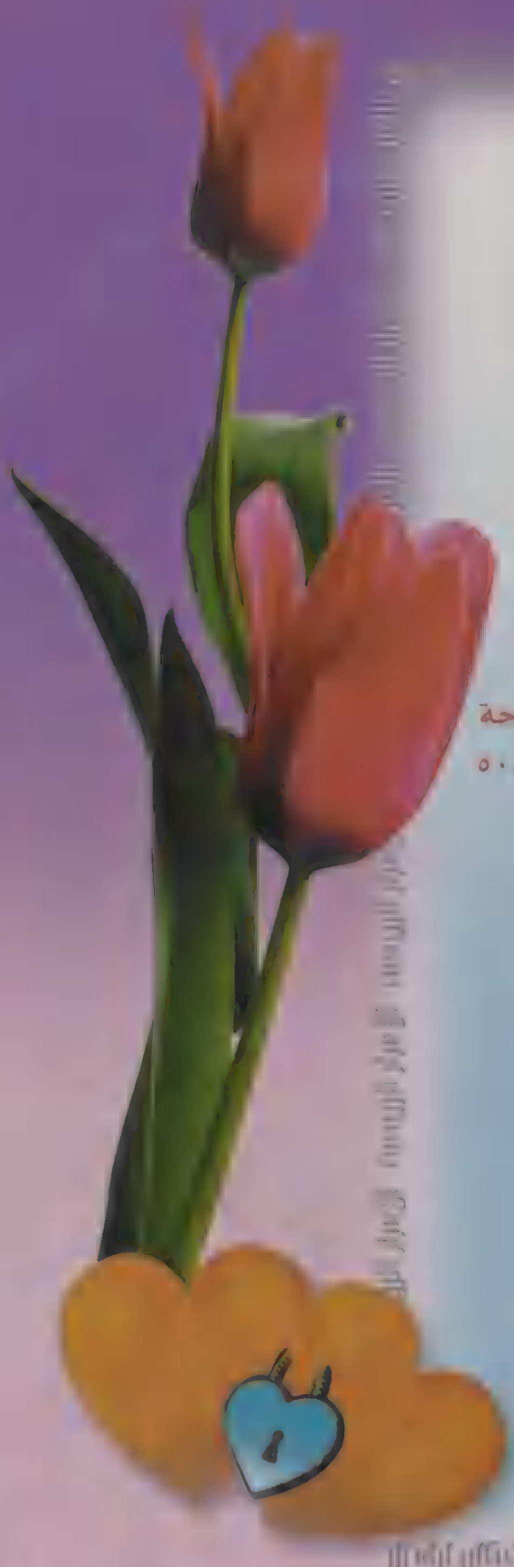

المحتويات

- ثالثاً: ألفاظ ذات صلة.
١- الكتمان.
٢- الفضح.
٣- التنصت.
٤- التجسس والتحسس.
- رابعاً: حد السر.
١- عند الفقهاء.
٢- عند الأدباء وأصل اللغة.
٢- عند أهل التفسير.
- خامساً: أهمية الأسرار في حياة الإنسان.
- سادساً: لماذا نخبر الآخرين بأسرارنا؟.
- سابعاً: تحليل نفسية مفشي الأسرار والناقل لها.
- ثامناً: اختبار في كشف الأسرار.

المحتويات

الباب الأول

الأسرار الزوجية وأنواعها

- **الفصل الأول** صفحة ٥٤: ٦٨

التعامل مع الأسرار الزوجية.

- المبحث الأول

التعامل مع الأسرار الزوجية من منطلق عقلي.

- المبحث الثاني

التعامل مع الأسرار الزوجية من منطلق العادة.

- المبحث الثالث

التعامل مع الأسرار الزوجية من منطلق إسلامي.

- المطلب الأول

الإسلام حث على حفظ الأسرار عموماً

- المطلب الثاني

الإسلام حث على حفظ الأسرار بين الزوجين.

- المطلب الثالث

الإسلام حث على مبدأ الستر.

١- النهي عن التجسس العائلي.

المحتويات

٢- الدعــوة إلى ســتر العاصي.
٣- تشجيع العاصي على تجاوز المعصية.

- المطلب الرابع

عقوبة من يفشي الأسرار العائلية.

- المطلب الخامس

حالات إفشاء السر (الزوجي وغيره).

- المطلب السادس

حكم إفشاء الأسرار الزوجية.

الفصل الثاني صفحة ٧٠-٨٥

الأســرار بــين الزوجــين.

- المبحث الأول

أسرار يخفيها الزوجان عن بعضهمـا.

- القسم الأول: الأسرار العاطفيــة.
- القسم الثاني: الأسرار المرضيــة.
- القسم الثالث: الأسرار الجنسية.
- القسم الرابع: الأســرار الماليــة بــين الزوجــين.

- المطلب الأول

هل يجب على المرأة أن تخبر زوجـها بما تملك؟

- المطلب الثاني

ما مــدى تصــرف أحــد الزوجين بمال الآخر دون علمه؟

المحتويات

- المبحث الثاني

البحث عن الأسـرار بين الزوجـين.

- المطلب الأول

أسرار يجب معرفتها بين الزوجـين.

- المطلب الثاني

أسـرار ينبغـي أن لايكـشفـها أحد الزوجين للآخر.

- المطلب الثالث

إيجابيات البوح بالأسرار الشخصية للطرف الآخر.

- المطلب الرابع

كيـف نتصـرف عـند انكشـاف الأسرار العائلية؟

الفصل الثالث صفحة ٨٨:١١١

أنـواع الأسـرار في العلاقة الزوجية.

- المبحث الأول

الأسـرار الجنسـية بين الزوجـين.

- المطلب الأول

ليلـة الزفـاف قبلـها.. وبعدهـا.

١- المفاجأة بوجود عيب جنسي.

٢- تهرب المـرأة من المعاشـرة.

٣- عـجـز الرجـل عـن إتمام العمليـة الجنسـية.

٤- اختفـاء غـشاء البكـارة.

المحتويات

- المطلب الثاني
الحديث عن المعاشرة الزوجية عموماً.
- المطلب الثالث
الحديث عن تفاصيل المعاشرة الزوجية.
- المطلب الرابع
كيف نتعامل مع الأسرار والمشاكل الجنسية؟.
- المطلب الخامس
الحديث والكشف عن تفاصيل المعاشرة الزوجية للحاجة.
- المطلب السادس
اكتشاف خيانة أحد الزوجين.
- المبحث الثاني
الأسرار المالية بين الزوجين .
- المطلب الأول
أهمية المال في الحياة الزوجية.
- المطلب الثاني
هل يخبر الزوج زوجته بثرواته؟
- المطلب الثالث
إفلاس الزوج وكثرة ديونه.
- المبحث الثالث
الأسرار الاجتماعية بين الزوجين.
- المطلب الأول
ما المراد بالأسرار الاجتماعية؟

المحتويات

- المطلب الثاني

هل الزواج السري من الأسرار الاجتماعية؟

- المبحث الرابع

الأسرار الشخصية بين الزوجين.

- المطلب الأول

ما المراد بالأسرار الشخصية؟

- المطلب الثاني

أعمال طاعات السر يكشفها أحد الزوجين.

الفصل الرابع صفحة ١١٤، ١٣١

الأبناء والأسرار حيث النشر والكتمان.

- المبحث الأول

أسرار زوجية لايصح كشفها أمام الأبناء.

١- الأسرار الجنسية.

٢- الأسرار المتعلقة بسقوط الهيبة وتشويه السمعة.

٣- الأسرار المتعلقة بنسب الولد غير الشرعي.

- المبحث الثاني

أسرار زوجية يجب كشفها أمام الأبناء.

المحتويات

- المبحث الثالث

أسرار زوجية لا مشكلة في كشفها أو كتمها للأبناء.

- المبحث الرابع

كشف السر من أجل القدوة والاقتداء.

- المبحث الخامس

إخفاء الأبناء أسرارهم عن والديهم.

- المبحث السادس

أسرار الأبناء تختلف بحسب الأعمار.

- المبحث السابع

تربية الأبناء على حفظ الأسرار أو كشفها.

- المبحث الثامن

أسرار الأبناء عندما يخفيها أحد الوالدين عن الآخر.

الفصل الخامس صفحة ١٣٤: ١٣٦

الأهل والأسرار الزوجية.

- المبحث الأول

أسرار زوجية لايصح كشفها أمام الأهل.

- المبحث الثاني

أسرار زوجية يجب كشفها للأهل.

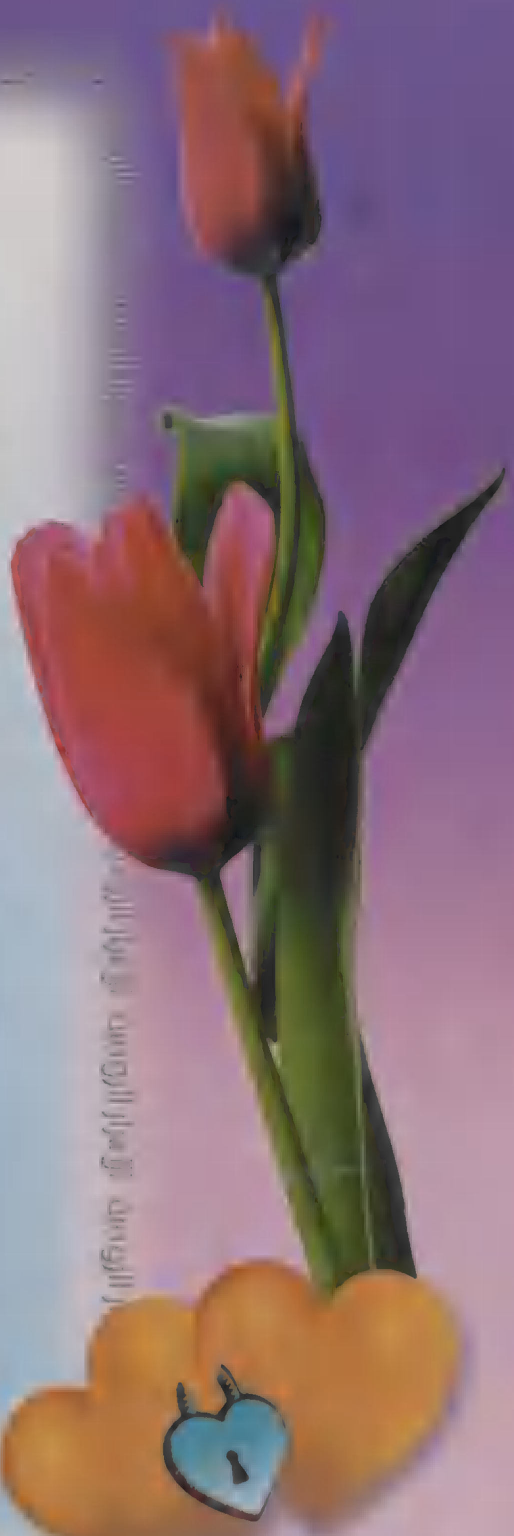

المحتويات

الباب الثاني

الأسرار العائلية في النصوص الشرعية

الفصل الأول صفحة ١٤٠: ١٤٣

الأسرار العائلية في النصوص القرآنية.

- المبحث الأول

إفشاء امرأة "نوح ولوط" أسرار زوجيهما.

- المبحث الثاني

إفشاء «خولة بنت ثعلبة» لسر زوجها.

- المبحث الثالث

إفشاء «زيد بن حارثة» لسر زوجته.

- المبحث الرابع

إفشاء «هلال بن أمية» لسر زوجته.

الفصل الثاني صفحة ١٤٦: ١٥١

الأسرار العائلية في النصوص النبوية.

- المبحث الأول

إفشاء امرأة "عبدالله بن عمر" لسر زوجها.

المحتويات

- المبحث الثاني

إفشاء امرأة «إسماعيل» لسر زوجهـــا.

- المبحث الثالث

إفشاء امرأة من الأنصار لســر زوجهـا.

- المبحث الرابع

إفشاء «عبدالله بن رواحة» لسر زوجته.

الفصل الثالث صفحة ١٥٤: ١٥٦

الأســرار العائليـــة في قوانـــين الأحوال الشخصية.

الفصل الرابع صفحة ١٥٨: ١٦٧

الأسرار الزوجيـــة في بيـــت النبوة.

- المبحث الأول

هل كان للنبـــي صلـى الله عليه وسلم أسرار مع زوجاته؟

- المبحث الثاني

هل كان النبي صلـى الله علـيه وسلم يخفي شيئا عن زوجاته؟

- المبحث الثالث

الناس ترغب بمعرفة أســرار النبي صلى اللـه عليـــه وسلـم في بيتـه.

المحتويات

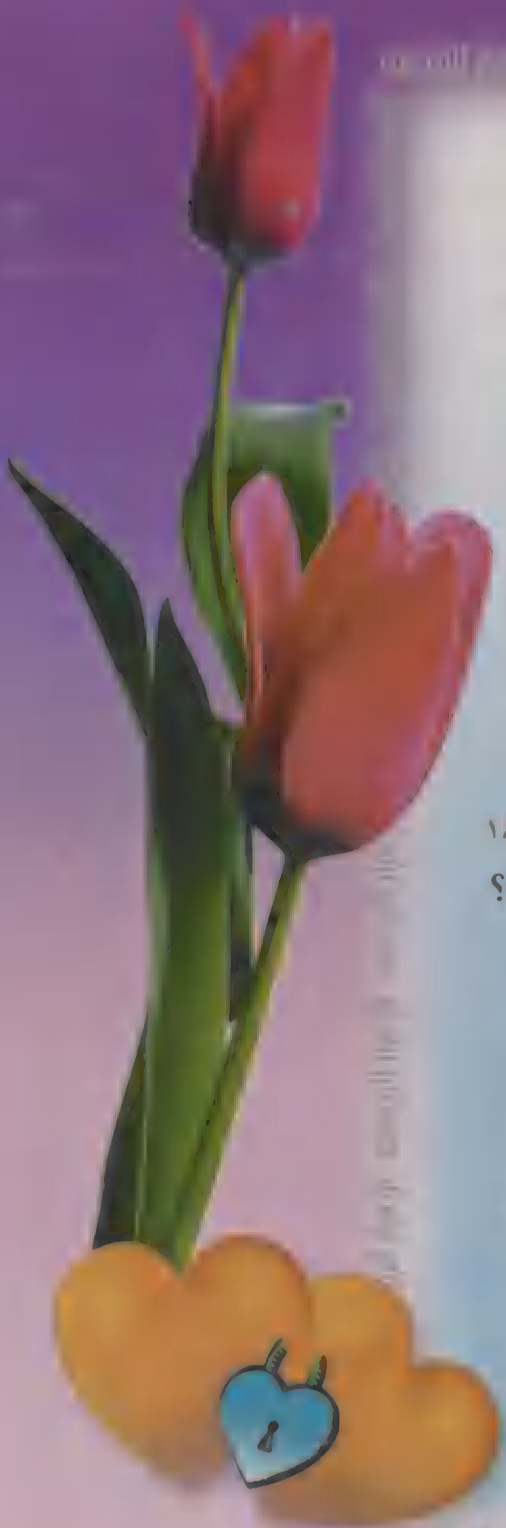

- المبحث الرابع

أسرار كشفتها زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

أ- : أسرار بيتية.

ب- : أسرار إيمانية.

ج- : أسرار عاطفية.

د- : أسرار جنسية.

هـ- : أسرار اقتصادية.

- المبحث الخامس

هل يجوز كشف الأسرار الزوجية بعد الوفاة؟

الفصل الخامس صفحة ١٧٠ : ١٨٤

لمن يكشف السر العائلي؟ ومتى؟ ولماذا؟

- المبحث الأول

أضرار كشف الأسرار العائلية.

- المبحث الثاني

متى نحتاج لكشف السر العائلي؟

- أولا : للتعلم والبحث عن الحكم الشرعي.
- ثانيا : للشكوى من الظلم وهضم الحق.
- ثالثا : للاستشارة.
- رابعا : للإصلاح.
- خامسا : للتعليم والإرشاد.

المحتويات

- المبحث الثالث

صفـــات من يكشـــف له الســـر.

أ-: للعالم وأهل الذكر.

ب-: للأهل والأقـارب.

ج-: للصديق الحكيم.

- المبحث الرابع

متى يبـــاح كشـــف الأســـرار؟

- المطلب الأول

إذا باح بالســـر صاحبـــه نفســـه.

- المطلب الثاني

إذا أذن صاحـــب الســـر بإفشـــائه.

- المطلب الثالث

وفـــاة صـــاحـــب الســـــر.

- المطلب الرابع

انقضاء المدة التي حددها صاحب السر.

- المطلب الخامس

في حالـــة دفـــع الخـــطـــر.

- المطلب السادس

في حـالـة الإفـشـــاء للشهادة.

- المطلب السابع

أن يـــؤدي الكتمـــان إلى ضـــرر

أبلغ من ضرر الإفشاء.

المحتويات

الفصل السادس صفحة ١٨٦: ١٩٩

المرأة والأسرار الزوجية.

- المبحث الأول

هل المرأة تحفظ الأسرار الزوجية؟

- المبحث الثاني

كيف عامل الإسلام المرأة بخصوص كتم الأسرار؟

- المبحث الثالث

الأزواج يبوحون بكثير من أسرارهم لزوجاتهم.

الباب الثالث

إفشاء الأسرار الزوجية في الفضائيات

تمهيد

الفصل الأول صفحة ٢٠٦: ٢٠٨

إفشاء الأسرار الزوجية في الفضائيات أشدّ سوءاً وعقوبة

المحتويات

الفصل الثاني صفحة ٢١٠

صفات من تكشف له أسرارنا على الهواء!

الفصل الثالث صفحة ٢١٢، ٢١٣

فكرة (الاسم المستعار)

الفصل الرابع صفحة ٢١٦، ٢١٧

ضوابط للحديث عن الأسرار الزوجية في الفضائيات

الفصل الخامس صفحة ٢٢٠

أهم مساوئ الفضح للأسرار الزوجية في الفضائيات

التوصيات صفحة ٢٢٣

الخاتمة صفحة ٢٢٥

الهوامش صفحة ٢٢٧، ٢٥٢

الفهارس صفحة ٢٥٣، ٢٦١

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

ما أحوج الأمة اليوم إلى من يتخصص في المجال الأسري والاجتماعي، ويقدم الأبحاث والدراسات فيه، خاصة إذا كان طابع هذه الدراسة الجمع بين الأصالة والمعاصرة في المجال الاجتماعي والأسري، فإن القلة من الفقهاء والعلماء وأهل الاختصاص في هذا الزمان من تبحر في العلوم الإنسانية، واستطاع أن يجمع بين التراث الاسلامي الغني بهذا المجال، وبين آخر الدراسات والتطورات الحديثة في العلوم الانسانية والاجتماعية.

إن المتأمل في القرآن الكريم يلاحظ أن الله تعالى أجمل ولم يفصل في أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج، وهي من أركان الاسلام، بينما عندما ذكر أحكام الأسرة والزواج والطلاق فصل في ذلك.

ثم إن المتأمل في النصف الأول من سورة الطلاق يجدها تتحدث عن أحكام الطلاق، والنصف الثاني من السورة تتحدث عن هلاك الأمم والحضارات.

المقدمة

ولعل من خلالها يدرك القارئ أهمية الحفاظ على المجتمع والأسرة وعلى قدر الإهمال فيها يكون زوال ذلك المجتمع أو تفكك هذه الأسرة. وعلى الرغم من أهمية المجال الأسري والاجتماعي، إلاّ أن الأبحاث والدراسات فيه قليلة جداً، ولهذا فإني أخذت على عاتقي أن تكون رسالة الماجستير هذه في المجال الأسري، وخصصتها في موضوع (الأسرار العائلية).

فأدعو الله - سبحانه وتعالى - أن يوفقني لما يحب ويرضى وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم .... آمين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

مارست جزءاً من حياتي مستشاراً في الشؤون الأسرية من خلال عملي في سلك القضاء، أو من خلال إدارة بعض البرامج الإعلامية، أو المجلات الصحفية في الأسرة، فلاحظت أن ظاهرة كشف الأسرار الزوجية وقلة العلم في التعامل مع الأسرار العائلية تعتبر مشكلة واضحة وبينة، وتهدد استقرار الأسر وتماسكها، وكنت أتساءل أحياناً: لماذا في المجتمات الإسلامية لا يحافظ الناس على هذه القيمة الأساسية في نجاح الأسرة واستقرارها؟!

المقدمة

وبدأت أبحث في المراجع، وأقرأ في الدوريات، وأحرص على اقتناء كل جديد في هذا المجال، ولكني لم أجد ما يشفي غليلي أو يشبع حاجاتي.

ومنذ زمن بعيد وأنا أجمع روايات في السنة النبوية في هذا المجال، ولم أجد أحداً من الباحثين قد اهتم في هذه الزاوية العظيمة من التعامل الزوجي أو التربوي، بل أحياناً كنت أعيش قضايا أسرية تنتهي إلى الطلاق بسبب عدم معرفة أحد الزوجين بفقه التعامل مع (الأسرار العائلية)، وأحياناً أعيش حالة انحراف الأبناء، والسبب الرئيسي هو عدم معرفة الوالدين فقه التعامل مع (الأسرار العائلية) بالإضافة إلى أن المقبل على الزواج أو المتزوج حديثاً ليس لديه منهج ودليل واضح يعينه على حسن التعامل مع الأسرار العائلية، وهي من أولويات الثقافة الزوجية والسعادة العائلية. فلهذا عزمت على الخوض في هذا المجال مستعيناً بالله تبارك وتعالى من بعد استشارة واستخارة.

واسأل الله التوفيق على أن أقدم شيئاً يخدم الأمة ويساهم في سعادة البيوت.

المقدمة

تحديد مشكلة البحث وحدود الدراسة:

تظهر مشكلة البحث بطرح الأسئلة التالية:

١- متى يكون السر الزوجي أو العائلي سراً؟ ومتى يمكن كشفه؟ ولمن يكشف؟

٢- ما هي أنواع الأسرار العائلية؟ وكيف نتعامل مع كل نوع؟ وما آثار كشف الأسرار؟

٣- ما هي الأسرار التي يجب على الزوجين معرفتها عن الآخر؟ والأسرار التي لاينبغي لأحد الزوجين أن يكشفها للآخر؟

٤- كيف يتعامل الزوجان مع الأسرار المالية أو الصحية أو الاجتماعية أو الجنسية؟

٥- هل الزوجان ملزمان بكشف ماضيهما لبعضهما البعض؟ وما الموقف لو سأل أحدهما الآخر عن الماضي؟

٦- ما هي الأسرار الزوجية التي يجب كشفها للأبناء والأسرار التي لا ينبغي كشفها لهم؟

٧- ما مدى تدخل الأهل أو الأصدقاء في العلاقة الزوجية وكشف الأسرار لهم؟

٨- ما أثر إخفاء أحد الوالدين أسرار الأبناء عن الآخر؟ وكيف نربي أبناءنا على حفظ الأسرار؟

٩- كيف تناول القرآن الكريم والسنة النبوية موضوع الأسرار العائلية؟

١٠- هل كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - أسرار مع زوجاته؟ وما هي الأسرار التي كشفتها زوجاته؟

١١- هل تحفظ المرأة الأسرار؟ وكيف عامل الإسلام المرأة بذلك؟

١٢- ما موقف قوانين الأحوال الشخصية من الأسرار العائلية؟

١٣- متى يكون كشف السر العائلي إيجابياً؟

منهج البحث:

سأنهج في بحثي هذا إن شاء الله تعالى:

١- الاعتماد على الكتاب والسنة وما بني عليهما كأساس للدراسة.

٢- الاستفادة من العلم الحديث في المجال الأسري، وما توصل إليه من أبحاث ودراسات.

٣- التزام التحقيق والواقعية في معالجة الظاهرة.

٤- عزو الآيات إلى موضعها في كتاب الله وكذلك تخريج الأحاديث الواردة في البحث من المصادر المعتبرة، وكذلك الأدلة الأخرى التي نستدل بها فإننا نبين مرجعها.

٥- شرح العويص والمشكل والغريب من ألفاظ ومصطلحات اللغة والفقه الإسلامي.

٦- الاستفادة من برامج الحاسب الآلي في إخراج هذه الدراسة في أحسن صورة.

المقدمة

- **الدراسات السابقة:**

حرصت كثيراً أن أبحث عن كتب ودراسات مطبوعة في ذات الموضوع "الأسرار العائلية في ضوء الكتاب والسنة" فلم أجد-مما كتبه المتقدمون أو المتأخرون - بحثاً أو كتاباً أو مرجعاً بهذا العنوان قد ناقش هذه القضية بمثل المنهج الذي تناولتها فيه. ولكني وجدت بعض الموضوعات والمقالات المتنوعة والصفحات المتناثرة هنا وهناك، فحرصت على جمعها على قلتها وأضفت من عندي الكثير، وقد نوعت في المصادر والمراجع ليخرج البحث في أكمل صورة، ولكن جهد الإنسان دائماً قاصر وغير مكتمل. وأسأل الله تعالى أن أكون قد قدمت ما يخدم الأمة ويسعد الأسرة، وأن يكون هذا البحث ورقة عمل للمؤسسات الاجتماعية والمراكز الأسرية، ولكل باحث يأتي في المستقبل وهو يفكر أن يقدم ما يخدم الأسرة العربية والإسلامية، وإني أقولها وبكل ثقة بأن البحث هذا فيه الكثير من الجديد والتجديد، وذلك من فضل الله علي وما توفيقي إلاَ بالله.

المقدمة

* كلمة أخيرة في المقدمة:

إن تعاليم الدين الحنيف وجهتنا إلى حفظ الأسرار العائلية بشكل عام والحرص عليها، ومن معايير الاختيار قبل الزواج أن يكون الزوج أميناً على زوجته، والزوجة أمينة على زوجها. ومن معاني الأمانة (حفظ الأسرار) بل مَنْ منّا يتخيل أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يسأل إحدى الزوجات عن زوجها، والزوجة تحاول أن تجيب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بطريقة ذكية. بحيث إنها تجيبه على سؤاله من غير أن تخدش حياتها الزوجية بكشف سر زوجها. وقد ذكر لنا (الإمام القرطبي) في تفسيره هذه القصة ذات الدلالة المميزة:

"وقد رُوي أن عثمان بن مظعون بايع في عشرة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعزموا أن يلبسوا المسوح، وأن يهيموا في الصحراء، ولا يأتوا البيوت، ولا يأكلوا اللحم، ولا يغشوا النساء! فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء الى دار عثمان بن مظعون فلم يجده، فقال لامرأته: ما حديث بلغني عن عثمان؟ وكرهت أن تفشي سر زوجها وأن تكذب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

المقدمة

فقالت: يارسول الله إن كان قد بلغك شيء فهو كما بلغك! فقال: قولي لعثمان: أخلاف لسنتي أم على غير ملتي؟! إني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأغشى النساء وآوي البيوت وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني، فرجع عثمان وأصحابه عن ماكانوا عليه" (١).

فالتربية الإسلامية ترشدنا إلى حفظ الأسرار وعدم استخدامها كوسيلة ضغط لتنفيذ الطرف الآخر تصرفات لايرغب بها، كما تستثمر المخابرات أسرار الناس في تحقيق أوامرها أو فضحهم أمام الملأ، فالنظرة الإسلامية ليس فيها هذا، خاصة إذا علمنا أن الأصل في الزواج أنه كاشف للأسرار بين الزوجين، لأن كل زوج يرى في الآخر ما لا يراه الآخرون، ولهذا فإن الإسلام حرم استثمار المعلومات السرية عن الزوج أو الزوجة لكسب المال أو التشهير، لأن الأسرار العائلية جزء من الإنسان وذاته، وكما أن حقوق الإنسان محفوظة في الإسلام، فلابد أن تحترم، وأن لا تنتهك حقوقه، ومن انتهاك الحقوق كشف الأسرار، بينما لا نجد ذلك في الغرب، فأحياناً نسمع عن رؤساء دول يتاجرون بكشف الأسرار العائلية، وكلنا يعرف الخبر الذي أذيع أن الرئيس الأميركي السابق "بل كلينتون" دفع له عشرة ملايين دولار ليكتب كتاباً يتميز بالصراحة التامة عن تناول خطاياه، وأنه سيعترف بما أقدم عليه من تحرشات لا أخلاقية.

وأنه سيكشف بأنه تعرض للضرب على يد زوجته وتعتقد زوجته (هيلاري) أنه سيسعى من خلال إفشاء أسراره العائلية إلى إذلالها بدرجة أكبر [٢].

إننا لا نريد أن نختزل النظرة الغربية للأسرار العائلية بهذا الحدث، فهذا ظلم لهم، لأنهم يقدرون الأسرار العائلية بشكل عام، ويحترمونها في دساتيرهم، ولكننا كذلك لا نغفل الجانب المادي الذي طغى على حياتهم، حتى حولوا هذه القيمة العظيمة وهي (حفظ الأسرار العائلية) إلى تجارة ومكاسب دنيوية، وليس من قبل أيّ شخصية عادية غير مؤثرة في المجتمعات، بل ومن رئيس أعظم دولة في زماننا، وكل ضعيف قلب يحب أن يكون مكانه.

فلنحافظ على قيمنا وتعاليم ديننا، ولنحرص على فقه التعامل مع أسرارنا العائلية، ولنخدم هذا الموضوع في أبحاث ودراسات معمقة ومتنوعة، وأسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى مايحبه ويرضاه، ويتقبل منا صالح أعمالنا والله الموفق.

الأسرار الزوجية

تمهيد في

ماهية الأسرار

أولاً: تعريف الأسرار

تعريف السر لغة

"السِرُّ بالكسر: ما يُكتم في النفس من الحديث، وجمعه: أسرار وسرائر"(٣).

"وأسرَّ إليه حديثاً: أفضى به إليه في خفية قال الله تعالى: ﴿وإذ أسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه حديثاً﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿تسرُّون إليهم بالمودة﴾(٥) أي: تطلعون على ما تسرون من مودتهم، وقد فُسِّر بأن معناه: تظهرون. قال المصنف في البصائر: وهذا صحيح، فإن الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يُفضي إليه بالسر، وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره، فإن قولك: أسرَّ إليَّ فلان، يقتضي من وجهِ الإظهار، ومن وجهِ الإخفاء"(٦).

تعريف السر شرعا

لم يختلف استخدام القرآن والسنة النبوية لمعنى السر عن المعنى اللغوي، فنجد مثلاً في كتاب (المفردات) للراغب الأصفهاني يقول في مادة (سرر): "الإسرار خلاف الإعلان قال تعالى: ﴿ سرًا وعلانية ﴾(٧) وقال تعالى: ﴿ والله يعلم ما تُسرون وما تُعلنون ﴾(٨) وقال تعالى: ﴿وأسرُّوا قولكُم أو اجهرُوا به ﴾(٩) ويستعمل في الأعيان والمعاني، والسر هو الحديث المكتم في النفس قال تعالى: ﴿ يعلم السرَّ وأخفى ﴾(١٠) وقال تعالى: ﴿ أنَّ الله يعلمُ سرَّهم ونجواهم ﴾(١١)

ثم يقول بعد ذلك بأسطر قليلة: «وأسررت إلى فلان حديثاً: أفضيت إليه في خفية قال تعالى﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ ﴾[١٢] وقوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[١٣] أي يطلعونهم على مايسرون من مودتهم، وقد فسر بأن معناه: يظهرون، وهذا صحيح، فإن الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسرّ، وإن كان يقتضي إخفاءه من غيره[١٤].

تعريف السر طبياً

السر من الناحية الطبية: "هو كتمان ما اطلع عليه الطبيب من أحوال مريضه، وتشمل هذه المعلومات الخاصة التي يحصل عليها الطبيب بصورة مباشرة أو غير مباشرة خلال عمله، وهذه من صلب مهنة الطبيب والتزاماته أن يحافظ على سرية المعلومات الخاصة لمرضاه، وأنه إلزام مهني وأدبي وقضائي للحفاظ على السرية، كجزء من التعاقد بين الطبيب ومرضاه" [١٥].

وقد جاء تعريف السرّ الطبي في ندوة "الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية" والتي أقيمت برعاية "المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية" بدولة الكويت عام ١٩٨٧م بما يلي:

"السر الطبي (Secret Medical): السر هو ما يُكتم، والإسرار خلاف الإعلان، وهو ما يفضي به شخص إلى شخص آخر، مُستكتماً إياه، ويدخل فيه كل أمر تدل القرائن على طلب كتمانه، أو كان العرف يقضي بكتمانه، كما يدخل فيه الشؤون الشخصية والعيوب التي يكره صاحبها أن يطلع عليها الناس، ومنه الأسرار الطبية الخاصة بالمرضى، التي يطلع عليها الطبيب أو غيره ممن يمارسون المهن الطبية"[١٦].

تعريف السر فلسفياً

أما من الناحية الفلسفية فيقول الأستاذ الدكتور (عزت قرني) وهو رئيس قسم الفلسفة بجامعة الكويت، وتحت فصل (ماهية الأسرار):

أولاً: علينا أن ننتبه إلى أن كل فرد هو كيان خاص، أو ذات. وكل ذات تنكشف بطريقتين أمام الآخرين، ومنهم (أي من الآخرين) الزوج والزوجة والأولاد. أما الطريقة الأولى فهي الجسم من حيث هيئته وحركاته، ولهذا دلالاته الكبيرة على ذاته. وأما الطريقة الثانية فهي الكلام والأفعال بأنواعها، ولكن الذات تستطيع رغم كل هذا أن تبقي على أشياء وأشياء، ولا تكشفها ولا تظهرها، وهذه هي الأسرار [١٧].

ثانياً: أنـواع الأسـرار

أرى من المناسب وأنا أعرض تعريف السر أن أتعرض لأنواع الأسرار حتى يزداد المعنى وضوحاً أكثر، وهي كالتالي:

١- أسرار الاستشارة

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المستشار مؤتمن" [١٨].

وقال (المناوي) في شرح الحديث: "أي أمين على ما استشير فيه، فمن أفضى إلى أخيه بسرّه، وأمّنه على نفسه فقد جعله بمحلها، فيجب عليه ألا يشير عليه إلا بما يراه صواباً، فإنه كالإمامة للرجل الذي لا يأمن على إيداع ماله إلا لثقة، والسر قد يكون في إذاعته تلفُ النفس، أولى بأن لا يجعل إلا عند موثوق به" [١٩].

٢ - الحديث الخاص

عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ''إذا حدث الرجل الحديث، ثم التفت فهي أمانة''(٢٠).

يقول المناوي في شرحه للحديث: (إذا حدث الرجل) أي الإنسان، فذكر الرجل غالبي (الحديث) وفي رواية :أخاً له بحديث، وفي أخرى: إذا حدث رجل رجلاً بحديث (ثم التفت) أي غاب عن المجلس أو التفت يميناً ويساراً، فظهر من حاله بالقرائن أن قصده ألاّ يطلع على حديثه غير الذي حدّثه به (فهي) أي الكلمة التي حدّث بها (أمانة) عند المحدث أَوْدَعهُ إياها، فإن حدّث بها غيره فقد خالف أمر الله، حيث أدىَ الأمانة إلى غير أهلها(٢١).

وقد جاء في ''عون المعبود شرح سنن أبي داود'' مايلي: «قال ابن رسلان: لأنّ التفاته إعلامٌ لمن يُحدّثه أنه يخاف أَنْ يسمع حديثه أحد، وأنه قد خصّه بسرّه. فكان الالتفات قائماً مقام: اكتم هذا عني! أي: خُذْه عني واكتمه، وهو عندك أمانة. انتهى(٢٢)

٣ - أحاديث المجالس

عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ''المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق''(٢٣)

يقول المناوي: ''المجالس بالأمانة: أي لايشيع حديث جليسه إلاّ فيما يحرم ستره من الإضرار بالمسلمين، ولا يبطن غيرما يظهر'' ثم نقل عن العسكري قوله: ''أراد المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الرجل يجلس إلى القوم، فيخوضون في حديث، وربما كان فيه مايكرهون فيأمنونه على سرّهم، فذلك الحديث كالأمانة عنده''(٢٤)

٤ - الغــيبـــة

إنه من المناسب اعتبار الغيبة باباً من أبواب كشف الأسرار، وإنّ هذا السر قد لايكون من الأنواع السابقة، أي هو نوع رابع يُسمى مثلاً: «النوع الرابع من الأسرار»، الإخبار عن شخص بشيء يكره أن يقال أو يخبر عنه. ويدل على هذا حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره" قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته. وإن لم يكن فيه فقد بهته"(٢٥)

وقد ورد اعتبار الغيبة حالة من حالات إفشاء السرَ في الموسوعة الفقهية بالنص التالي:

"وقد تتضمن الغيبة إفشاء للسر فيما إذا كان الأمر المكروه الذي يذكر به الغيرُ في غيابه من:

- الأمور الخفية.
- أو مما يطلب صاحبه كتمانه (٢٦).

٥- أن يطلب المتحدث الكتمان

أن يطلب المتحدث صراحة اعتبار الأمر أو الحديث أو المشكلة سراً لايبوح به، وهذا هو الأشهر من أنواع الأسرار، وفيه نصوص كثيرة، وقد قال في هذا (الراغب الأصفهاني):

"السر ضربان: أحدهما: ما يُلقي الإنسان من حديث يُستكتم، وذلك إما لفظاً كقولك لغيرك: اكتم ما أقول لك، وإما حالاً وهو أن يتحرى القائل حال انفراده فيما يورده أو يخفض صوته أو يخفيه

عن مجالسيه، ولهذا قيل: إذا حدثك الإنسان بحديث فالتفت فهو أمانة. والثاني: أن يكون حديثاً في نفسك، بما تستقبح إشاعته أو شيئاً تريد فعله" (٢٧)

يُلاحظ في كلام الراغب الأصفهاني الذي نُقل في أنواع الأسرار (النوع الخامس أن يطلب المتحدث الكتمان) فذكر الأنواع: الأول (أسرار الاستشارة) والثاني (الحديث الخاص) والخامس (أن يطلب المتحدث الكتمان) في نوع واحد، وعبرَ عنها بقوله: (ما يلقي الإنسان من حديث يُستكتم لفظاً أو حالاً).

ويتبين من العرض السابق أن أشكال الأسرار تنقسم إلى خمسة أنواع، وهناك نوع سادس كذلك

٦ - ما يطلع عليه (أي على السر) المختص بمقتضى المهنة.

وقد جاء في ندوة (الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية) والتي رعتها (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) عام ١٩٨٧م بدولة الكويت ما يلي ضمن توصيات الندوة:

(يتأكد وجود حفظ السرَ على مَنْ يعمل في المهن التي يعود الإفشاء فيها على أصل المهنة بالخلل، كالمهن الصحية، إذ يركن إلى هؤلاء ذوى الحاجة إلى محض النصح وتقديم العون، فيفضون إليهم بكل ما يساعد على حسن أداء المهام الحيوية، ومنها أسرار لايكشفها المرء لغيرهم حتى الأقربين إليه) (٢٨).

ثالثاً: ألفاظ ذات صلة

هناك عدة ألفاظ ذات صلة بموضوع بحث «الأسرار» مثل: الكتمان، الفضح، التجسس، التحسس، التنصت . وجدير بالذكر تناولها، طالما أن البحث مازال في ماهية الأسرار.

١- الكتمان

والكتمان: هو ستر الحديث .

"واستكتمته سري فمعناه: سألته أن يكتمه، وكاتمني سِرَّه: كتمه عني، ورجل كُتَمَةٌ: إذا كان يكتم سِرَّه" . [٢٩]

و"الكتمان": ستر الحديث، يقال: كتمته كتْماً وكتماناً قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ [٣٠] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣١] [٣٢].

٢ - الفضح

"فضح الشيء يفضحهُ فَضْحاً فافتضح، إذا انكشفت مساويه، والاسم الفضاحة، والفضوح والفضوحة والفضيحة، ورجل مفضَاح وفضَوح: يفضح الناس" .

والفضيحة: اسم من هذا لكل أمر سيء يشهر صاحبه بما يسوء[٣٣]

٣ - التنصت

"التنصت هو التسمع، يُقال: أنْصت إنصاتاً أي: استمع، ونصت له أي سكت مستمعاً، فهو أعم من التجسس، لأن التنصت يكون سراً وعلانية"[٣٤].

٤ - التجسس والتحسس

قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿ولا تَجَسَّسوا ولا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ آية/ ١٢ وقد جاء في تفسيرها عند الطبري:

"عن ابن عباس: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، لاعلى ما تعلمونه من سرائره، وعن قتادة قال: هل تدرون ما التجسس أو التحسس؟ هو أن تتبع أو تبتغي عيب أخيك لتطلع على سره[٣٥] ونقل القرطبي في تفسيره أن (أبا رجاء) و(الحسن) و(غيرهما) قرأوا: (ولاتحسسوا) بالحاء، ثم ذكر القرطبي فقال:

(واختلف هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين. فقال الأخفش: ليس تبعد أحدهما من الأخرى لأن التجسس: البحث عما يكتم عنك، والتحسس (بالحاء): طلب الأخبار والبحث عنها، وقيل: إن التجسس هو البحث، وبالحاء: ما أدركه الإنسان ببعض حواسه. وقول ثان في الفرق: إنه بالحاء تطلبه لنفسه، وبالجيم أن يكون رسولاً لغيره، قال ثعلب: والأول أعرف)[٣٦].

ومما يدل على وجود اختلاف في معنى الكلمتين حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا"[٣٧]. وذكر اللفظين في موضع واحد يدل على تغاير المعنى بينهما.

رابعاً: حـــد الســـر

حد السر عند الفقهاء وأهل اللغة والمفسرين هو الآتي:

١- عند الفقهاء

جاء في بدائع الصنائع للكاساني قوله:
(إذْ السرُّ إذا جاوز اثنين خرج من أن يكون سراً.) [٣٨].
وقد دعم مثل هذا التوجه ابن حزم في المحلَى بقوله:
(لأن كل سرَ جاوز اثنين شائع) [٣٩].

٢- عند الأدباء وأهل اللغة

جاء في (ديوان الحماسة): وقال الصَلتان العبديُ:

(وسرَك ما كان عند امرئ
وسرُّ الثلاثة غيرُ الخفي)

وجاء في شرح هذا البيت: (المعنى: لا تفش سرَك إلى غير نفسك،وإذا أفشيته إلى غيرك فلا يكون إلا إلى واحد. إذ لا يخفى سر الثلاثة) [٤٠].

وجاء في كتاب الأغاني من رأى أن السر هو فقط ما بداخلك.
وما خرج للآخرين فليس بسر.

عبيد الله بن عبدالله له شعر فحل جيد ليس بالكثير منه قوله:

إذا كان لي سرّ فحدثته العدا
وضاق به صدري فللناس أعذرُ
وسرك ما استودعته وكتمته
وليس بسرّ حين يفشو ويظهر (٤١)

٣- عند أهل التفسير

ذكر الطبري عن علماء التفسير ثلاثة أقوال عند الحديث عن قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٤٢) يقول:
(ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: وأخفى فقال بعضهم: معناه: وأخفى من السر) ثم نقل الأقوال في تفسير وتوضيح الأراء في ذلك:

أ- عبدالله بن عباس: السر: ما أسرّ الإنسان في نفسه، وأخفى ما لايعلم الإنسان مما هو كائن. وقريبٌ منه قول سعيد بن جبير وقتادة.

ب - مجاهد: أخفى: الوسوسة، وقريب منه قول عكرمة: أخفى: حديث نفسك.

جـ- ابن زيد: السرّ أسرار العباد.. وأخفى: سرّ الله فلا يعلم) (٤٣).

خامسا: أهمية الأسرار في حياة الإنسان

لكل إنسان خصوصية يجب أن يحتفظ بها ويجد نفسه من خلالها، ومهما كانت علاقة الإنسان قوية بالأخر، سواء كان الأخر صديقاً حميماً أو زوجة قريبة أو ابناً مقرباً، إلا أنه يجد منفعة في حفظ بعض الأسرار عنه، ولو كان كل سر للشخص مفضوحاً وشائعاً لما شعر صاحب السر بالأمن والاستقرار، وهذا ما لفت إليه الانتباه الدكتور (عزت قرني) رئيس قسم الفلسفة بجامعة الكويت عندما قال:

(السر هو ماتحتفظ به الذات لنفسها، ويمكن أن نتصور أسراراً تبقى مدى الحياة، بل ينبغي أن يكون لكل منا أسراره الدائمة. ولهذا فإن من الطبيعي أن لا يعلم كل من الزوجين كل شيء عن الأخر، بل ربما نقول: إن هذا أيضاً قد يكون مفيداً، لأننا لو عرفنا كل شيء عن الأخر فقد تزيد نسبة الأمور التي قد لانرضى عنها لديه) (٤٤).

كما أن هناك أهمية أخرى للأسرار في حياة الإنسان، وهو شعور حافظ السر بأهمية نفسه لديه.

كما وردت أمثال وأشعار كثيرة في أهمية الأسرار في حياة الإنسان، وأهمية الاحتفاظ بها، وعدم لوم النفس عن كشفها لمن لا يستحقها ويحافظ عليها، وقد ورد في ذلك أمثال كثيرة منها:

المثل العربي: حفظ السر من صدق الوفاء.

والحكمة العربية تقول: سرك من دمك، فانظر أين تريقه.

وقال فولتير: كشف المرء سره حماقة، وكشف سر الأخرين خيانة.

وقال الفرزدق:

لايكتم السر إلا من له شرف	والسر عند كرام الناس مكتوم
السر عندي في بيت له غلق	ضلت مفاتيحه والباب مردوم

والعرب تقول: (السر أمانة) [٤٥].

وأمثال هذه الأقوال كثيرة. وكلها تدل على أهمية السر والاحتفاظ به وضرورته في حياة الإنسان. وفي هذا الشأن يقول (الماوردي): (إعلم أن كتمان الأسرار. من أقوى أسباب النجاح وأدوم لأحوال الصلاح. روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "استعينوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود". وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره. وقال بعض الأدباء: من كتم سره كان الخيار إليه. ومن أفشاه كان الخيار عليه) [٤٦].

سادساً :لماذا نخبر الآخرين بأسرارنا؟

صاحب السر سواء كان زوجاً أو زوجة يحتاج أحياناً إلى إخبار الآخرين بسره لدوافع عديدة. فقد يكون الدافع للإخبار (الحب)، فعلى قدر الحب الموجود بين الطرفين تكون مساحة كشف الأسرار كبيرة؛ لأن الحبيب يحب أن يعرف حبيبه عنه كل شيء. وقد يكون الدافع للإخبار عن الأسرار (الاستشارة وطلب النصيحة) وخاصة إذا كان لمن يطمئن لعلمه وخبرته بالحياة. كما قد يكون الدافع للإخبار عن الأسرار (الراحة النفسية)، وقد أكد ذلك الدكتور (فيصل محمد خير الزراد) - وهو استشاري نفسي في مستشفى الطب النفسي في مدينة أبو ظبي - إذ يقول:

(وحسب مبدأ العلاج النفسي فإن على الانسان أن يعبر عن مشاعره وأفكاره المكبوتة والسرية إلى الآخرين. سواء الزوج أو الزوجة أو الآخرين ممن يوثق بهم وهذا يؤدي إلى الراحة النفسية وإلى الصحة العقلية والبدنية وغير ذلك) [٤٧].

ثم ذكر في آخر المقال عشر وصايا كان من بينها هاتان الوصيتان:

أولاً: الإفصاح عن بعض الأسرار مفيد من الناحية النفسية، ويخفف من حدة الخوف والقلق.

ثانياً: كتمان الأسرار يشكل عبئاً على الفرد ويشعره بالكبت والإحباط، وعدم القدرة على التصريح عن هذه الأسرار.

وقد جاء في كتاب (سير أعلام النبلاء) قصة طريفة أحببت إيرادها، وهي حديث دار بين الولي التقي (شقيق البلخي) وبين تلميذه (حاتم الأصم) والذي قال عنه الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء: حاتم الأصم الزاهد القدوة الرباني أبو عبدالرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة الأصم، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم كان يقال له: لقمان هذه الأمة. والحديث دار على هذا النحو:

(قال شقيق لحاتم: مذ صحبتني أي شيء تعلمت مني؟ قال: ست كلمات:

١- رأيت الناس في شك من أمر الرزق فتوكلت على الله، قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ سورة هود آية ٦.

٢- ورأيت لكل رجل صديقاً يفشي إليه سرّه ويشكو إليه، فصادقت الخير ليكون معي في الحساب، ويجوز معي الصراط.

٣- ورأيت لكل أحد له عدو، فمن اغتابني ليس بعدوّي، ومن أخذ مني شيئاً ليس بعدوّي، بل عدوّي مَنْ إذا كنت في طاعة أمرني بمعصية الله، وذلك إبليس وجنوده، فاتخذتهم عدواً وحاربتهم.

٤- ورأيت الناس كلهم لهم طالب ، وهو ملك الموت، ففرغت له نفسي.

٥- ونظرت في الخلق، فأحببت ذا وأبغضت ذا، فالذي أحببته لم يعطني، والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئاً، فقلت: من أين أُتيتُ؟! فإذا هو من الحسد، فطرحته وأحببت الكلّ، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم.

٦- ورأيت الناس كلهم لهم بيت ومأوى، ورأيت مأواي القبر، فكل شيء قدرت عليه من الخير قدمته لنفسي، لأعمر قبري.
فقال شقيق: عليك بهذه الخصال) [٤٨] والشاهد فيها قوله:
(رأيت لكل رجل صديقا يفشي إليه سرَه..) إننا نحتاجه لكي نشكو إليه ؛ فإذن مهم جداً أن يكون لدى الإنسان صديق أو حبيب يثق به، ليكشف له عن بعض أسراره.

سابعاً: تحليل نفسية مفشي الأسرار والناقل لها

الناس أنواع وأشكال، وطبيعة اختلافهم في حفظ الأسرار والمحافظة عليها تعود إلى أسباب تربوية أو نفسية، فمن يكون لديه الثقة بالنفس عالية فإننا نلاحظ حفظ السر عنده يكون متيناً وقوياً، بينما من يفشي أسراره لكل من يتعرف عليه ويتحدث معه، فلا شك أن ذلك يعود لأسباب عديدة، وقد ذكرها بالتفصيل الدكتور (فيصل محمد خير الزراد) فيقول:

(والزوجان هما المسؤولان بالدرجة الأولى عن المحافظة على أسرارهما الخاصة. وتؤكد الدراسات النفسية أن هناك بعض الشخصيات أو بعض الأفراد ذوي سمات مثل: عدم الثقة بالنفس، وضعف الإرادة، والتردد، والقلق، والخوف، وضعف الشخصية، سرعان ما يصرَحون عن أسرارهم، ويفضحون خصوصياتها بمناسبة ومن دون مناسبة. وعلى العكس فإن الشخصية الواعية، المتزنة والقوية يصعب الكشف عن أسرارها أو خصوصياتها، وهنا نجد عامل الفروق الفردية في الشخصية، وهو يعتبر من العوامل الهامة في إفشاء السر للآخرين) [٤٩]

وقد جاء في استبيان ودراسة مجلة (الدعوة) مايوضح بعض الشيء الأسباب التي تدعو إلى إفشاء الأسرار الزوجية، وأختار من النتائج ما يتعلق بتحليل النفسية:

١- ضعف وازع الحياء.
٢- مخالطة قرناء السوء.
٣- الفراغ.
٤- الجهل بالأحكام الشرعية.
٥- حبّ الاستطلاع لدى البعض.
٦- ظن البعض - وخاصة النساء- أنهنّ يكتسبن قلوب من حولهنّ عند الحديث عن هذه الأمور.
٧- اعتقاد البعض أنه مجال مفتوح للحصول على ما تود من معلومات وحقائق تخص الموضوع (٥٠).

وأرى أن أهم تلك الأسباب التي توضح نفسية الذي يفشي أسراره للآخرين هي البنود (٧،٦،٥). فكثير ممن يفشي الأسرار يطمع في أن يسمع بالمقابل أسرار الآخرين، ثم إن الغريب ما يعتقده الكثير ممن يفشي الأسرار بأن ذلك العمل يقربه ممن حوله، وكأن الواقع الاجتماعي يفرض نفسه حين يُقال: فلان أعرف الناس بفلان، وهو صديقه وصاحبه، وكل أسراره لديه! أي كأنه لايمكن أن يبني علاقة طيبة مع أحد إلا إذا علم بأخص مالديه.

مع أن أخوة الإسلام لا علاقة لها بالأسرار، ويُلاحظ أن أحب الرجال إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولكن كاتم سر الرسول- صلى الله عليه وسلم - هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فالأخوة والعلاقة الطيبة والصداقة قائمة على المحبة والمودة والنصح والرعاية والتلطف وتبادل الزيارات والمناسبات، أما حفظ الأسرار فهذه مسألة أخرى.

وإني أرى أن الذي يظن أنه بكشف أسراره للبعض يتقرب منهم فإن هذا وهم خاطئ وتصور غير صحيح، وإن كان البعض يحب أن يظهر نفسه أمام الناس بأنه حلاًل للمشاكل عندما يكشف عن الأسرار.

يقول (الماوردي):

(وفي الاسترسال بإبداء السر دلائل على ثلاث أحوال مذمومة:

إحداها: ضيق الصدر وقلة الصبر، حتى إنه لم يتسع لسر، ولم يقدر على صبر.

والثانية: الغفلة عن تحذر العقلاء والسهو عن يقظة الأذكياء. وقد قال بعض الحكماء: انفرد بسرك، ولا تودعه حازماً فيزلَ، ولا جاهلاً فيخون.

والثالثة: ما ارتكبه من الغرر واستعمله من الخطر، وقد قال بعض الحكماء: سرك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته) (٥١).

هذا بالنسبة لمن يفشي أسراره للآخرين، وأما ناقل الأسرار والباحث عنها: فيؤكد الدكتور (فيصل محمد خير الزراد) في مجلة الفرحة بأن هذا مرض نفسي فيقول:

(علاوة على أن بعض الناس لهم ميول سادية وسيكوباتية، فيتلذذون بكشف عورات الناس وأسرارهم وعيوبهم من أجل إشباع رغباتهم المنحرفة، أو من أجل التلاعب بهذه الأسرار، وبالتالي استغلال هذه الأسرار للتحكم في أصحابها، أو لتهديدهم بها، أو من أجل النيل منهم والإيقاع بهم في مشكلات لايدرون عنها شيئاً) (٥٢).

ويُلاحظ هنا أن موضوع الأسرار فيه أبعاد خطيرة تبدأ من المرض النفسي لمن يتلذذ بكشف عورات الناس، وتنتهي بمؤسسات وشركات تجارية واستخباراتية قائمة على موضوع الأسرار، فتوظفها لتحقيق مصالحها السياسية أو التجارية أو حتى العسكرية.

ثامناً: اختبار في كشف الأسرار

إذا أردنا أن نعرف أنفسنا: هل نحن حقاً نستطيع كتم الأسرار؟ هل نحن حقاً مستودع أمين لأسرار الناس؟ هل بمقدورنا أن نحفظ أسرارنا الزوجية؟ وكيف لي أن أعرف: هل أنا أحفظ أسراري وأسرار عائلتي؟ هل من طريقة لمعرفة ذلك؟

نعم هناك دراسة للتدرب على الاحتفاظ بالأسرار، وهذه الدراسة أشرف عليها العالم النفسي الأميركي الشهير (د.ولتر أوكونيل) بكلية طب جامعة (بيلور) وذلك في صورة اختبار بسيط. لكن على الشخص الالتزام بالصدق مع نفسه عند الإجابة، لمعرفة مقدرته على الحفاظ على أسرار الآخرين، وعن طريق عدد النقاط المسجلة يمكن معرفة النتيجة، أي طبيعة الشخصية:

١-إذا ائتمنك أحدهم على سر خاص يتعلق بعلاقة ما تثير الشك في هذا الشخص، وكنت أنت صديق أو صديقة للطرف الآخر المخدوع، هل (تلتزم أو تلتزمين الصمت)، برغم ما حمله هذا الشخص من عبء نفسي؟ (أ) نعم (ب) لا.

٢- هل (تفصحين لزوجك، أو تفصح لزوجتك) عن الحب الذي سيطر على مشاعرك قبل الزواج؟ (أ) نعم (ب) لا.

٣- إذا ماذكرت لك صديقة مقربة منك أنها اكتشفت أن هناك ورما في ثديها، وأنها تخشى أن تعرض نفسها على طبيب، هل تخبرين زوجها بهذه الحقيقة؟ (أ) نعم (ب) لا.

٤- إذا ما سمعت عن طريق المصادفة أن ابنة إحدى الصديقات تعاني من مشكلة عاطفية، فهل (تخبرين والدتها أو تخبر والدها)؟ (أ) نعم (ب) لا.

٥- عندما تقول لك إحدى الصديقات أو يقول لك أحد الأصدقاء،
خلال فترة صفاء وتبادل الحديث، إنها ستخبرك بسرّ أقسمت ألاّ تبوح به لأحد، لكنها على يقين من أنك لن تبوحي بهذا السر.
(أ) هل تقولين لها: أرجو أن تعفيني من معرفة السر ما دام أنه ليس من حقي معرفته؟
(ب) أم أنك تستمعين لها بشغف إلى تفاصيل هذه القضية التي هي في الواقع سر أرادت إحدى الصديقات ألاّ يتسرب لأحد؟.

٦- في حالات الزواج المتوافق لا يحتفظ أي من الزوجين بسرّ دون أن يفصح به للطرف الآخر.
(أ) هل (تعترض أو تعترضين) على ذلك؟
(ب) هل (توافق أو توافقين)؟

٧- إذا كنت أنت وزوجك (تواجهين أو يواجه) بعض المشاكل في إطار علاقتكما الزوجية، هل هناك آخرون على علم بهذه المشاكل؟
(أ) فقط هؤلاء الذين اكتشفوا هذه الخلافات بأنفسهم.
(ب) معظم الأصدقاء وأفراد الأسرة نتيجة ثرثرتك بكل مايتعلق بحياتك الشخصية!

٨- للتأثير على شخص واكتساب ثقته، يمكن إطلاعه على بعض الأسرار العائلية؟

(أ) هل تعترض على ذلك؟

(ب) هل توافق ؟

٩- بعد أن يخبرك شخص أو إحدى الصديقات بأمر غير مستحب عن شخص أو قريبة تحترمينها أو تحبينها؟

(أ) تحتفظين بهذا الأمر لنفسك؟

(ب) تحاولين البحث والتنقيب لمعرفة ما إذا كانت هذه الأنباء صحيحة أم لا؟

النتيجة: أعط لنفسك نقطة واحدة لكل إجابة وقع اختيارك فيها على حرف(أ) ولا تضع أي نقاط على الإجابة التي تحمل حرف (ب).

- إذا جاءت النتيجة من (صفر) إلى (ثلاث) نقاط.

فهذا يعني أن لديك الرغبة والمقدرة على الثرثرة، وحب الاستطلاع.

- إذا جاءت النتيجة من (٤) إلى (٦) نقاط.

فأنت قريب من القدرة على الاحتفاظ بالاسرار.

- إذا جاءت النتيجة من (٧) إلى (٩) نقاط.

فأنت شخصية كتومة نادراً ما تبوح بأسرار الغيْر) (٥٣)

الباب الأول

الأسرار الزوجية وأنواعها

الفصل الأول	التعامل مع الأسرار الزوجية
الفصل الثاني	الأسرار بين الزوجين
الفصل الثالث	أنواع الأسرار في العلاقة الزوجية
الفصل الرابع	الأبناء والأسرار حيث النشر والكتمان
الفصل الخامس	الأهل والأسرار الزوجية

الفصل الأول

التعامل مع الأسرار الزوجية

الفصل الأول

التعامل مع الأسرار الزوجية

المبحث الأول

التعامل مع الأسرار الزوجية من منطلق عقلي

إن حفظ الأسرار الزوجية من حفظ المودة والعشرة الزوجية، وهذا ما يقره المنطق العقلي، بالإضافة إلى القواعد الشرعية وعادات الناس، فالمنطق يقر حفظ الاسرار وعدم هتكها، ويَعُدُّ إفشاؤها وهتكها اعتداءً على الآخرين.

أليس في إفشاء الأسرار هتكاً للخصوصية؟

أليس فيه هتكاً للخلوة التي بين الزوجين؟

أليس فيه هتكاً للسرية التي تجمع بين الزوجين؟

ولهذا فقد ورد عن أحد الصالحين "أنه أراد أن يطلق امرأته فقيل له: ماالذي يريبك فيها؟ فقال: العاقل لايهتك ستر امرأته!

فلما طلقها قيل له: لم طلقتها؟ فقال: قد أصبحت أجنبية عني، والحديث عنها غيبة، والغيبة حرام" (٥٤).

ويلاحظ في قوله: (العاقل لايهتك ستر امرأته) وقد استخدم لفظ (العاقل) أي أن حفظ الأسرار وعدم هتكها من دواعي المنطق العقلي.

المبحث الثاني

التعامل مع الأسرار الزوجية من منطلق العادة

إن حفظ الأسرار كما أنها قضية شرعية ومنطقية. إلاّ أنها كذلك من العادات والتقاليد الاجتماعية الحسنة. بل إنها دليل على كمال المروؤة والأخلاق الحسنة. وقد ورد في التاريخ أن حفظ السر وعدم إفشائه من وصايا الأمهات لبناتهن قبل الزواج، وجاء في هذا القصة البليغة الآتية:

"بلغ الحارث بن عمرو ملك كندة جمال ابنة أم إياس، امرأة عوف بن مَحْلَم الشيباني، فأراد أن يتزوجها، وبعث من ينظر إليها، فمدحتْ الخاطبةُ الفتاةَ له مدحاً كبيرا جداً، ورغَبْته فيها فذهب ليتزوجها، فلما تزوجها وجاءت لتحمل إليه، خلَت أم إياس بابنتها ليلة زفافها وأوصتها قائلة: أي بُنَيَة، لو تركت الوصية لأحد لحسن أدب أو لكرم حسب لتركتها لك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل.

أي بنيَة إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي فيه درجت إلى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكوني له أَمَةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً.

أما **الأولى والثانية**: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما **الثالثة والرابعة**: فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمَن منك إلا أطيب ريح.

وأما **الخامسة والسادسة**: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

أما التاسعة والعاشرة، فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً، والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً[٥٥].

ويلاحظ في هذه الوصية التاريخية أن الأم أوصت ابنتها بعدم إفشاء سر الزوج وهي الوصية العاشرة، وحذرتها بقولها: (وإن أفشيت سره لم تأمني غدره) ويستفاد من هذه الوصية أن حفظ الأسرار من العادات والتقاليد العربية الأصيلة وتعد من مكارم الأخلاق. وقد أثنت الأم في البداية عن حسن أدب الفتاة، ولكن الوصية هذه تذكرة لها.

المبحث الثالث

التعامل مع الأسرار الزوجية من منطلق إسلامي

المطلب الأول

الإسلام حث على حفظ الأسرار عموماً

كما أن حفظ الأسرار وعدم كشفها لها منطلق عقلي، وعادات وتقاليد الشرفاء، فكذلك للموضوع بُعد إسلامي وشرعي، فقد أمرنا الله تعالى بالوفاء بالعهد، وحفظ السر من الوفاء بالعهد، فقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾[٥٦] كما ورد في السنة النبوية والسيرة العطرة عدة نصوص تحث على حفظ السر منها:

قول أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه: "لعلك وجدت علي حين عرضت عليَ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً قال عمر: فقلت: نعم قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت

عليّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم، ولو تركها النبي - صلى الله عليه وسلم - لقبلتها" (٥٧).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: أتى عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ماحبسك؟ قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر قالت: لا تحدثنَّ بسر رسول الله أحدا (٥٨).

وقد جاء في الأثر:

إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة (٥٩) (٦٠).

ونلاحظ هنا أن النصوص المذكورة لم تفرق بين سر عند الكبير أو الصغير، وانما السر هو سر، وينبغي المحافظة عليه، وهذا ما يدعو له الشرع الحنيف، فالإسلام حث على حفظ الأسرار عموماً.

المطلب الثاني

الإسلام حث على حفظ الأسرار بين الزوجين

فالإسلام حث على حفظ الأسرار بين الزوجين، وأكد عليها في أكثر من موقع، فقد قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (٦١) وقد ورد في فيض القدير للمناوي قوله عند شرح حديث (خير النساء من تسرك إذا أبصرت ،وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك) يقول:

"ومن فاز بهذه فقد وقع على أعظم متاع الدنيا، وعنها قال التنزيل: "قانتات حافظات للغيب" ثم يقول المناوي: "ومن حفظها لغيبته: أن لاتفشو سره، فإن سرالزوج قلما سلم من حكاية ما يقع له لزوجته، لأنها قعيدته وخليلته" (٦٢).

وقد جاء في حديث (أم زرع) عن عائشة رضي الله عنها: (جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثنا تبثيثاً ولا تُنقثُ ميرتنا تنقيثاً.. الحديث) (٦٣)

كما إنه يمكن أن تُقسَم الأسرار الزوجية إلى قسمين:

الأول: الأسرار الجنسية

إن الأسرار الجنسية تعتبر محرجة وشديدة الخصوصية. ويستحي الإنسان عادة من ذكرها، ولهذا جاء الحث على سترها بشكل أشد وأوضح وأقوى في النصوص الشرعية الإسلامية. يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:

(إن من شر الناس عندالله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها) (٦٤).

وإن كانت مسؤولية حفظ السر تقع على عاتق الزوجين معاً، إلا أنه يُلاحظ في هذا النص الإنذار موجه إلى الرجل بشكل مباشر. وقد ورد في حديث آخر إنذار موجه إلى الرجل والى المرأة أيضاً: "أقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على صف الرجال فقال لهم بعد الصلاة: هل منكم إذا أتى على أهله أرخى بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث فيقول: فعلت بأهلي كذا وفعلت بأهلي كذا؟! فسكتوا! فأقبل على النساء فقال: هل منكن منْ تحدَث؟ فقالت فتاة منهن: والله إنهم ليحدثون وإنهنَ ليحدثن! فقال: هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسُكة (٦٥) فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليهما" (٦٦).

الثاني: الأسرار غير الجنسية

أما بخصوص الأسرار الزوجية الأخرى و غيْر الجنسية، فهناك كذلك نهي عن كشفها أو فضحها، ولا ننسى في هذا المقام السر الذي لم تكتمه السيدة حفصة - رضي الله عنها - عندما أخبرها النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "فإني مُسرٌ إليك فاحفظيه. قالت: وما هو؟ قال: إني أشهدك أن سرِيتي هذه عليَ حرام رضىً لك" (٦٧).

الفصل الأول

وقد جاء في الصحيحين أن السر الذي قاله النبي عليه السلام لحفصة ولعائشة أيضاً هو أنه حرّم على نفسه العسل (٦٨) ومهما يكن فقد أنزل الله عتاباً للسيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما على ذلك، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ٣ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (٦٩).

كما قد ذكر الله لنا- عظةً لنا وتنبيهاً- امرأة لوط وامرأة نوح- عليهما السلام -. فهاتان الزوجتان كانتا تكشفان الأسرار لأعداء هذين النبيين. يقول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (٧٠).

وقد جاء في جامع البيان للطبري:

"حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه عن ابن عباس: قوله (فخانتاهما) قال: كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما (أي غير دين نوح ولوط) فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها، وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطاً أحد (أي طلب الضيافة من لوط) أخبرت به أهل المدينة من يعمل السوء، فلم يغنيا عنهما من الله شيئ (٧١).

وهناك قصص وحوادث أخرى ستتبين في الفصول الآتية إن شاء الله. وقد جاء في الموسوعة الفقهية حكم حفظ الأسرار الزوجية وأنه (واجب)، وهذا يدل على عظم وأهمية هذا الموضوع، فقد ورد النص التالي:

(ويدخل في هذا الباب (باب ستر الأسرار) حفظ الأسرار الزوجية، حيث يجب على كل واحد من الزوجين أن يستر سر الآخر، سواء كان ذلك تفاصيل ما يقع حال الجماع، وقبله من مقدمات، أو غير ذلك من الأسرار البيتية) (٧٢).

المطلب الثالث
الإسلام حث على مبدأ الستر

أولاً: النهي عن التجسس العائلي

«التجسس لغةً: تتبع الأخبار يقال: جسَّ الأخبار وتجسسها: إذا تتبعها، ومنه الجاسوس، لأنه يتتبع الأخبار ويفحص عن بواطن الأمور، ثم استعير لنظر العين. والمعنى الاصطلاحي لايخرج عن المعنى اللغوي» (٧٣).

والأصل أن التجسس منهيٌ عنه في الإسلام، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا اجْتنبُوا كثيرًا مِّن الظَّنِّ إنَّ بعْض الظَّنِّ إثْمٌ ولا تجسَّسُوا ولا يغْتب بَّعْضُكُم بعْضًا﴾ (٧٤).

وورد في السنة النبوية قوله - عليه الصلاة والسلام - في حديث أبي هريرة: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً" (٧٥).

فإذا كان التجسس بحكمه العام منهياً عنه في الإسلام، فمن الأولى أن يكون التجسس العائلي منهياً عنه سواء كان بين الزوجين، أو بين الأبناء، أو بين الوالدين وأبنائهم. إلا أن الموسوعة الفقهية ذكرت كلاماً جميلاً في حكم التجسس يُنقل بنصه للفائدة:

(التجسس تعتريه أحكام ثلاثة: الحرمة والوجوب والإباحة).

فالتجسس على المسلمين في الأصل حرام منهي عنه لقوله تعالى: ﴿ ولاَ تجَسَّسُوا﴾ سورة الحجرات آية/١٢ - لأن فيه تتبع عورات المسلمين ومعايبهم، والاستشكاف عما ستروه، وقد قال عليه السلام: "يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته" (٧٦).

قال ابن وهب: والستر واجب إلاّ عن الإمام والولي وأحد الشهود الأربعة في الزنى. وقد يكون التجسس واجباً. فقد نقل عن ابن الماجشون أنه قال: اللصوص وقطاع الطريق أرى أن يطلبوا في مظانهم ويعان عليهم حتى يقتلوا أو ينفوا من الأرض بالهرب. وطلبهم لا يكون إلاّ بالتجسس عليهم وتتبع أخبارهم.

ويباح في الحرب بين المسلمين وغيرهم بعث الجواسيس لتعرف أخبار جيش الكفار من عدد وعتاد، وأين يقيمون وما إلى ذلك.

وكذلك يباح التجسس إذا رفع إلى الحكام أن في بيت فلان خمراً، فإن شهد على ذلك شهود كشف عن حال صاحب البيت، فإن كان مشهوراً بما شهد عليه أخذ، وإن كان مستوراً فلا يكشف عنه" (٧٧).

ولهذا فإن الحكم الشرعي يدور بين الحرمة والإباحة والوجوب، ونلاحظ أن التجسس نُهيَ عنه، لأن فيه تعدياً على خصوصية الإنسان.

ثانياً: الدعوة إلى ستر العاصي

وضعت لنا الشريعة الإسلامية أسساً وقواعد في التعامل مع المعصية والعاصي، وأول هذه الأسس الستر وعدم الفضح، حتى لا تنتشر المعصية في المجتمع فتتفكك بالأسرة وتماسكها، ويؤكد ذلك ماذكره الحافظ ابن حجر في الفتح قال:

(وقع في مراسيل سعيد بن المسيب عند مالك والنسائي "أن رجلاً من أسلم (قبيلة عربية) قال لأبي بكر الصديق: إن الآخر زنى! قال: فتب إلى الله واستتر بستر الله، ثم أتى عمر كذلك، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعرض عنه ثلاث مرات ....."

ويؤخذ من قضيته أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه، ولا يذكر ذلك لأحد، كما أشار إليه أبو بكر وعمر على ماعز، وأن من اطلع على ذلك يستر عليه بما ذكرنا، ولا يفضحه ولا يرفعه إلى الإمام، كما قال - عليه الصلاة والسلام - في هذه القصة: "لو سترته بثوبك لكان خيراً لك" وبهذا جزم الشافعي - رضي الله عنه - فقال: (أحب لمن أصاب ذنباً فستره الله عليه أن يستره على نفسه ويتوب. واحتجّ بقصة ماعز مع أبي بكر وعمر)(٧٨).

وقال ابن القيم في التعقيب على شرح حديث "كل أمتي معافى إلا المجاهرون":

(كان المجاهرون خارجين من عافية الله، وهم المتحدثون بما فعلوه من المعاصي، فإن السامع تتحرك نفسه إلى التشبه، وفي ذلك من الفساد المنتشر مالا يعلمه إلا الله) (٧٩).

وقال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري:

(وفي المجاهرة بالمعاصي استخفاف بحق الله وحق رسوله، وضرب من العناد لهما) [٨٠].

فقد تبين مما سبق تأكيد قواعد الشريعة الإسلامية على ستر المعصية والعاصي، سواء كانت المعصية عائلية أو غيرها، حتى لايكون نشرها فيه استخفاف بحق الله ورسوله، وحتى لايساهم المتحدث في إشاعة الفاحشة في المجتمع، وحتى لا تتحرك نفس السامع بحب التشبه بالمعصية.

ثالثاً: تشجيع العاصي على تجاوز المعصية

من مبادئ الإسلام الرئيسية فيما يتعلق بالستر والكتمان أن يتجاوز العاصي معصيته، ويستر نفسه بستر الله له، ومن بابٍ أولى لو كانت هذه المعصية عائلية أن يسترها ويتجاوز عنها، وإلاّ كانت فضيحتين **الأولى**: بذات العاصي **والثانية**: لعائلته. وقد جاء في الموسوعة الفقهية ما يلي:

(يندب للمسلم إذا وقعت منه هفوة أو زلَة أن يستر على نفسه ويتوب بينه وبين الله - عز وجل - وأن لا يرفع أمره إلى السلطان، ولا يكشفه لأحد كائناً من كان؛ لأن هذا من إشاعة الفاحشة التي توعد على فاعلها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [٨١] ولأنه هتك لستر الله سبحانه وتعالى، ومجاهرة بالمعصية) [٨٢].

وفي هذا الشأن وردت هذه الحادثة عن النبي صلى الله عليه وسلم:

(روى مالك في موطئه عن زيد بن أَسْلَم: أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا له رسول الله بسوط، فأُتي بسوط مكسور، فقال: فوق هذا فأُتي بسوطٍ جديد لم تقطع ثمرته، فقال: دون هذا، فأُتي بسوط قد رُكب به ولان، فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجُلد، ثم قال: أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئاً، فليستتر بستر الله، فإنه من يُبدي لنا صفحته نقيم عليه كتاب الله) [٨٣].

ونص آخر كذلك في ذات السياق، فقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإنّ من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره ربه، فيقول: يافلان! قد عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه، فيبيت يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه"(٨٤) وقد قال ابن بطال في شرحه لهذا الحديث:

(وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة﴾ (٨٥) قال: أما الظاهرة بالإسلام وما حسن من خلقك وأفضل عليك من الرزق، وأما الباطنة فما ستر عليك من الذنوب والعيوب) ثم قال ابن بطال: (وفي ستر المؤمن على نفسه منافع:

منها: أنه إذا اختفى بالذنب عن العباد لم يستخفوا به ولا استذلوه، لأن المعاصي تذل أهلها.

ومنها: أنه إن كان ذنباً يوجب الحد سقطت عنه المطالبة في الدنيا.

وفي المجاهرة بالمعاصي استخفاف بحق الله وحق رسوله، وضرب من العناد لهما، فلذلك قال عليه السلام: (كل أمتي معافى إلاّ المجاهرون)(٨٦).

وهذا معنى في الستر مهم ومفيد. ولهذا أكد ذلك الشيخ (محمد الغزالي) - رحمه الله - في تعليقه على هذا الحديث: (فإنه إذا فضح نفسه بتبجحٍ وحدّث الناس بما ارتكب، فإنه يسجل على نفسه المآسي، والناس لا تعين على توبة، الناس إذا عرفت إنساناً بمعصية ربما إذا أراد التوبة قالت له: (ألم تكن تفعل كذا؟!) اجعل ما بينك وبين الله معاملة تستغفره فيها من خطئك) (٨٧).

ومن هذا المنطلق جاءت توصية أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : فعن مريم بنت طارق: أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها:

يا أم المؤمنين: إن كَرِياً (٨٨) أخذ بساقي وأنا مُحرمة!

فقالت السيدة عائشة : حجراً حجراً [٨٩] وأعرضت بوجهها، وقالت بكفها (أي أهوت بكفها) وقالت: يانساء المؤمنين إذا أذنبت إحداكن ذنباً فلا تخبرن به الناس، ولتستغفرن الله ولتتب إليه، فإن العباد يُعيّرون ولا يُغيّرون، والله تعالى يُغيّرُ ولا يعيّر) [٩٠].

ومن هذه النصوص ما يماثلها كثير، وكلها تدعو المسلم إلى ستر معصيته والتجاوز عنها، سواء كانت المعصية زوجية أو تربوية أو عائلية، وسواء كانت المعصية فردية أو جماعية .

بل أمر الإسلام المسلم بأكثر من ذلك، كأن يكذب الإنسان في سبيل ألا يعرف أحد بسره الذي فيه شيء من المعاصي، جاء في حاشية ابن عابدين:

واعلم أن الكذب قد يباح وقد يجب، والضابط فيه أن كان مقصوداً محموداً يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب وحده فمباح إن أبيح تحصيل ذلك المقصود وواجب تحصيله .

ثم قال بعد ذلك: ولو سأله سلطان عن فاحشة وقعت منه سراً كزنا أو شرب فله أن يقول: مافعلته! لأن إظهارها فاحشة أخرى [٩١].

المطلبُ الرابع

عقوبة من يفشي الأسرار العائلية

الأصل في السر أن يحفظ ممن يعلم به، ولكن لو باح بالسر من يحفظه من غير إذن صاحب السر، فهل عليه شيء؟!

لقد ناقشت القوانين الوضعية ذلك، وفرضت عقوبة على من يكشف السر، وننقل في هذا الشأن ماذكره الدكتور (منذر الفضل) عن القانون السويدي: يطلق على الالتزام بمنع كشف الأسرار للطرفين تسمية TYSTNADPLIKT وهو الالتزام المعروف في القوانين الوضعية، المدنية والعقابية، في الالتزام بسر المهنة، أو الالتزام بالحفاظ على الأسرار التي يتعرف عليها الشخص بسبب علاقة الزوجية مثلاً، بل إن هذا الالتزام تنص عليه الكثير من قوانين العمل والخدمة المدنية والقوانين

العسكرية، وكذلك قوانين الأحوال الشخصية. ويترتب على من يبوح بها التزامات مالية وعقوبات تتراوح شدتها حسب نوع السر الذي تم كشفه، وحسب العقوبات الواردة في القوانين، إلا أنه في قانون العقوبات السويدي تنحصر العقوبة بين العقوبة المالية (الغرامة) أو الحبس [٩٢].

على أن الذي ذكره الدكتور (منذر الفضل) في معرض حديثه عن القانون السويدي لم أجد له ما يماثله مما نصت عليه نصوص الشريعة، من الكتاب أو السنة، أو مما نص عليه فقهاء الأمة، فلم تذكر النصوص عقوبات دنيوية، وإنما ركزت على العقوبات الأخروية - في الحياة الآخرة - مثل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها" [٩٣].

ويكفي كاشف السر الزوجي عقوبة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وصفه بأنه من (شر الناس)، كما أنه ليس بشر الناس خلقاً فقط، بل ومنزلةً يوم القيامة، هذا بخلاف عقوبة الله له يوم القيامة، وقد بين الله تعالى أن العقوبة هي في دخول النار عندما قال: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [٩٤] فقد بين الله تعالى أن عقوبة كاشف السر الدخول إلى النار، وسأذكر- إن شاء الله - في الباب الثاني عند الحديث عن الأسرار العائلية في النصوص الشرعية تفاصيل كشف زوجتي لوط ونوح لأسرار منزلهما، والتي قادتهما إلى النار، وقد أكد ذلك رسولنا الكريم بحديث يرويه جابر بن عبدالله رضي الله عنه إذ يقول: (بينما نحن مع رسول الله في صفوفنا في الصلاة، صلاة الظهر أو العصر، فإذا رسول الله يتناول شيئاً، ثم تأخر فتأخر الناس، فلما قضى الصلاة

قال له أبي بن كعب: شيئاً صنعْتهُ في الصلاة لم تكن تصنعه؟ قال عليه الصلاة والسلام: عُرضت عليَ الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة. فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه. ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والارض لاينقصونه شيئاً. ثم عرضت عليَ النار. فلما وجدت سفْعها [٩٥] تأخرت عنها. وأكثر ما رأيت فيها النساء اللاتي إن ائتمن أفْشيْن ، وإن يُسألن يبخلْن، وإنْ يسألُن ألْحفْن.. إلخ الحديث) [٩٦].

وإذا كانت النصوص الشرعية قد أشارت إلى عقوبة إفشاء السر في الأخرة. وإذا كانت لم تشر إلى عقوبة دنيوية محددة. فإنني - ومن منطلق روح التشريع الإسلامي - أطرح أمام السادة العلماء وكذلك المشرَعين من أهل قانون ودستور.. (عقوبة التعزير) وهي عقوبة غير مقدَرة. يُقدرها الحاكم بحسب حجم المشكلة والأزمة.. لردع كثير من الأزواج والزوجات الذين لديهم عادة سيئة بتكرار إفشاء أسرارهم الزوجية. والتي تعود بالضرر على الزوجين.

سواء أكانت اجتماعياً أو دينياً أو مالياً.

وقد عرَف الفقهاء التعزير بأنه تأديب على ذنب لاحدَ فيه ولا كفارة [٩٧].

ويقول ابن عابدين في حاشيته المشهورة:

(وأنَ الضابط أنَ كلَ معصية لاحدَ فيها. فللزوج والوليَ التعزير) [٩٨].

المطلب الخامس

حالات إفشاء السر (الزوجي وغيره)

عندما نتحدث عن إفشاء السر يتبادر إلى الذهن مباشرة إفشاء السر عن طريق الكلام والحوار. ولكن لمعنى إفشاء السر وحالاته أشكال متنوعة. فقد يكون الإفشاء بالكلام أو بالإشارة أو بالكتابة أو بأي وسيلة يستخدمها كاشف السر ليخبر الآخرين بما عنده من أسرار. وقد أكدَ على ذلك (ابن عابدين) في حاشيته المشهورة فقال:

(لو حلف: لايفشي سرَ فلان أو لا يظهره أولا يُعلم به. يحنث بالكتابة وبالإشارة) [٩٩].

ولابن عابدين في موضع آخر من حاشيته المذكورة توضيح أكثر: (والذي في المنح عن (إيمان البزازية): إذا حلف لايُظهر سرَ فلان، أو لا يُفشي، أو لا يُعلمُ فلاناً بسرَ فلان، أو حلف ليكتمنَّ سرَه، أو ليخفينّه، أو ليسترنه، أو حلف لا يدل على فلان، فأخبر به بالكتابة أو برسالة أو كلام، أو سأله أحد: أكان سر فلان كذا، أو: أكان فلان بمكان كذا، فأشار برأسه نعم، حنث في جميع هذه الوجوه [١٠٠].

وقد جاء في بدائع الصنائع (لعلاء الدين الكاساني) مثل هذه الأمثلة بتمامها، إلاَ أنه زاد في توضيح سبب الحنث بقوله: (فهو حانث لوجود شرط الحنث وهو إظهار السر، إذ الإظهار إثبات الظهور، وذلك لايقف على العبارة، بل يحصل بالدلالة والإشارة) [١٠١].

وقد جاء في البحر الرائق:

(ولو قال: لا أظهر سرك ولا أفشي أبداً، فإن صرح إلى رجل واحد وذكره فقد أفشى سره، وكذلك يحنث بالكتابة والرسالة إلى إنسان) [١٠٢].

المطلب السادس

حكم إفشاء الأسرار الزوجية

قد ناقش الفقهاء حكم إفشاء الأسرار الزوجية، ولعل فقهاء الحنابلة كانوا أكثر الفقهاء أو أوضح الفقهاء في توضيح حكم إفشاء الأسرار الزوجية.

جاء في كتاب الفروع لأبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي:

(حرَم في أسباب الهداية [١٠٣] إفشاء السرَ، وحرَم في الرعاية [١٠٤] إفشاء السر المُضرَ) [١٠٥].

ويلاحظ أن مؤلف (الرعاية) قد ضبط التحريم لإفشاء السر بالسر المضر، وهذا ضابط مهم لدى توضيح

وتقسيم إفشاء الأسرار، وإن كان الإفشاء يلحق به ضرر معتبر شرعاً وعقلاً واجتماعياً أم لا. ومن المفيد أن نذكر أن مؤلف كتاب (الفروع) أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي ذكر لنا فائدة مهمة أخرى:

(يحرم إفشاء السرّ ولو رضيا) (١٠٦).

وقد يبدو هذا الحكم شديداً. فهناك كثير من الأسرار التي يبيح الزوجان لبعضهما إفشاءها وليس فيها محظور شرعي. لكنَّ استغرابنا سيزول لو علمنا أن صاحب (الفروع) ذكر هذا الحكم (تحريم الإفشاء ولو بتراضي الزوجين) ذكره بعد أن أورد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وأرخى عليه ستره واستتر بستر الله ثم يقول: فعلت كذا فعلت كذا... إلخ الحديث" (١٠٧).

وهذا يدل على أن مقصود الشيخ هو الحديث المتعلق بالأمور الجنسية الخاصة بين الزوجين. فلا يجوز الحديث والخوض فيها ولو تراضى الزوجان. إلاّ في حالات محددة ومعينة سأتناولها في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

ومما يذكر أن ابن حجر الهيثمي في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر) عدَّ إفشاء الأسرار الزوجية مما يجري في الجماع ومقدماته من الكبائر!

يقول: (تنبيه عَدُّ هذين كبيرتين - يقصد الحديث عن المعاشرة الزوجية بتفاصيلها، وكذلك المفاخرة بكثرة الجماع بعد إيراده حديث (الشياع حرام) - لم أرَهُ، لكنه صريح ما في هذه الأحاديث الصحيحة وهو ظاهر، لما فيه من إيذاء المحكي عنه وغيبته، وهتك ما أجمعت العقلاء على تأكد ستره وقبح نشره) (١٠٨).

وقد بحثتُ كثيراً في هذه المسألة، ولكن أكثر الفقهاء والعلماء يركزون على إشاعة السر الجنسي، ولم يتناولوا السر الصحي أو التربوي أو النفسي أو المالي بشيء من التفصيل.

الفصل الثاني

الأسرار بين الزوجين

الفصل الثاني

الأسرار بين الزوجين

المبحث الأول

أسرار يخفيها الزوجان عن بعضهما

إن الأصل في التعامل الزوجي أن يقوم على الشفافية بين الزوجين والوضوح التام، وكلما كانت العلاقة بينهما فيها شفافية أكثر، كلما ازدادت الثقة والمحبة، ولكن المصلحة تقتضي أحياناً إخفاء سر معين بينهما ولا يكون ذلك من باب الخداع أو الخيانة، وإنما لعل أحد الزوجين لا تؤهله تربيته وثقافته للفهم الصحيح والتعامل الحسن مع سر من الأسرار لو انكشف. وأحياناً تقتضي المصلحة إخفاء سر معين لوقت محدد، ثم كشف هذا السر للطرف الأخر بعد حين، كما لا ننسى أن بعض الأزواج قد تكون عنده الغيرة بشكلها المرضي أو أن نسبة الجهل عنده مرتفعة، أو قد يكون من النوع المسيطر، أو ضعيف الثقة بنفسه، فهنا يكون إخفاء السر في حقه أفضل من كشفه، لأنه يسيئ للعلاقة الزوجية، وربما يفككها بسبب أمر تافه وبسيط. ولهذا فإنني أود أن أدخل في التفاصيل وضرب الأمثلة من خلال الأقسام التالية:

القسم الأول

الأسرار العاطفية

قد يكون لأحد الزوجين علاقة عاطفية، أو شعور معين، أو انجذاب وحب لشخص ما قبل الزواج، بل ومن المحتمل أن يحدث هذا بعد الزواج. وفي أيامنا هذه فإننا نجد أغلب - وليس كل - الشباب والشابات قبل الزواج لديهم علاقة عاطفية مع شخص ما قبل زواجهم، إلا من تربى في بيئة محافظة داخلية، فهل من المصلحة أن يكشف أحد الزوجين للآخر ما حدث له من مشاعر عاطفية قبل الزواج؟
إنني أرى أن هذا من أهم الأسرار التي يجب إخفاؤها وعدم إفشائها للطرف

الآخر. وأذكر بهذه المناسبة أحد الأصدقاء الذي ذكر لي حادثة حصلت بينه وبين زوجته في جلسة شاعرية. إذْ سألته عن أيام دراسته في الخارج عندما كان شاباً: هل أعجب بفتاة أجنبية؟

فتردد بالإجابة. ولكن بعد إلحاحها المتكرر أخبرها بأنه كان معجباً بطالبة معه في الجامعة تلبس القميص الأحمر وتعلق عليه وردة بيضاء. فغضبت زوجته من هذا الخبر وانزعجت. حتى أخبرني زوجها بأنه بعد مضي سنة من كشف هذا السر العاطفي وهي كل يوم تسأله: منْ أجمل أنا أم صاحبة القميص الأحمر؟ يقول: حتى أنها تكدّت علي عيشتي. وليتني لم أخبرها بتلك العلاقة العاطفية في الماضي.

وفي هذا الشأن تذكر لنا مجلة الفرحة الأسرية هذه الفائدة: (من الأخطاء التي يقع فيها الزوجان في التعامل مع أسرارهما إبلاغ الطرف الآخر بعلاقات ربما تكون بريئة قبل الزواج. وهو ما يثير الغيرة في نفسه. وقد تدفعه إلى الشك) (١٠٩).

وفعلاً هذا ما حصل مع صاحب قصة القميص الأحمر. بل إنه مما يذكر في التاريخ وفي الأدب أن رجلاً من شدة غيرته على زوجته طلقها بعدما كشفت عن تميز زوجها الأول المتوفى. والقصة طريفة جداً " فعن أسماء بنت عبدالله العُذرية. واسم زوجها (عروس). ومات عنها. فتزوجها رجل أعسرْ أبخرْ دميم. فلما أراد أن يظْعن بها قالت: لو أذنت لي رثيت ابن عمي؟! فقال: افعلي! فقالت: أبكيك ياعروس الأعراس. ياثعلباً في أهله وأسداً عند الباس. مع أشياء ليس يعلمها الناس.

فقال: وما تلك الأشياء؟ فقالت: كان عن الهمة غير نعَاس. ويُعملُ السيف صبيحات أبْناس.

ثم قالت: ياعروس الأغرُ الأزهر. الطيب الخيم الكريم المحضر. مع أشياء لا تذكر.

فقال: وما تلك الأشياء؟ قالت. كان: عيوفاً للخنى والمنكر. طيب النكهة غير أبْخر (١١٠) أيسر غير أعسر (١١١) فعرف الزوج أنها تُعرّضُ به. فلما رحل بها قال: ضُمّي إليك عطرك. وقد نظر إلى قشوة عطرها مطروحة. فقالت: لاعطر بعد عروس. فذهبت مثلاً (١١٢).

فهذا غار على زوجته من زوجها المتوفى. فكيف لو كشف أحد الزوجين للآخر عن علاقته العاطفية بآخر قبل الزواج ؟

القسم الثاني

الأسرار المرضية

الأسرار الصحية أو المرضية الأصل فيها عدم الإخفاء والستر. خاصة إذا كان نوع المرض يؤثر على مستقبل العلاقة الزوجية. أو يخالف توقعات أحد الزوجين. ففي هذه الحالة لو أُخفي المرض ثم انكشف السر فإنه سيؤثر على شفافية العلاقة الزوجية. ويتهم أحد الزوجين الآخر باتهامات كثيرة مثل الخيانة والغش والخداع؛ لأنه لم يصارحه منذ البداية بهذا المرض. وقد عددت مجلة الفرحة ضمن دراسة واسعة وشاملة لها تلك الأمراض التي يجب عدم إخفائها وهي:

١- الإصابة بأمراض معدية خطيرة ولايمكن علاجها (إيدز - سل رئوي).

٢- الأمراض المستعصية (فشل كبدي- فشل كلوي).

٣- الأمراض الجلدية المنفرة (البهاق - البرص - القرع).

٤- الأمراض العقلية (الجنون المتقطع - الصرع - انفصام الشخصية).

٥- العجز الجنسي والبرود .

٦- العقم .

٧- العاهات المستديمة [١١٣].

فمثل هذه الأمراض السابق ذكرها يترتب على إخفائها عن أحد الزوجين ضرر كبير. أما لو كان المرض بسيطاً كصداع مثلاً فلا يضر إخفاؤه، ولكنني أفضل الصراحة والوضوح في الجوانب الصحية، لتبقى الثقة وتستمر المحبة بين الزوجين.

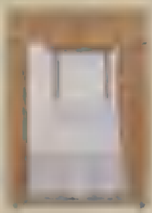

القسم الثالث

الأسرار الجنسية

وهذه من الأسرار المهمة والخطيرة، وينبغي عدم الإخبار بها. وبما وقع أو يقع من أخطاء نهى الله عنها، حتى ولو وقع الخطأ من الزوجة فلا تخبر زوجها، أو من الزوج فلا يخبر زوجته، فالله عفو غفور، وهو كذلك

ستير حييّ. وقد قال الحافظ (ابن حجر) في قصة ماعز الصحابي الذي زنى واعترف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ويؤخذ من قضيته أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه، ولايذكر ذلك لأحد) (١١٤).

وقد ورد في تفسير الطبري هذه الحادثة الجميلة:

(أتى رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إن ابنة لي كانت وئدت في الجاهلية، فاستخرجتها قبل أن تموت، فأدركت الإسلام، فلما أسلمت أصابت حداً من حدود الله، فعمدت إلى الشفرة لتذبح بها نفسها! فأدركتها وقد قطعتْ بعض أوداجها (١١٥) فداويتها حتى برئت، ثم إنها أقبلت بتوبة حسنة، فهي تخطب إليّ يا أمير المؤمنين فأُخبرُ من شأنها بالذي كان؟ (أي هل أخبر من شأنها بالذي كان) فقال عمر: أتخبر بشأنها؟! تعمد إلى ما ستره الله فتبديه! والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، بل انكحها نكاح العفيفة المسلمة) (١١٦).

ونلاحظ هنا كيف أن الأصل هو الستر لو وقع الإنسان في ذنب وأصبح بالنسبة له ماضياً قد تاب عنه، فلا يكشف ستر الله حتى ولو كانت العلاقة فيها ارتباط بالآخر، وإنما من جمال الإسلام أنه لا يجعل الماضي السيء ملازماً لحياة المسلم، وإنما يتجاوزه بعمل إيجابي حتى ولو كان الفعل الذي فعله حداً من حدود الله مثل الزنا. ونعرف أن هناك آثاراً تترتب على ذلك بالنسبة للفتاة على غشاء بكارتها، ومع هذا فإن منهج عمر - رضي الله عنه - أن ينكحها نكاح العفيفة المسلمة.

وقصة أخرى واقعية عرضت على (الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي) بسؤال وجه إليه على النحو التالي:

(في محاولة للهروب عن ضغط الأهل لجأت للعادة السرية، ولكنها فضت بكارتها، فماذا تفعل وقد تقدم شاب لخطبتها؟ فأجاب السائلة:

لاترفضي الشاب المناسب الذي يتقدم لخطبتك، وحدّثيه في جلسة خاصة عن كل ماجرى معك منذ البداية إلى النهاية المؤلمة ،سيصدقك هذا الشاب مادام إنساناً خلوقاً كما صدقتك أنا،

وسيكون أكثر اهتماماً بك وإقبالاً على إسعادك ورغبة فيك. إن المأساة لا تتمثل في هذا الذي وقع لك، وإنما المأساة أن تتشاءمي من المستقبل وتُسيئي الظن بالله. أنصحك أن تُمتّني صلتك بالله عن طريق أداء فرائضه وتنفيذ أوامره، وكثرة الدعاء والتضرع بين يديه) (١١٧).

القسم الرابع

الأسرار المالية

المطلب الأول

هل يجب على المرأة أن تخبر زوجها بما تملك؟

لقد سئل الشيخ العلامة (مصطفى الزرقا): هل أعطى الأسلام المرأة حق التصرف في أموالها وأملاكها متى بلغت سن البلوغ، حتى بعد زواجها دون إذن أحد؟ فأجاب: نعم (١١٨).

هذا وقد يستشهد البعض ببعض النصوص التي توهم أن المرأة لا حرية لها في شيء من التصرف بمالها وأشهر ما ورد في ذلك من النصوص حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لايجوز لامرأة هبة في مالها إذا ملك زوجها عصمتها" (١١٩) وفي رواية أخرى بدل (هبة) (أمر) وهو أعم وأشمل. لكن العلماء لم يأخذوا بظاهر هذا الحديث.

أولاً: لأن لهم توجيهات في معناه.

وثانياً: لأن هناك نصوصاً عدة تعارضه.

قال الصنعاني في (سبل السلام):

قال الخطابي: حمله الأكثر على حسن العشرة واستطابة النفس، أو يحمل على غير الرشيدة، وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال للنساء: تصدقن، فجعلت المرأة تلقي القرْط والخاتم، وبلال يتلقاه بردائه. وهذه عطية بغير إذن الزوج ... انتهى.

وهذا مذهب الجمهور مستدلين

بمفهومات الكتاب والسنة. ولم يذهب إلى معنى الحديث إلا طاووس، فقال: إن المرأة محجورة عن مالها إذا كانت متزوجة إلا فيما أذن لها فيه الزوج (١٢٠).

ومما استدل به العلماء على حرية تصرف المرأة، وأنه لا يجب عليها إخبار زوجها في ذلك مايلي:

قد جاء عن كريب مولى ابن عباس: أن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أخبرته أنها اعتقت وليدة (١٢١) ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يارسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: أو فعلت؟ قالت: نعم قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك.

وقد أورده البخاري تحت باب: هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج فهو جائز إذا لم تكن سفيهة، فإذا كانت سفيهة لم يجز. وقال تعالى: ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ (١٢٢)

(١٢٣) قلت: وقد جاء حديث آخر مما يدل على جواز تصرف المرأة بمالها، ودون إذن زوجها.

يقول عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما- حين سئل: أشهدت مع رسول الله العيد أضحى أو فطراً؟ فأجاب: نعم ولولا مكاني منه ماشهدته- يعني من صغره- قال: خرج رسول الله فصلى ثم خطب، ولم يذكر أذاناً ولا إقامة، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهنّ بالصدقة، فرأيتهن يهوين إلى آذانهن وحلوقهن يدْفعْنَ إلى بلال (١٢٤).

ولكننا لو انتقلنا إلى الواقع الاجتماعي لرأينا كيف أن بعض الرجال بحكم العادات والتقاليد أو بفهمهم لمعنى القوامة الخاطئ فإنه يسيطر على زوجته مالياً ويتدخل في ملكيتها الخاصة، وقد ذكرت مجلة الفرحة الزوجية هذه الحادثة، وهي بعنوان (مخدوعة) لأم جمال، وهو مثال واقعي في هذا المعنى فتقول:

(قبل عشرين عاماً كان زواجنا ... شاب وسيم وغني وعدني بالبيت الجميل والحياة الطيبة، وهو ماجعلني أقبل به بسرعة، ولم يكد يمضي على زواجنا شهر واحد

حتى اكتشفت أنني تزوجت وهماً وخدعة كبيرة . فإذا طلبت منه ديناراً يفتح لي تحقيقاً عن أسباب هذا الطلب ، والشيء الذي سأشتريه به، وإمكانية الاستغناء عنه أو تأجيله، ويلقي على مسامعي محاضرة طويلة في أضرار البذخ وضرورة الحرص على ما في اليد، وإذا اقتنع في النهاية أنه لابديل عنه فلا يدفعه إلا بشقّ النفس، وهذا الأمر جعلني لا أخبره بأموري المادية، خاصة وأني كنت ورثت حصة من شركة والدي ونصيبي في ثمن البيت، بينما الراتب يأخذه مني وينفقه بالكامل في المنزل، وأنا آخذ مصروفي كأي ولدٍ من الأولاد، وكان يقتر علي في إنفاقه أيضا متعللاً بمستقبل الأولاد، وكان يُلحّ في معرفة مصير الميراث، حتى ضيق علي فأخبرته بأنني أخذته وأودعته في حساب لي بالبنك، وبدأت المشاكل تزداد بيننا، وبدأ يقتر علينا أكثر وأكثر، لدرجة أنه لم يعد ينفق فلساً واحداً من ماله علينا، وحين أطلب منه ذلك يقول: هذا جزاء لك حتى تكذبي علي مرة أخرى، رغم أنني لم أكذب ولكني فقط كنت أحاول تأمين مستقبلي ولم أقترب من ماله .

وقد علق على هذه الحادثة الدكتور (الأحمدي أبو النور) رئيس قسم التفسير والحديث في كلية الشريعة بجامعة الكويت:

(لم يكن يجب عليها أن تخبر زوجها بما عندها من مال، فدور الزوج هو أن ينفق على بيته، والله تعالى يقول: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ (١٢٥) فيقوم الرجل بواجب الإنفاق، والمرأة تحتقر الرجل الذي يعتمد على مالها، ومن حق المرأة أن تأخذ من مال زوجها بقدر الإنفاق ولو لم يأذن لها إذا قصر في نفقتها) (١٢٦) .

الفصل الثاني

المطلب الثاني

ما مدى حرية تصرف أحد الزوجين بمال الآخر دون علمه؟

من نصوص الشريعة لم أر أي نص يجيز للزوج أن يتصرف في مال زوجته، فهي مستقلة عنه بالذمة المالية. كما أنه لا يلزمها أي التزام مالي محدد ومفروض تجاه زوجها، فلا يجوز الأخذ من حسابها البنكي، ولا الاستيلاء على مهرها، ولا الأخذ من ميراثها عن أهلها. يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: (وشرع الله المهر عطية للمرأة عندما تتزوج، تحقيقاً لما لديها من الرغبة الفطرية في التملك، وتعويضاً عما يكون قد فاتها من فرص العمل التي تكون في العادة ميسرة للرجل أكثر منها، والتي هي المصدر الرئيسي للتملك، فقال:

﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ [127]

ومنع الرجل أباً كان لها أو عماً أو جداً أو أخاً أو غيرهم من اقتناص أي قدر من صداقها لنفسه، اللهم إلا بطيب نفس منها، فقال بعد الجملة السابقة مباشرة: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ [127]

ثم إن الشارع جل جلاله بالغ في رعاية هذا الحق وتأكيده، فحذر مما كان كثير من الرجال يفعلونه في الجاهلية، إذ كانوا يستغلون ولايتهم على الفتاة أو المرأة، يموت والدها أو زوجها فيتحكمون في مصيرها دون أي استشارة لها، وربما منعوها الزواج إلى الموت، ليفوزوا بما قد متعها الله به من حقوق مالية. فقال عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ [128].

ثم حذر بعد ذلك مباشرة من حالة مشابهة وهي أن يكون للرجل زوجة يكره صحبتها، ويكون لها مهر عليه، فيسيء معاملتها ليلجئها إلى التنازل عن مهرها في سبيل التخلص من مضارته وإساءته، فقال:

﴿ ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ [129] [130].

ثم يقول الدكتور البوطي في موضع آخر:

(ومن بقايا العادات الجاهلية ما يعمد إليه كثير من الأزواج من السطو، بطريقة ما على مرتبات زوجاتهم الموظفات أو على جزء منه. ويحتج الذين يتورطون في هذا العمل الشائن، بأن الزوجة موظفة مثله، فهما في الحصول على المال سواء، إذن ينبغي أن يكونا سواء أيضاً في الإنفاق!

وكثيراً مايشتد الخلاف وينقدح من ذلك أوار الخصام والشقاق بين الزوجين، وقد ينتهي بهما الخصام إلى الفراق والطلاق.

إن هذا التصرف من الزوج غير مبرر شرعاً: إذ هو في كل الأحوال المكلف بالإنفاق عليها وعلى الأولاد، ولا يغير من هذا الحكم الثابت كونها غنية أو موظفة قط) (١٣١).

وقد وضح (الدكتورمحمد الطبطبائي) عميد كلية الشريعة بدولة الكويت - ذمة المرأة المالية المستقلة بهذا الكلام:

(إذا كانت الزوجة موظفة لها راتب أو كانت تاجرة تكسب أموالاً، فإن ما يدخل عليها من مال هو ملك خاص لها، وليس من حق زوجها، لأن الزوج لايملك الذمة المالية للمرأة بعد الزواج، بل تبقى ذمتها المالية مستقلة منفصلة عن الزوج، وكما أن ما تتحمله الزوجة من التزامات كالديون لاينتقل إلى ذمة الزوج، فكذلك ما تكسبه المرأة من العمل أو التجارة أو الارث فهو حقها وحدها، وليس من حق الزوج، ولايجوز له التصرف فيه من غير إذنها، لأن الزوج لايملك الزوجة). ثم يتابع القول:

كما لا يحق له أن يأخذ شيئاً من أموالها من غير إذن صريح حرٍّ منها، ولو أنه أخذ بغير علمها أو رضاها بعض الأموال فكأنه سرقها، ويُعاقب على ذلك) (١٣٢).

لكن بالنسبة للزوجة فقد يكون الأمر مختلفاً بالنسبة لها، فقد يقتر زوجها عليها في النفقة، أو يتهرب وهو ملزم شرعاً وقضاءً وعقلاً بالنفقة عليها، فيجوز لها حينئذ أن تأخذ من ماله بالمعروف ولو من دون علمه.

وفي هذا جاءت هذه الحادثة:

عن عائشة - رضي الله عنها.

أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل مسِّيك، فهل علي حرج أن أنفق على عياله وماله بغير إذنه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا حرجَ عليك أن تنفقي عليهم بالمعروف [١٣٣].

ويلاحظ أن النبي - عليه الصلاة والسلام- وضح ذلك بقوله: (بالمعروف)، أي ضمن النفقة الكافية اللازمة. وهذا يوضح أن حرية التصرف ليست مطلقة .

وهذا نص آخر في هذا الشأن. "عن أسماء قالت: قلت يارسول الله مالي مال إلاَّ ما أدخل عليَّ الزبير فأتصدق؟ قال: أنفقي ولا تحصي . فيحصي الله عليك" [١٣٤].

المبحث الثاني
البحث عن الأسرار بين الزوجين

المطلب الأول
أسرار يجب معرفتها بين الزوجين

إن الزوج أو الزوجة كلاهما يمرُّ بظروف اجتماعية أو صحية أو نفسية أثناء الحياة الزوجية خاصة مع التقدم في العمر والتغير في الأحوال، فدوام الحال من المحال، ومع هذا التغيير يستجدّ على أحد الزوجين ظرف خاص قد يبيح به لشريك حياته، وقد يمتنع ويخفيه عنه، ولكن هناك عدة أمور لابد من كشفها لو حصلت مع أحد الطرفين، وفي إخفائها تهديد حقيقي لمستقبل الحياة الأسرية والسعادة الزوجية.

وفي الكشف عنها زيادة للثقة الزوجية والاستقرار الأسري. وسأجتهد بذكر بعض الأمثلة. وهي على سبيل المثال لا الحصر. وكل أسرة تحكم على نفسها بما يناسبها:

١- الأمراض المعدية والخطيرة

فلو أصيب أحد الزوجين بها فلا بد من كشفها للآخر (كالايدز مثلاً).

٢- الأمراض الجلدية المنفرة

(كالبهاق والبرص) والأمراض المستعصية كالفشل الكبدي.

٣- الأمراض العقلية

كالجنون المتقطع والعاهات المستديمة.

٤- تغير المستوى المعيشي

(كخسارة مالية أو الانتقال من الغنى إلى الفقر).

٥- الزواج السابق

إن وجد قبل الزواج الجديد. فلابد من كشفه عند الإقدام على الزواج الجديد.

٦- وضع المرأة

من حيث البكارة أو الثيوبة وذلك قبل الزواج.

٧- العجز الجنسي

أوالبرود أو العقم بنسبه الكلي والجزئي.

ولعل هناك أسراراً أخرى مهمة غفلت عنها. ولكن لابد من وضع معيار نقيس عليه الحدث. سواء أكان هذا الحدث قبل الزواج أو بعده وأثناءه. فنطبق عليه المعيار. وعندها نقول بأن هذا الحدث لابد من كشفه للطرف الأخر، وإلا لهدد مستقبل العلاقة الزوجية.

وهذا المقياس الذي اقترحه هو: (أي خبر لو أخفيته عن الطرف الأخر ثم علمه فإنه سيدفعه إلى إنهاء العلاقة الزوجية أو إضعافها. وتغيير نفسيته ومعاملته تجاه الشريك الأخر).

وعند تطبيق هذا المقياس فإننا سنكتشف أنه قد يكون حدثٌ في أسرة: (أ) يعتبر سراً لابد من كشفه للطرف الأخر، بينما نفس هذا الحدث عند أسرة (ب) لا يعتبر سراً يجب كشفه.

وإن كان الأصل الذي أتمناه لكل أسرة أن تكون العلاقة بين الزوجين قائمة على المصارحة بكل أنواعها وأشكالها.

وهذا المعيار الذي وضعته يصلح للأسباب التي يكون عليها خلاف بين الطرفين.

أما لو كان الأمر كالاصابة بمرض معدٍ فهذا تتفق على كشفه جميع الأسر.

المطلب الثاني

أسرار ينبغي أن لايكشفها أحد الزوجين للآخر!

مهما كانت العلاقة متينة وقوية بين الزوجين، إلا أن الإنسان بفطرته يحب أن يحتفظ لنفسه ببعض الخصوصية، وهي جزء من تحقيق ذاته وحبه لنفسه، كما أن بعضها مما لا يرغب أن يعرفه أحد، خصوصاً تلك الأخطاء التي يقع بها أو المعصية التي يرتكبها ولا يعلم بها إلا الله، أو قد يستأمنه شخص على سر من أسراره، فواجب عليه حفظ الأسرار، ولهذا فإني أستطيع أن أضرب أمثلة على الحالات التي يجب لأحد الزوجين أن لايكشفها للآخر مهما كانت العلاقة ذات شفافية عالية، وهي على سبيل المثال:

١- المعاصي التي تاب عنها الإنسان توبة نصوحاً.

فلو وقع أحد الزوجين في معصية سواء كانت قبل الزواج أو بعده، وتاب إلى الله تعالى من تلك الخطيئة، فما الحاجة لأن يكشف ستر الله عليه؟ وحتى لو حاول أحد الزوجين أن يتدخل في هذه الحياة الخاصة، فعلى الطرف الآخر أن يتصرف بذكاء وحكمة، من غير أن يزيد من شكوك الآخر بأن يتجاوز هذه المسألة ولايكشفها.

٢- الأسرار الخاصة بالأهل

فليس من المناسب أن تنقل الزوجة كل مايدور في بيت أهلها، كذلك الزوج لو كان محتفظاً بأسرار والديه أو إخوانه وأخواته، فليس من الضروري كشف هذه الأسرار، وانما يمكنه أن ينقل لزوجته الأخبار العامة والأحاديث التي يسمح بنقلها عادة وعرفا.

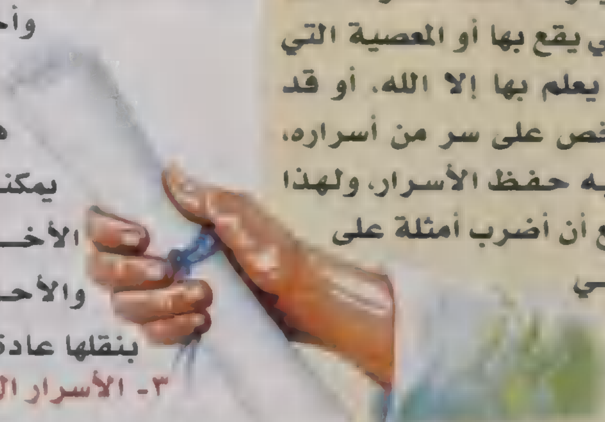

٣- الأسرار الخاصة بالأصدقاء

وهذه نقطة مهمة، فلو ائتمن أحد الأصدقاء صديقه، وكان هذا الصديق هو الزوج أو الزوجة، فإن كشف سره فقد خان العهد والأمانة، فقوة العلاقة الزوجية لا تعني أن يكشف أحد الزوجين أسرار أصدقائهما لبعضهما البعض.

٤- الأسرار الخاصة بالعمل

وهذه كذلك مهمة، فلو كانت طبيعة عمل أحد الزوجين تقتضي التعامل مع أسرار الناس (المالية)، كأن يكون أحدهما مطلعاً على حسابات الأشخاص المالية بحكم عمله بالبنك، أو الأسرار (الصحية) كأن يكون طبيباً، أو الأسرار (الاجتماعية والقانونية) كأن يكون محامياً أو قاضياً أو مستشاراً وهكذا، ففي هذه الحالة يجب حفظ السر وعدم كشفه للطرف الآخر.

٥- الحالة المادية للزوجة

وهذه الحالة لايحق للزوج أن يجبرها على كشف ما عندها من مال، لأن الذمة المالية للزوجة مستقلة في الشريعة الإسلامية حكمها حكم الزوج كما بيّنت ذلك بالأدلة الشرعية فيما تقدم.[١٣٥]

المطلب الثالث

إيجابيات البوح بالأسرار الشخصية للطرف الآخر

كل إنسان يمر بفترات من حياته سعيدة أو حزينة، وأحياناً تمر عليه مصائب في ماله أو نفسه أو أهله، يشعر بالحزن والاكتئاب لو حفظ وكبت ما مرّ عليه في نفسه، فيأكل نفسه بالتفكير والشعور بالوحدة، ويجد الراحة عند الحديث للآخرين عن مصيبته أو الأزمة التي يمر بها. وأذكر بالمناسبة أحد الأصدقاء عندما اتصل بي وطلب مني أن أجلس صامتاً وأستمع لما يريد أن يتحدث به، وبالفعل جلست ساعة أستمع، وكان خلالها يتحدث عن مشكلة زوجية يعاني منها لأكثر من سنة، وأذكر أنه أثناء حديثه كان يضحك أحياناً، وأحياناً أخرى يبكي، حتى إذا ما انتهى من حديثه قال لي: لقد شعرت بالراحة!

ولهذا فإنا نفضّل للمواقف التي يمرّ بها الإنسان أن يكون صديقه الذي يفضي إليه هو شريك حياته وزوجه،

ففي هذه الحالة سيتعاونان على إدارة الأزمات، وتقوى علاقتهما ببعض، ويوجدان من خلال كشف الأسرار لبعضهما البعض مد جسور الثقة بينهما، ويتعارفان على بعضهما أكثر، بالإضافة إلى تأمين الراحة النفسية وتحقيق الأمن بينهما، فكل ذلك من إيجابيات البوح بالأسرار، وإن كان للبوح بالأسرار إيجابيات، لكن ليس كل سر يفضل البوح به، فالأسرار الخاصة بين العبد وربه لايفضل البوح بها، وإنما يتوب إلى الله تعالى من المعصية المرتكبة ويستر على نفسه، كما أن هناك بعض الأسرار التي يكره الزوجان أن تكون لدى أحدهما ولا يعلم بها الطرف الآخر. وقد أجرت مجلة الفرحة دراسة مستفيضة في هذا الشأن انتهت إلى النتيجة التالية:

(الأسرار التي يكره الزوج وجودها لدى الزوجة:

١- أن يكون لها علاقات حميمة قبل الزواج.

٢- أن تخدعه في بكارتها.

٣- أن يشعر بوجود ما لا يعرفه في حياتها.

٤- أن تكون عاقرا.

أما الأسرار التي تكره الزوجة وجودها لدى الزوج:

١- البخل.

٢- الإدمان والمقامرة.

٣- أن يكون له زوجة أخرى.

٤- أن يكون له عشيقة.

٥- أن يكون ممن يبوح لأهله بالشؤون الزوجية الخاصة) (١٣٦).

ولعل هذه النتائج أخذت من دراسة استطلاعية لآراء المتزوجين، وألاحظ أن كل هذه القضايا تدور على محور (الثقة) بين الزوجين، ولهذا فإنني أؤكد على أهمية البوح بالأسرار بين الزوجين، وقدوتنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عندما نزل عليه الوحي أول مرة أخبر زوجته بهذا السر الإلهي، لقوة العلاقة بينهما، ولم يكن بعدُ أمر بالتبليغ.

المطلب الرابع
كيف نتصرف عند اكتشاف الأسرار العائلية؟

ردة فعل أحد الزوجين عند انكشاف السر أمر مهم للغاية، ولابدّ أن نفرق بين موقف صاحب السر الذي انكشف سره، وبين الطرف الآخر لو علم بالسر من مصدر آخر، وحتى أفصَل بالموضع أكثر

أذكر أولاً موقف صاحب السر لو انكشف سره فعليه الالتزام بالخطوات التالية:

١- كظم الغيظ وضبط النفس بحسن إدارة ذاته وأعصابه، فلا يتهور أو يتصرف تصرفات سلبية.

٢- الاستعانة بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى، والدعاء بالثبات على هذه المصيبة.

٣- معرفة حدود المعلومة التي انكشفت للطرف الآخر، ومصدرها بعد أن يهدأ.

٤- إقناع الطرف الآخر بأنه لم يكن هنالك ضرورة لإبلاغه بهذه الأمور، لأنها لاتؤثر على حياتهما الزوجية، ولعدم الشعور بأهمية ذلك السر.

٥- طلب السماح والمغفرة والاستشهاد بعفو الله تعالى.

٦- محاولة عدم فتح الموضوع مرة أخرى.

٧- التأكيد على أن الحياة الزوجية قد بدأت منذ إبرام العقد، وهو الوقت الذي يحق لكل طرف بعده أن يحاسب الآخر، طالما حفظ كل منهما دينه وعرضه.

أما الطرف الآخر والذي كشف وعلم به فأقول له: إن التصرف السليم والذي يتماشى مع قواعد العقل والشرع مايلي:

١- تهدئة غضب النفس والاستعانة بالله تعالى، وبالاستعاذة من الشيطان وبالصلاة وتلاوة القرآن.

٢- التأكد من المعلومات التي وصلته، ومن مصدرها، وحتى لو حصل هذا الأمر فليس كل ما يقال صحيحاً، وليس كل من يتحدث صادقا.

٣- مصارحة الطرف الآخر بالسر من غير اتهام، ولكن ليقدر المصلحة في الحديث من عدمه، وليختر الوقت المناسب وطريقة الحوار الهادئة والذكية.

الفصل الثاني

٤- عدم تكرار فتح الموضوع لتحسم الأمور في جلسة واحدة.

٥- بعد المصارحة ينبغي المسامحة. لاسيما أننا نستلهم العفو من عفو الله علينا.

٦- التأكيد من أن العلاقة الزوجية بدأت منذ إبرام العقد، وما مضى قبل ذلك نعتبره كأنه لم يكن.

لعل ما ذكرته يعتبر قواعد عامة في التعامل مع السر لو انكشف، ولكن هناك أسرار خاصة جداً ربما لو انكشفت لأثرت على مسيرة الحياة الزوجية ومستقبلها مثل: لو علم الزوج أن زوجته بلا غشاء بكارة، وأنها فقدته بسبب عمل محرَم، أو أنها رممته فكيف يتصرف؟!

وقد سئل د. محمد سعيد رمضان البوطي - حفظه الله - عن ذلك فقال:

(إذا تزوَج الشاب فتاة وتبين له أن بكارتها مرمَمة كما تقول، فالحكم لديه لايختلف عن الحالات العامة وحكمها. والحكم هو أن له أن يستبقيها أو أن يطلَقها. إن طلقها وجب لها كامل مهرها. أما التصرف الأمثل الذي يجدر بالزوج أن يسلكه، فهو أن ينتظر فإن كانت زوجته مستقيمة على الأخلاق الإسلامية متمسكة بأهداب الفضيلة، فالأفضل به أن يستبقيها وأن يكرمها، حتى وإن سبق لها التورط في أخطاء تابت منها، وإن كانت منحرفة الخلق أو السلوك فالأمثل به أن يطلقها مالم يتسبب عن ذلك أضرار تربوية بأطفال له منها) [١٣٧].

وأرى بأن الشريعة الاسلامية لم تفرق بين خطأ الرجل أو المرأة، فالسر يعتبر للاثنين، وعلى كُلٍ من الطرفين أن يقبل توبة المخطئ لو أخطأ.

وسؤال آخر وجهته سائلة إلى الدكتور تقول فيه: أن زوجها مارس الفاحشة مع أختها، فماذا تفعل؟ فأجاب الشيخ: (كان على زوجك وقد ندم على ارتكابه المعصية التي اقترفها بأن يلجأ إلى الستر الذي أمر الله به، فلا يبوح لك ولا لغيرك بما قد أقدم عليه، وأن يستعيض عن ذلك بتوبة صادقة بينه وبين الله تعالى.

أما وقد أخبرك بما جرى بينه وبين أختك نادما متألماً، فالمطلوب منك أن تقبلي وتصدقي ندمه وألمه، وألا تبوحي بهذا الأمر لأحد قط. هذا بالاضافة إلى أنه يستحسن أن تنصحيه بصدق التوبة والإنابة إلى الله، وألا يتحدث بهذا الأمر لأحد، والله ستيَر يحب الستر) [١٣٨].

الفصل الثالث

أنواع الأسرار في العلاقة الزوجية

الفصل الثالث

أنواع الأسرار في العلاقة الزوجية

المبحث الأول
الأسرار الجنسية بين الزوجين

المطلب الأول
الأسرار ليلة الزفاف قبلها وبعدها

إن العلاقة الجنسية بين الزوجين علاقة مهمة وأساسية. ولهذا ينبغي أن تكون على درجة من الوضوح قبل الزواج وبعده. حتى لا يفاجأ أحد الزوجين بعيب جنسي يترتب عليه انفساخ العقد. فليلة الزفاف. ما قبلها وما بعدها. فيها أمور جنسية كثيرة أتناولها على النحو التالي:

١ - المفاجأة بوجود عيب جنسي

وهذا ضابط مهم. عيب يضر بمقصود الزواج وهذا الضابط أخذته من العيوب التي أحصاها الفقهاء وسمَوها بـ (العيوب التي تبطل النكاح). وهذا أمر مهم حتى لا يفاجأ أحد الزوجين بما في الطرف الآخر....

وقد ورد سؤال للشيخ العلامة المرحوم مصطفى الزرقا على هذا النحو:

(هل يلزم على والد المخطوبة أن يذكر للخاطب جميع العيوب الخلقية أو الخُلقية. ومنها العيوب التي لا تؤثر في دوام الحياة الزوجية. مثل بعض الأمراض المستعصية (غير المُعدية) أو التي يلزمها علاج طويل. وفي حال أن الخاطب لم يسألْ فهل يلزمه المبادرة بذكر هذه العيوب. علماً أن بعض العيوب لا تظهر للخاطب عندما يرى خطيبته ولا لأهله؟ وما هي العيوب التي يلزم والد المخطوبة ذكرها إذا لم يسأل عنها الخاطب؟)

وجاء في الجواب: (العيوب التي يجب ذكرها للخاطب هي الأمراض المعدية أو التي تُزعج الحياة الزوجية كالصدع أو العيوب الجنسية كالرتق.. هذا ما يبدو لي والله أعلم) (١٣٩).

والفقهاء قد نصوا في كتبهم على العيوب التي تكون سبباً للتفريق بين

الزوجين. وأستطيع أن أجملها كما يلي:

١- الجَبُّ: وهو قطع الذكر والأنثيين عند الرجل (الألة الجنسية).

٢- العنّة: وهي العجز عن الوطء مع سلامة العضو الذكري.

٣- الرتق: وهو انسداد محل النكاح بحيث لايمكن معه الوطء عند المرأة.

٤- القرن: وهو شيء ناتئ في الفرج يسده ويمنع الوطء، وربما كان ذلك من لحم أو عظم.

٥- الجنون: آفة تعتري العقل فتذهب به.

٦- الجذام: هو علة يحمر منها العضو، ثم يسود ثم يتناثر ويتقطع، ويتصور ذلك في كل عضو من أعضاء الجسم إلا أنه في الوجه أكثر.

٧- البرص: هو بقع بيضاء على الجلد تزداد اتساعاً مع الأيام (١٤٠).

فالوضوح والصراحة أساس نجاح الحياة الزوجية. حتى ولو كانت في المسائل الجنسية. وقد عرضت علي أثناء عملي في المحكمة أكثر من قضية لطلب الطلاق، والسبب كان عدم المصارحة قبل الزواج بالعيوب الجنسية.

٢- تهرب المرأة من المعاشرة

إن الخوف الذي يسيطر على بعض الفتيات يكون أحياناً مبالغاً فيه، بحيث تمنع الزوج من الاقتراب منها، وبعض النساء يُعلمن الفتاة المتزوجة بألا تدع زوجها يقترب بسهولة أو بيسر بل بعد مشقة. من أجل ألا تريه أنها راغبة في الجنس، وهذا خطأ غير مبرر، وإلا فلماذا تزوجا؟! وقد سئل الدكتور (محمود مهدي الأستانبولي) في كتابه (ألف جواب وجواب حول الجنس والجمال):

ماهي أسباب الخوف من اللقاء الجنسي عند المرأة؟ فأجاب:

(وأسباب الخوف متعددة. إنها قد تحدث في أول لقاء، وقد يتكرر حدوثها لتستمر سنوات طويلة! هناك الخوف الوهمي من الألم، لعدم المعرفة السليمة والاستماع إلى هذه الأحاديث غير الصحيحة والمبالغ فيها، أو نتيجة بعض تصرفات العريس التي قد يعتقد أنها تثير عروسه، بينما تكون هي في الواقع سبباً في ألم شديد ينفرها من اللقاء) (١٤١).

إن مثل هذه التصرفات تدل على أن لدينا في مجتمعاتنا (أمية جنسية) أي أن الثقافة الجنسية غير متاحة لأبنائنا وبناتنا بطريقة صحيحة وشرعية مغلفة بالحياء. ولو كان عند المقبلين على الزواج معرفة ودراية صحيحة بمهارة التعامل الجنسي لما كثرت المشاكل التي نعاني منها، ومنها تهرب المرأة من المعاشرة.

٣- عجز الرجل عن إتمام العملية الجنسية

وهذا أمر ممكن. بل هو كثير الحدوث. وهو أمر طبيعي إذا علمنا بالشعور والرهبة والخوف من قبل الزوجة من جراء سماع بعض القصص المبالغ فيها عن فض غشاء البكارة، فهي تبدو متوترة ومتشنجة.. وبالمقابل الزوج يبدو خائفاً متوتراً يريد إتمام الموضوع بأسرع وقت، إنه يعتبر أن رجولته على المحك!. هكذا أفهموه.! لكن المشكلة عندما ينتشر مثل هذا السرّ خارج نطاق غرفة النوم. يحدثنا محمود مهدي أستانبولي في كتابه (ألف جواب وجواب حول الجنس والحب والجمال) وهو من أوائل الأطباء المنفتحين، والذين تكلموا عن مثل هذه المواضيع بصراحة وشرعية وبعلمية في عدة كتب مشهورة، يقول عن دور المرأة السلبي في مثل هذه الأمور:

(وبدلاً من أن تساعده نجد أنها تبتعد عنه، فهي أيضاً - مثله - لا تعرف مايجب أن تقوم به لتساعده في التغلب على هذا القلق الذي سيطر على الجميع. وتزداد هي في الابتعاد عنه. هو يؤكد أنها غير متعاونة، وهي تعتقد أن كل ما حدث ناتج عن تقصيره وعدم قدراته! ويحدث العكس ويفرض أهل السوء رأيهم. وتزداد حدة الخلاف إلى حد هدم العش السعيد بعد أن تمر أيام أو حتى شهور على الزفاف. من الممكن أن يحدث كل ذلك إذا تدخل طرف ثالث من الأسرة لحل هذه المشكلة، ومن الممكن أن تحدث أزمات إذا خرجت الأحداث عن نطاق العريس والعروس. إنها قضيتهما الشخصية، ولايجب أن يعرف أي شخص تفاصيل ما يحدث في هذا اللقاء وحتى وإن كان هذا الشخص هو أم العروس! فهذه المشكلة تتعلق به وبها فقط! فإذا كان ما يحدث هو السر بينهما، فتلك بداية

طيبة لمرور هذه الازمة بكل بساطة، فالمحافظة على أسرارهما الشخصية تؤدي إلى القدرة على تفهم الموقف بحيث يمكن تصحيح أي خطأ يحدث)[١٤٢].

إن مرجع كل هذه الأمور هو أننا وضعنا الأمور الجنسية في زاوية الأسرار التي ينبغي أن لا تفتح لأبنائنا وبناتنا، مما نتج عنه مثل هذه السلوكيات الخاطئة، والتي تهدد استقرار الأسرة، والمسائل المتعلقة بهذا الموضوع كثيرة جداً، ولكننا أردنا أن نلقي الضوء عليها، حتى لا يختلط المفهوم على المربين والوالدين وعلى الناس، فلا يفرقون بين الأسرار بالمعنى العام، والثقافة الجنسية الواجب معرفتها للمقبلين على الزواج قبل ليلة الزفاف وبعدها .

ولو عملنا استطلاعاً للرأي الآن على أي شريحة بالمجتمع، وسألناهم من أين استقتيم معلوماتكم الجنسية لسمعنا إجابات بعيدة عن منهج الإسلام وواقعيته .

٤- اختفاء غشاء البكارة

إن اختفاء غشاء البكارة من المسائل الحساسة في تاريخ الفتاة، وقد حصلت حادثة بذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً أنصارياً تزوج امرأة من بني عجلان، فدخل بها، فبات عندها، فلما أصبح قال: ما وجدتها عذراء! فرفع شأنه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فدعا الجارية فسألها فقالت: بلى قد كنت عذراء! فأمر بها النبي - صلى الله عليه وسلم - فتلاعنا وأعطاها المهر [١٤٣] .

ومن المعلوم أن غشاء البكارة له أهمية كبيرة في الدلالة على طُهر المرأة وعفافها، كما أنَّ أسباب اختفائه تختلف، فقد لا يكون عن طريق الفاحشة او الخطيئة، بل لأسباب أخرى مثل العادة السرية، أو السقوط الشديد، أو الحركات المؤثرة في الغشاء، أو عملية اغتصاب، أو غير ذلك .

ومع كلِّ هذا ، فلو فرضنا أسوأ الاحتمالات، أن بكارة المرأة اختفى بسبب خطيئة ما، ثم تابت المرأة وحسنت توبتها وأرادت الزواج وتقدم لها شاب ما. أتبقي هكذا على نفسها؟ هل تخبره بما جرى لها ومعها؟!

إن كثيراً من الفتيات حينئذ يلجأن إلى رتق غشاء البكارة. لكن هل هذا الفعل جائز في ميزان الشريعة؟ ولماذا؟ قد أفتى بعض العلماء بجواز رتق غشاء البكارة . ومن هؤلاء الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي إذ سألته سائلة: بعد أن غرّر بها رجل وخدعها تابت وتحجبتْ. وأهلها الآن يرغمونها على الزواج. وهي تخشى الفضيحة فهي ما تزال تلاحقها. فماذا تفعل ؟

وقد أجاب الدكتور بعد مقدمة له عن دعوات التحرّر والاختلاط. وأنّ مشكلة السائلة هي بسبب دعاوي أهل التحرر والإنحلال قال:

(أقول لك: إن الإسلام هو دين الستر يدعو صاحب الخطيئة أن يستر نفسه عما سوى الله من البشر جميعاً. وأن يلجأ إلى كفارة واحدة. هي كفارة التوبة النصوح. فإذا تابت الفتاة بصدق. فلا مانع من أنْ تُرمَم بكارتها. ولا مانع من أن يمارس الطبيب ذلك إن أيقن أنها تابت توبة صادقة. ذلك لأن لجوءها إلى هذا العلاج سبيل من سبل الستر الذي أمر الله تعالى به) (١٤٤).

لكن الدكتور - وله باب للفتاوى في مجلة طبيبك - تلقىَ بعد ذلك سؤالاً يقول: أليس الإفتاء برتق غشاء البكارة واحداً من الأسباب التي تُهوِن الوقوع في الخطأ؟ فأجاب:

(أرأيت لو أن فتاة مستقيمة خطبت إلى شاب مثلها. وكانت قد انزلقت يوماً ما إلى ارتكاب فاحشة. ثم تابت إلى الله توبة نصوحاً. أفيجب عليها أن تكشف سترها لهذا الشاب وتنبئه عن المعصية التي انزلقت إليها؟ الجواب: أنه كما لايجب على الشاب أن يتحدث عن انحرافاته الماضية التي تاب عنها. فكذلك الفتاة لا يجب عليها ذلك ، لأن معصية الرجل والمرأة في ميزان الله تعالى سواء. فإذا كان هذا واضحاً فإن ترميم الفتاة التائبة بصدق بكارتها. ستراً لنفسها. داخل في هذا الحكم ذاته. هذا بقطع النظر عن أن هذا الترميم فيه عون كبير على استقامتها على سنن الفضيلة والرشد. في حين أن منعها من ذلك وإلجاءها إلى طريق الفضيحة من أخطر أسباب الانحراف إلى الرذيلة وارتكاب الموبقات) (١٤٥).

وقد بين لنا الدكتور البوطي كيفية التعامل مع هذا السر بحكمة. وذلك من باب الستر على الفتاة .

المطلب الثاني

الحديث عن المعاشرة الزوجية عموماً

إن المعاشرة الزوجية الجنسية- ولها أسماء كثيرة كالجماع والوقاع والوطء والمسّ- تعد من أخص ما يقع بين الزوج وزوجته، ومن أحرج ما يمكن أن يتحدث به الرجل العفيف أو المرأة العفيفة الحيية. ومن هنا جاء النهي الشرعي عن التحدث بها.. على أن الحديث عنها إما أن يكون بشكل عام، أو بشكل خاص وتفصيلي، فمن العموم أن يتحدث الرجل مفاخراً بكثرة مجامعته لأهله، وقد جاء النهي عن الحديث والمفاخرة بكثرة مجامعة الرجل لأهله. يقول عليه الصلاة والسلام: "الشياع حرام" (١٤٦).

وقال أحمد بن حنبل عن ابن لهيعة يقول: الشياع: المفاخرة (١٤٧).

وقد علل (ابن القيم) في كتابه (إعلام الموقعين عن ربّ العالمين) ذلك التحريم بتعليل جميل:

حرّم الشياع وهو المفاخرة بالجماع، لأنه ذريعة إلى تحريك النفوس، والتشبه، وقد لايكون عند الرجل ما يغنيه من الحلال فيتخطى إلى الحرام (١٤٨).

وكذلك النهي عن الحديث عن المعاشرة الجنسية بين الزوجين، فقد ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بَيْنا أنا أوْعَك في المسجد (١٤٩) إذْ جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حتى دخل المسجد فقال: مَنْ أحسَّ الفتى الدُّوسيّ؟ ثلاث مرات، فقال رجل: يارسول الله ، هو ذا يوعك في جانب المسجد، فأقبل يمشي حتى انتهى إليّ، فوضع يده عليّ، فقال لي معروفاً، فنهضت، فانطلق يمشي حتى أتى مقامه الذي يُصلي فيه، فأقبل عليهم، ومعه صفّان من رجال وصف من نساء، أو صفّان من نساء وصف من رجال، فقال: "إنْ أنساني الشيطان شيئاً من صلاتي فَلْيُسبّح القوم وليُصَفق النساء". قال: فصلى رسول الله ولم ينسَ من صلاته شيئاً فقال: "مَجالسَكُم" ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد» ثم اتفقوا، ثم أقبل على الرجال فقال: "هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه، وألقى عليه ستره واستتر بستر الله؟" قالوا: نعم قال: "ثم يجلس بعد ذلك فيقول فعلت كذا، فعلت كذا" قال: فسكتوا.

قال: فأقبل على النساء فقال: "هل منكن من تحدث؟" فسكتن. فجثت فتاة (قال مؤمل - وهو أحد رواة الحديث - في حديثه فتاة كعاب) على إحدى ركبتيها. وتطاولت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليراها ويسمع كلامها فقالت: يارسول الله. إنهم ليتحدثون. وانهن ليتحدثن. فقال: «هل تدرون ما مثل ذلك» ؟ فقال: "إنما مثل ذلك شيطانة لقيت شيطاناً في السكة. فقضى منها حاجته. والناس ينظرون إليه. ألا وإن طيب الرجال ماظهر ريحه. ولم يظهر لونه. ألا وإن طيب النساء ما ظهر لونه ولم يظهر ريحه".

قال أبو داود: من ها هنا حفظته عن مؤمل وموسى: "ألا لا يفضين رجل إلى رجل ولا امرأة إلى امرأة إلا إلى ولد أو الد". وذكر ثالثة فأنسيتها (١٥٠).

فنلاحظ في هذه الروايات حث النبي صلى الله عليه وسلم الواضح والصريح بعدم التعامل مع المعاشرة الزوجية على أنها أمر عادي يتحدث به الزوج أو الزوجة بكثرة. وهو ما عبر عنه (بالشياع) لأن هذا الأمر يعد من الأسرار الزوجية الجنسية. وسيأتي معنا متى يجوز التحدث بهذا الموضوع وضوابط ذلك.

المطلب الثالث

الحديث عن تفاصيل المعاشرة الزوجية

لقد ذكرت الحديث عن المعاشرة الجنسية بشكل عام ولكن أريد أن أبحثها بشكلها التفصيلي. خاصة إذا علمنا أنها من الأسرار الزوجية ولكن المجتمع بثقافته أحياناً يحب أن يسمع التفاصيل. فهل نستجيب له أم يعتبر هذا من التصرف المنهي عنه ؟

وإن أكثر ما نرى ذلك يحدث عندما يتزوج الرجل. فبعد انقضاء الليلة الأولى يبادر الأهل والأصدقاء والأقارب لمعرفة تفاصيل ماجرى بين الرجل وزوجته!

وفي هذا الشأن وردت هذه الحادثة مع الصحابي الجليل سلمان الفارسي. فقد تزوج امرأة من كندة. فبنى بها في بيتها. فلما كان ليلة البناء مشى معه أصحابه حتى أتى بيت امرأته. فلما بلغ البيت قال: ارجعوا آجركم الله. ولم يدخلهم عليها كما يفعل السفهاء. فلما نظر إلى البيت. والبيت

منجد، قال: أمحموم بيتكم؟ أم تحوّلت الكعبة في كندة؟! قالوا: ما بيتنا بمحموم ولا تحوّلت الكعبة في كندة! فلم يدخل البيت حتى نزع كل ستر في البيت غير ستر الباب! فلما دخل رأى متاعاً كثيراً، فقال: لمن هذا المتاع؟ قالوا: متاعك ومتاع امرأتك قال: مابهذا أوصاني خليلي - صلى الله عليه وسلم - أوصاني خليلي ألاّ يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب. ورأى خدماً فقال: لمن هذه الخدم؟ فقالوا: خدمك وخدم امرأتك فقال: ما بهذا أوصاني خليلي، أوصاني خليلي - صلى الله عليه وسلم - أن لا أمسك إلا ما أنكح أو أنكح، فإن فعلتُ فبغيْنَ كان عليَّ مثل أوزارهن من غير أن ينقص من أوزارهنّ شيء. ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته: هل أنتن مُخليات بيني وبين امرأتي؟ قلن: نعم فخرجن، فذهب إلى الباب حتى أجافه وأرخى الستر، ثم جاء حتى جلس عند امرأته فمسح بناصيتها ودعا بالبركة، فقال لها: هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به؟ قالت: جلست مجلس من يطاع! قال: فإن خليلي أوصاني إذا اجتمعت إلى أهلي أن أجتمع على طاعة الله عز وجل، فقام وقامت الى المسجد فصليا ما بدا لهما! ثم خرجا فقضى منها ما يقضي الرجل من امرأته، فلما أصبح غدا عليه أصحابه فقالوا: كيف وجدت أهلك؟ فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم قال: إنما جعل الله تعالى الستور والخدور والأبواب لتوارى ما فيها، حسب امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له، فأما ما غاب عنه فلا يسألن عن ذلك (١٥١).

على أن الحديث عن المعاشرة الجنسية بين الزوجين لا يأخذ حكماً واحداً على جميع الأحوال. وقدجاء في الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت ما يلي:

فمما لايجوز إفشاؤه:

مايجري بين الزوجين حال الوقاع،

فإنّ إفشاء ما يقع بين الرجل وزوجته حال الجماع أو ما يتصل بذلك حرام منهي عنه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها" (١٥٢).

والمراد من نشر السرّ: ذكر ما يقع بين الرجل وامرأته من أمور الوقاع ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة من قول أو فعل ونحو ذلك.

أما مجرد ذكر الوقاع:

فإذا لم يكن لحاجة، فذكره مكروه، لأنه ينافي المروءة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (١٥٣).

فإن دعت إلى ذكره حاجة وترتب عليه فائدة فهو مباح، كما لو ادعت الزوجة على زوجها أنه عنين، أو معرض عنها، أو تدّعي عليه العجز، فإن لم يكن ما ادعته صحيحاً فلا كراهة في الذكر، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأفعل ذلك، أنا وهذه ثم نغتسل" (١٥٤)

وقال لأبي طلحة: "أعَرَسْتُم الليلة؟" (١٥٥). والمرأة كالرجل في عدم جواز إفشاء مايجري من الرجل حال الوقاع أ.هـ (١٥٦). فذكر الأحاديث في المعاشرة الجنسية بين الزوجين بتفصيل أمرٌ قد بيّنت تفصيله؛ لأنه يعتبر من الأسرار الخاصة في العلاقة الجنسية بين الزوجين.

ويمكن لأحد الزوجين أن يدخل في التفاصيل الدقيقة في العلاقة الجنسية لو كان لهدف التقاضي أو لأجل الحاجة، ويُروى في هذا الشأن رواية تدلّل فيها على ماذكرته، وهي:

عن عكرمة: أن رفاعة طلّق امرأته، فتزوجها عبدالرحمن بن الزبير القرظي قالت عائشة: وعليها خمار أخضر، فشكت إليها، وأرتها خضرة

بجلدها، فلما جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والنساء ينصر بعضهن بعضاً! قالت عائشة: ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات، لجلدها أشد خضرة من ثوبها، قال: وسمع زوجها أنها قد أتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فجاء ومعه ابنان له من غيرها قالت: والله مالي إليه من ذنب إلا أن مامعه ليس بأغنى عني من هذه وأخذت هدبة من ثوبها! فقال: كذبت والله يارسول الله إني لأنفضها نفض الأديم! ولكنها ناشز تريد رفاعة! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: فإن كان ذلك لم تحلي له أو لم تصلحي له حتى يذوق من عسيلتك قال: وأبصر معه ابنين له فقال: بنوك هؤلاء؟ قال: نعم قال: هذا الذي تزعمين ماتزعمين! فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب! (١٥٧).

وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري أن أبا يعلى وصله عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم قال:

(خضرة جلدها) قال الكرماني: يحتمل أن تكون لهزالها، أو من ضرب زوجها لها قلت: (القائل ابن حجر) وسياق القصة رجح الثاني، وقوله: (لأنفضها) كناية بليغة في الغاية من ذلك، لأنها أوقع في النفس من التصريح، لأن الذي ينفض الأديم يحتاج إلى قوة ساعد وملازمة طويلة! ثم نقل ابن حجر: قال الداودي: يحتمل تشبيهها بالهدبة: انكساره وأنه لايتحرك وأن شدته لا تشتد! ويحتمل أنها كَنتْ بذلك عن نحافته!! أو وصفته بذلك بالنسبة للأول!! قال: ولهذا يستحب نكاح البكر لأنها تظن الرجال سواء بخلاف الثيب!! (١٥٨).

وقد جاءت قصة زوجة رفاعة عند الإمام مسلم من حديث السيدة عائشة على هذا النحو:

"عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رفاعة القرظي طلق امرأته فبَتَّ

طلاقها . فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير، فجاءت النبي فقالت: يارسول الله إنها كانت تحت رفاعة فطلقها آخر ثلاث تطليقات، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه إلا مثل الهدبة! (١٥٩) وأخذت بهدبة من جلبابها قال: فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضاحكاً (١٦٠) وقال: لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة! لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته. (١٦١) وأبو بكر الصديق جالس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخالد بن سعيد بن العاص جالس عند باب الحجرة لم يؤذن له، قال: فطفق خالد ينادي أبابكر: ألا تزجر هذه عما تجهر به عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ! (١٦٢).

وبعد أن ذكر هذه القصة الدكتور (عبدالحليم أبو شقة) - رحمه الله - في كتابه الرائع (تحرير المرأة في عصر الرسالة)، وتحت عنوان (مواقف نادرة تتعلق بالمباشرة الزوجية) قال: هنا تشكو المرأة ضياع حق من حقوقها - حسب ظنها - ولصاحب الحق مقال، ولو كان مما يستحيا عادة من قوله (١٦٣).

المطلب الرابع

كيف نتعامل مع الأسرار والمشاكل الجنسية؟

قد يعترض الحياة الزوجية عدة مشاكل جنسية منها المشاكل الصحية، كأن يكون أحد الزوجين عقيماً عقماً كلياً، ففي هذه الحالة يبقى الأمر محصوراً بين الطرفين، ولكل واحد منهما الخيار في متابعة حياته مع الآخر أم لا؟ فالعقم منه ما يعالج طبياً إذا كان عقماً جزئياً كنقص في الحيوانات المنوية

عند الرجل، أو عيب خلقي في المرأة.
ومنه العقم الدائم لقول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (١٦٤).

وقد مرّت علي حالات كثيرة من هذا النوع، فمنهم من صبر، ومنهم من طلب الطلاق، ومنهم من حاول العلاج ووفق، ومنهم من لم يوفق، ولكن يبقى الموضوع الذي ينبغي أن يراعيه الزوجان في هذه المسألة أنها من الأسرار الشخصية والتي ينبغي أن تحفظ، وإذا كانت في مرحلة الخطوبة فلا بد من المصارحة بذلك.

وقد ضربنا مثالاً لسر جنسي طبيعي، ولكن قد يكون السر عبارة عن معصية يرتكبها أحد الزوجين كأن يدمن على مشاهدة الأفلام الإباحية أو يدخل على مواقع معينة في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ليشاهد لقطات مخلة للأدب، أو يستخدم أي وسيلة من وسائل الإباحية عبر الهاتف أو المجلات أو غيرها، ففي هذه الحالة ما موقف الطرف الآخر عندما يكتشف ذلك؟!

هل يفضح أحد الزوجين الآخر؟ أم يستر عليه؟ وكيف يعالجه ويغيّر سلوكه؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تكمن في توجيه الإسلام لنا بالتعامل مع هذه الأحداث. فالأصل أن يتم التعامل معها بالستر، ومد يد العون للزوج أو الزوجة المبتلى بهذا الأمر الجنسي، لمساعدته على التخلص من مشكلته برفق وحلم، وكم من أسرة أعرفها ابتلاها الله بمثل هذه المشكلات فعالجتها وتجاوزتها بالرفق، وكم من أسرة تفككت وتشرد الأطفال بسبب جهلها في التعامل مع المشاكل الجنسية.

ولكن متى يكشف عن هذا السر؟ وما هي الحاجة؟ ومن يقدر الحاجة؟ هذا ما سأتناوله في المبحث القادم.

المطلب الخامس

الحديث والكشف عن تفاصيل المعاشرة الزوجية للحاجة

إن الحاجة هي التي تدفع أحد الزوجين أن يتحدث عن تفاصيل المعاشرة الزوجية أو المشكلة الجنسية التي يعاني منها أحد الزوجين، ولكن ما هو تعريف الحاجة؟

لقد عرفها الشاطبي في كتابه الموافقات:

(ما يفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشكلة اللاحقة بفوت المصلحة، فإذا لم تُراع (أي الحاجة) دخل على المكلفين - على الجملة - الحرج والمشقة) (١٦٥).

وجاء في الموسوعة الفقهية:

(والفرق بين الحاجة والضرورة أن الحاجة وإن كانت حالة جهد ومشقة فهي دون الضرورة. ومرتبتها أدنى منها، ولا يتأذى بفقدها الهلاك) (١٦٦).

وإنَّ تقديرها يتوقف على صاحب الحاجة أي السائل نفسه. وهو أحد الزوجين. للقاعدة الأصولية (الحاجة تقدر بقدرها) (١٦٧).

ونأخذ مثالاً على أن السائل هو أفضل من يقدر ذلك: عن عبدالله بن قيس قال: سألت عائشة - رضي الله عنها - قلت: كيف كان يصنع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجنابة؟ أكان يغتسل قبل أن ينام، أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت: كلُّ ذلك قد كان يفعل، ربما اغتسل فنام، وربما توضأ فنام. قلت: الحمدلله الذي جعل في الأمر سعة (١٦٨).

ونلاحظ هنا أن السؤال والجواب كان على قدر الحاجة. فلم يزد في السؤال عن حاجته. ولم تزد السيدة عائشة - رضي الله عنها - في الإجابة على السؤال. ولو كان الشخص السائل لا يريد أن يفضح نفسه أو غيره

فيمكنه استخدام التورية لذلك، وهذا ما فعله علي بن أبي طالب - رضي الله عنه إذ يقول:

كنت رجلاً مذاء فاستحييت أن أسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (وفي رواية: لمكان ابنته) فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: فيه الوضوء [١٦٩].

يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري تعقيباً على هذه القصة:

(قال ابن دقيق العيد: كثرة المذي هنا ناشئة عن غلبة الشهوة مع صحة الجسد..) ثم قال:

(في الحديث استعمال الأدب في ترك المواجهة لما يُستحى منه عرفاً، وحسن المعاشرة مع الأصهار، وترك ذكر ما يتعلق بجماع المرأة ونحوه بحضرة أقاربها، وقد تقدم استدلال المصنف (أي البخاري) به في كتاب العلم لمن استحيا فأمر غيره بالسؤال، لأنّ فيه جمعاً بين المصلحتين: استعمال الحياء وعدم التفريط من معرفة الحكم). [١٧٠].

المطلب السادس

اكتشاف خيانة أحد الزوجين

إن هذا الموضوع - اكتشاف خيانة أحد الزوجين - هو من الموضوعات المحرجة والحساسة، والتي تؤدي إلى قتل النفوس، وضعف الثقة واليقين بين الزوجين، وقد تهدم كثير من البيوت إن علم أحد الزوجين بخيانة الزوج الأخر، وقد يتجاوز الأمر ليصل إلى ارتكاب جريمة، أو حماقة في ساعة غضب وثورة، ولهذا كان هذا من أوجب الأمور التي ينبغي سترها إن وقعتْ، وينبغي التعامل معها بحكمة وتؤدة ورويّة، ولابد للعقل والحكمة أن تأخذ مكانها، لاسيما وأن موضوع العفة والخيانة من أصعب وأشد الموضوعات حرجاً عند العرب، بل ومن قبل أن يأتي الإسلام، وإن من يتسرع في سوء الظن والأحكام لابد أن يخطئ

في الاستنتاج والتصرف. ومن هذه النظرة الحكيمة ورد في كتاب أحكام النساء لابن الجوزي: (إذا زنت المرأة وجب عليها أن تتوب مما فعلت، وتتعلل على زوجها، فتمتنع من أن يقربها إلى أن تستبرئ نفسها. وعن الإمام أحمد بن حنبل قال: من فجر بامرأة ذات بعل لم يكن الزوج قد اطلع على ذلك فلا تعلم زوجها، بل تستر على نفسها وتتوب وتستغفر، ولتهب صداقها لزوجها) [١٧١].

كل هذه المسائل مطروحة في فقهنا وتراثنا؛ لأن دين الإسلام كما ذكر يتعامل مع واقع، وقد يسقط أحد الزوجين في المعصية، فعليه الستر والتوبة، ولكن لو اكتشف أحد الزوجين خيانة الاخر له والحياة الزوجية قائمة، ففي هذه الحالة كيف يتصرف مع الطرف الخائن؟

فإن كان الخائن مقصراً في حق ربه وهو معترف بذلك، ويطلب من الطرف الأخر المسامحة والعفو، ويعاهد على الاستقامة ففي هذه الحالة تكون المشكلة قد انتهت. أما لو كان مصراً على معصية الخيانة أو لا يظهر الندم الواضح عليها، فهنا لابد للطرف الآخر من موقف حازم، إما الانفصال وإما العزم على محاولة العلاج وبثَ الإرادة القوية لدى الطرف المقابل.

وأذكر بالمناسبة إحدى الزوجات التي قالت لزوجها الخائن: أنا على استعداد للاستمرار معك ولكن بشرط أنك كلما أردت أن تعاشرني تحضر لي قبلها شهادة طبية بأنك معافى من الأمراض التناسلية! وكان هذا هو الحل المناسب لها، فترك زوجها الخيانة!

المبحث الثاني
الأسرار المالية بين الزوجين

المطلب الأول
أهمية المال في الحياة الزوجية

المال له أهمية خاصة في الحياة الزوجية. من أجل هذا شرع المهر للمرأة. وشرعت النفقة. وقد جاء في القرآن الكريم مايدل على وجوب المهر. يقول الله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ (١٧٢)

فإنه أمر، وهو للوجوب. ويقول الدكتور أحمد الحجي الكردي في كتابه (أحكام المرأة في الفقه الإسلامي):

(والحكمة في إيجاب المهر للزوجة على زوجها الإشادة والتنويه بخطورة هذه العلاقة وأهميتها، فإنها أساس بناء المجتمع الكبير، وتخليقه وتأديبه، ثم إن إيجابه (أي المهر) على الزوج خاصة وهو الأقدر على الكسب والإنفاق، إشارة إلى مايفرضه الزواج على الزوج من متطلبات ونفقة، عليه أن يحس بها مسبقاً) (١٧٣).

ثم تحدث الدكتور الكردي في موضع آخر عن حكم النفقة في الحياة الزوجية فقال:

(نفقة الزوجة على زوجها في الشريعة الإسلامية واجبة قضاءً وديانةً، فإذا امتنع الزوج عن دفعها بلا عذر أثم عندالله تعالى في الآخرة، ورفع أمره للقاضي لينال عقابه في الدنيا، لإخلاله بواجب من واجباته الشرعية الثابتة عليه بالزواج) (١٧٤).

وعن أهمية المال في الحياة الزوجية جاءت في تاريخنا هذه القصة المعبرة:

خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان الفتى طويلاً (١٧٥) جميلاً، فأرسلت إليهما المرأة فقالت: إنكما قد خطبتماني، ولست أجيب أحداً منكما، دون أن أراه وأسمع كلامه، فاحضرا إن شئتما، فحضرا فأجلستهما بحيث تراهما وتسمع

كلامهما. فلما رآه المغيرة ونظر إلى جماله وشبابه وهيئته يئس منها، وعلم أنها لن تؤثره عليه. فأقبل على الفتى فقال: لقد أوتيت جمالاً وحُسناً وبياناً. فهل عندك سوى ذلك؟! قال: نعم فعدّد محاسنه ثم سكت. فقال له المغيرة: كيف حسابك؟ قال: مايسْقُط عليّ منه شيء. واني لأسْتدْرك منه أدقّ من الخردلة. فقال له المغيرة: لكنني أضعُ البدْرة (١٧٦) في زاوية البيت. فينفقها أهلي على مايريدون. فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها! فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لايحاسبني أحب إلي من هذا الذي يحصي علي مثل صغير الخردل! فتزوجت المغيرة (١٧٧).

ولعل هذه الرواية تبين أهمية المال في الأسرة. إلا أنني ذكرت هذه الرواية ولا أؤكد أن كل النساء يُقدمْن المال على القيم الأخرى. ولكنها تُعبّر عن الواقع الذي بدأنا نلحظه من تحول مجتمعاتنا بشكل عام إلى مجتمعات مادية حتى في الحكم على الأشخاص.

وكما أن المال شقيق الروح كما يقال، فإن كشفه يعتبر سرّاً من الأسرار.

المطلب الثاني

هل يخبر الزوج زوجته بثرواته؟

إن العلاقة الزوجية تقوى بين الزوجين كلما كانت الشفافية بينهما أكثر، ودرجة الوضوح والصراحة أكبر حتى في القضايا المالية. ولكن هذا لاينطبق على جميع الرجال وجميع النساء. فكما أن هناك رجالاً لايصارحون زوجاتهم بثرواتهم لأسباب عديدة؛ فإن هناك نساء لايستحققنَ من أزواجهن أن يصارحوهنّ. لأنهنّ قد يكُنّ سبباً من أسباب ديونه وإفلاسه. على أنّ القاعدة العامة والتي ينبغي أن يُبنى عليها الزواج هي الوضوح والصراحة، ثم كل حالة زوجية تقدّر بعد ذلك بحسب ظرفها.

ومن النصوص التي وجدتها في هذا الشأن هذا النص الذي ورد في كتاب (الفروع) لابن مفلح المقدسي، حيث قال:

وقال ابن الجوزي في كتابه (السر المصون): معاشرة المرأة بالتلطف مع

إقامة الهيبة . ولا ينبغي له أن يعلمها قدر ماله فتتبسط في الطلب؛ وإن كان قليلاً احتقرته وربما نفرت. ولا يفشي إليها سراً يخاف من إذاعته. ولايكثر من الهبة لها. فربما استوثقت ثم نفرت. وقد رأينا جماعة أطلعوا نساءهم على الأسرار. وسلموا إليهن الأموال لقوة محبتهم لهن. والمحبة تتغير. فلما ملوا أرادوا الخلاص. فصعب عليهم. فصاروا كالأسرى؛ (١٧٨).

وإن كان هذا الذي ذكره (ابن الجوزي) ينطبق على بعض النساء. لكننا لا ينبغي لنا أن نعمم. فكم من رجل صارح زوجته بثروته. وكانت هي سبباً في حفظها له واستثمارها. ولولا زوجته لضاع هو وضاعت ثروته .

المطلب الثالث

إفلاس الزوج وكثرة ديونه

إن الزوج إذا أفلس أو تكالبت عليه الديون: فإن هذا يعتبر سراً زوجياً لابد من المحافظة عليه من طرف الزوجة وعدم كشفه أو فضحه. ما لم

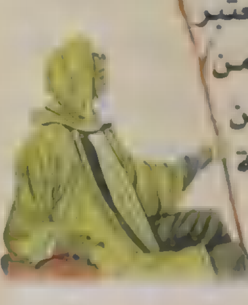

يكن هذا الأمر معروفاً ومشاعاً في المجتمع. ويحق للزوجة الحديث في الموضوع نفسه وفق القواعد العامة التي ذكرتها للحاجة أو للمصلحة.

أو لو أرادت طلب الطلاق بسبب إعسار الزوج. وفي هذه المسألة آراء للفقهاء:

١- الحنفية: لايرون حقاً للزوجة في التفريق لعدم الإنفاق. معسراً كان الزوج أو موسراً. لأن في وسعها أن تطلب الحكم عليه بالنفقة. فإن لم تجد لديه المال تستدين على حسابه (١٧٩).

٢- الشافعية: للزوجة طلب الفسخ إذا امتنع الزوج عن الإنفاق لحصول الضرر بذلك (١٨٠).

٣- الحنابلة: للزوجة الحق في طلب الفراق إذاكان الزوج معسراً ولم ينفق عليها (١٨١).

٤- المالكية: كذلك يجوز لها إذا أعسر الزوج بالنفقة أن تطلب التفريق بذلك (١٨٢).

ولا شك أن إفلاس الزوج وإعساره يؤثر على الحياة الزوجية ومستقبلها. ولهذا ناقش فقهاؤنا هذا الأمر. بل حتى الأمثال الشعبية وظفت لذلك كالمثل المصري المشهور (كان جيبك مداري عيبك. فضي جيبك ظهر عيبك)

ويقول محمد متولي في شرح قصة هذا المثال:

(يروى أن امرأة بعد أربعين عاماً من الزواج من رجل أعور، قالت له: يا أعور! فقال معاتباً: عشت معي أربعين عاماً ولم تتفوهي بذلك، ثم تقولين بعد هذا العمر الطويل: يا أعور؟! فقالت: (كان جيبك مداري عيبك.. فضي جيبك ظهر عيبك) وشاع المثل (١٨٣).

وأذكر هذا من باب الطرائف التي تجسّد الواقع، ولكن يبقى المفهوم الصحيح أن الزوجة ينبغي لها أن لا تكشف سر زوجها، ولهذا يقول الدكتور (كمال مرسي) وهو أستاذ الصحة النفسية بجامعة الكويت: هناك عدد من الزوجات يمارسن خطأً في حق أنفسهن وأزواجهن، حيث تسارع هؤلاء الزوجات وبمجرد علمهن بديون أزواجهن إلى منزل أسرهن يفشين بأسرار أزواجهن، والزوجة المتزنة يجب أن تحافظ على سرية ما يمر به زوجها من ظروف، أما إذا ذهبت الزوجة بدافع قلة الخبرة فهنا يبرز دور أم الزوجة، ويفترض أن تنصحها بأن تبقي على هذا الأمر سراً، ويمكن لوالدة الزوجة أن تكاشف زوج ابنتها وبطريقة ما تشعره بأنها في مرتبة والدته (١٨٤).

المبحث الثالث
الأسرار الاجتماعية بين الزوجين

المطلب الأول
ما المراد بالأسرار الاجتماعية؟

الأمور الاجتماعية هي التي تتعلق بالمجتمع، سواء الجانب الأسري أم الترابطي، إنها أمور تتعلق بالشعوب والعلاقات الإنسانية. وهناك علم الاجتماع العائلي sociology of family وهو الذي يدْرُسُ الأسرة دراسة علمية وصفية تحليلية، للوقوف على طبيعتها وعناصرها، والعلاقات المتبادلة بين أطرافها، والوظائف التي تؤديها، والوقوف على المشاكل التي تواجهها، ورسم طرق علاج هذه المشاكل من أجل الحفاظ على كيان الأسرة ووحدتها.

ولاننسى أن مجموعة الأسر هي التي تكوِّن المجتمعات المحلية في المجتمع العام.

هذا ما قصدناه بالأمور الاجتماعية، ومنها علاقة الزوجين بأهلهما وجيرانهما وأصدقائهما، ونقل الأخبار لهما وخاصة الأخبار الخاصة، فهذه هي الأسرار الاجتماعية، وأضرب مثلاً نقلته شبكة (لها أون لاين) الالكترونية ضمن موضوع لها بعنوان: (زوجتي تفشي أسراري) من مراسلها في (الرياض) ينقل عن أحدهم قوله: (مع أنني أسكن في بيت مستقل منذ زواجي، إلا أنني لاحظت أن زوجتي مهتمة جداً بأخبار أهلي، وبخاصة إخواني وأخواتي، حملت هذا في بداية الأمر على اهتمامها بأهلي وكأنهم أهلها، فكنت أنقل لها أسرارهم قبل أن تتم كالنية في خطبة أخي بفلانة، أو أن فلاناً تقدم لأختي ولم نعطه الرد، ثم تبين لي أنها تفشي أسرار أهلي لأهلها وصديقاتها، وقد فسدت زيجات وحدثت مشكلات بسبب إفشائها تلك الأسرار) (١٨٥).

ويلاحظ من القصة المذكورة أهمية محافظة الزوجين على أسرارهما وأسرار أهلهما عن بعضهما البعض، فليس كل ما يعلم يقال، وإن حفظ أسرار أهل الزوج وأهل الزوجة من حفظ أسرار الزوج أو الزوجة، وكم من حالة طلاق عاشتها أسر بسبب إفشاء الأسرار الاجتماعية، وخاصة إذا علمنا أن الزواج هو ليس مجرد ارتباط بين شخصين، وإنما بين عائلتين، فيتصل الزوج بإخوان زوجته وأهلها وأقاربها، وسيتعرف على عاداتهم وتقاليدهم، ويسمع أخبارهم ويحضر أفراحهم وأحزانهم، وكذلك الزوجة مع أهل زوجها، وفي كل ذلك يطلع على أسرارهم العائلية، وهما ينبغي أن يكونا أمينين عليها، وإن كشف السر الاجتماعي يترتب عليه ضرر في العلاقة الزوجية، ومن ثم في العلاقة العائلية .

المطلب الثاني
هل الزواج السري من الأسرار الاجتماعية؟

كما تحدثت عن العلاقات الاجتماعية بين الزوجين، وأنها لابد أن تحفظ قبل من الزوجين : فإنني أناقش الآن الزواج الثاني أو الآخر لو أقدم عليه الزوج سراً فهل يعتبر من الأسرار الاجتماعية؟ أم أنه يحق له فعل ذلك دون إخبار زوجته الأولى ولا يعتبر زواجه من الأسرار الاجتماعية؟

وما أريد أن أؤكد عليه أنه ما إن توافر في هذا الزواج أركانه من وليٍ وشاهدي عدل، وإيجاب وقبول ، وصداق فإنه يصبح زواجاً شرعياً ، على أن السنة هي إشهار ذلك النكاح، كما أنه لو لم يسجل هذا الزوج العقد في المحكمة الشرعية فإنه يسمى (الزواج العرفي) والفقهاء مختلفون فيه ما بين مُبيح ومحرَم. يقول الأستاذ الشيخ راشد عبدالله الفرحان في كتابه (الأحوال والمعاملات المعاصرة في الفقه الإسلامي): هو زواج يتم بولي وشاهدي عدل، وإيجاب وقبول، وصداق إلاَ أنه لم يسجل في الدفاتر والأوراق الرسمية، أمام مأذون مُرخص له بذلك، ليتخذ الصيغة الرسمية وذلك لأسباب خاصة بالزوجين، كأن يكون لأحد الزوجين دخل مالي يخشى انقطاعه، أو أن يكون فارق السن يمنع تسجيله قانوناً.

ثم يقول بعد ذلك: أما حكمه شرعاً فهو زواج كامل الأركان والشروط ينتج آثاره شرعاً، لكنه غير معترف به قانوناً لعدم تسجيله (١٨٦).

ومن المعلوم أن أيَا من الفقهاء لم يشترط الإعلان في الزواج من ثانية، لكننا نرى أنه يستحسن ذلك، لأنه من حق الزوجة الأولى أن تطلب الطلاق لوجود ضرة معها! ولأنه يجب عليه أن يعدل في القَسم بينهن، إلا إن تنازلت إحداهنَ عن ذلك، كما أنه قد تحدث وفاة أو ولادة ، وهذا يترتب عليه أحكام عدة من ميراث ونفقة ونحو ذلك .

وقد أجاز الفقهاء نكاح السر وهو الذي يشترط فيه استكتام الشاهدين (١٨٧).

كما أن في الزواج بالثانية سراً إجحافاً بحق الزوجة الأولى، فقد لاترضى بأن يكون لزوجها زوجة ثانية، وقد يقودها هذا إلى طلب الطلاق. ولهذا فعدم إخبارها يعدُ نوعاً من التعدي على حق لها قد قرره الفقهاء .

وقد سئل الدكتور (مصطفى الزرقا) رحمه الله من قبل السيدة (هدى محمد حلمي) حرم (الدكتور محمودعساف) - وهي تحضر رسالة دكتوراه - بعض الأسئلة، وكان منها هذا السؤال:

س: هل للمرأة أن تشترط في عقد الزواج مثلاً، أن تطلق نفسها من زوجها إذا تزوج بغيرها؟

ج: نعم لها ذلك .

س: وهل لكم تعليق على ذلك؟

ج: ليس للمرأة أن تمنع زوجها من الزواج عليها، ولو اشترطت عليه ذلك في عقد الزواج، لأن الله تعالى أباح له ذلك وهو أدرى بحاجته، وإنْ منعه له محاذير، ولكن المرأة كذلك لها الحق أن ترفض الزواج مع ضرة، فالتدبير الذي يحفظ لكل منهما حقه أن تشترط في عقد الزواج حقها في الطلاق إذا تزوج زوجها عليها، فتكون حينئذٍ بالخيار: أن ترضى بالبقاء في عصمته مع حفظ حقوقها في السكنى المستقلة والعدل بينها وبين ضرتها، أو تختار الفراق، وبذلك يصان حق كل من الزوجين وإرادته [١٨٨].

على أنه يجب العلم بأن كثيراً من الزيجات التي تتمُ في السر يُعلم بأمرها ولو بعد حين، وهذا فيه من التعقيدات الاجتماعية الأمر الكثير من مشاكل ونزاعات واختلافات .

إنني أرى أنه أمر غير مقبول اجتماعياً كيف نتصور أن يتفاجأ الأبناء بأن لهم أشقاء في أعمار متقدمة؟ كيف لنا أن نتصور وقع المفاجأة حينما يعلم الأقارب والأصحاب بوجود زوجة أخرى في السر؟!

حسماً للمشاكل فلا بد للرجل الذي يرغب بزوجة ثانية أن يواجه الموقف بشجاعة وحكمة، ويطرح المسألة مع زوجته الأولى، ويتحاور معها في سبب رغبته بالزواج من أخرى، إنْ هذا أسلم .

المبحث الرابع

الأسرار الشخصية بين الزوجين

المطلب الأول

ما المراد بالأسرار الشخصية؟

كل زوج يحب أن يحتفظ بأسرار خاصة به، وتختلف أسرار الناس بحسب طبائعهم وأذواقهم وخاصة الأسرار الشخصية، فقد نلاحظ في أسرة (أ) أن الزوج يعتبر نوع الطعام الذي يحبه أو يكرهه خصوصية من خصوصياته ، وسراً خاصاً به، بينما لا يرى الزوج في أسرة (ب) بأن هذا سر، ولهذا فإننا نلاحظ أنه في الأسرة الأولى لو أن الزوجة تحدثت عن زوجها وما يكره من الطعام أمام أهلها أو صديقاتها فإنه يغضب عليها، ويعتبر هذا تعدياً؛ على خصوصيته، بينما في الأسرة الثانية لو قامت الزوجة بمثل هذا التصرف فإن زوجها لا يعنفها، ولا يعتبر هذا العمل كشفاً عن أسراره الشخصية، وهكذا تختلف الأسر في تصنيفها بحسب طبائعها؛ لأننا في هذه الحالة لانتحدث عن سر اقتصادي أو صحي أو جنسي أو اجتماعي، وإنما هي أمور شخصية تمس حياة الإنسان الطبيعية كالطعام والشراب واللباس والنوم والحركة، وفي الغالب هي أمور ذوقية، أو عادات للشخص يتضايق عند الحديث عنها، حتى ولو كان الأمر متعلقاً بطريقة نوم الزوجة أو طريقة قيادة الزوج للسيارة.

المطلب الثاني

أعمال طاعات في السرّ يكشفها أحد الزوجين

إن ما سار عليه السلف الصالح أن تكون الطاعات في السرّ، وأصل هذا الأمر حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي ذر - رضي الله عنه - حين سأله عن أفضل الصدقة؟ فقال صلى الله عليه وسلم : "أفضل الصدقة سر إلى فقير وجهد من مقل" (١٨٩).

وهناك كثير من النصوص في الحث على إخفاء الطاعات. يقول عليه الصلاة والسلام: "سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب فقال: إني أخاف الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه" (١٩٠).

ومن هنا جاء ترفع الصالحين والأتقياء عن ذكر أعمال الطاعات، حتى وصل الأمر إلى الدعاء نفسه. ويقول الإمام السيوطي في كتابه (فض الوعاء):

(وقال بعض السلف: دعوة سراً أفضل من سبعين دعوة جهراً وعلانية! وقال الحسن البصري: كان «الناس يجتهدون في الدعاء ولايُسمع لهم صوت. إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم!) (١٩١).

وهذا ما قد يحدث لأحد الزوجين، أن يقوم بأعمال طاعات سراً مثل صلاة أو صدقة أو ذكر أو مساعدة ضعفاء أو سعي في مصالح الناس.

يذكر الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) بعض هذه النماذج المشرفة:

(عن محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لايدرون من أين كان معاشهم، فلما مات عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب فقدوا ذلك الذي كانوا يُؤتَون بالليل. وقال شيبة بن نعامة: لما مات عليّ وجدوه يعول مائة من أهل بيت. قلت: (القائل الذهبي) لهذا كان يبخل، فإنه ينفق سراً ويظن أهله أنه يجمع الدراهم!) (١٩٢).

وأغرب ما جاء في كتب الفقه ما جاء في (البحر الرائق) لزين بن إبراهيم بن بكر الحنفي:

الأفضل أن يفطر للضيافة، ولا يقول: أنا صائم، لئلا يقف على سره أحد! (١٩٣).

ومن هذا كله فأحد الزوجين قد يختار لنفسه أعمالاً في السر من الطاعات، وعلى الطرف الآخر أن يحترم هذه الرغبة وألا يبدي تلك الأفعال، حتى تبقى في السر ويبقى ثوابها مضاعفاً لصاحبها، وسيأتي في الباب الثاني فصل خاص حول جواز إفشاء مثل تلك الأسرار بعد وفاة صاحب السر. أ.هـ.

الفصل الرابع

الأبناء والأسرار حيث النشر والكتمان

الفصل الرابع

الأبناء والأسرار حيث النشر والكتمان

المبحث الأول

أسرار زوجية لا يصح كشفها أمام الأبناء

١- الأسرار الجنسية:

إن من يستقرئ النصوص والحوادث التي ذكرناها سابقاً، يجد أن أهم وأخطر الأسرار الزوجية هي الأسرار الجنسية التي تتعلق بخصوصيات الزوجين وما يجري بينهما في غرفة النوم، ولهذا فإن الأسرار الجنسية بين الزوجين، كما أنه لا يصح كشفها أمام الناس والأقارب، فكذلك هو حكمها مع الأبناء، وإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال: "إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها" (١٩٤).

فإن هذا الحديث على عمومه يشمل إخبار الأبناء، كما يشمل إخبار الأهل أو الأصدقاء، ومما يدل على هذا أيضاً قول الله تعالى:

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا ليستأْذنكُمُ الَّذين ملكتْ أيمانُكُمْ والَّذين لمْ يبلُغوا الحُلم منكُم ثلاث مرّاتٍ من قبل صلاة الفجْر وحين تضعُون ثيابكُم من الظهيرة ومن بعْد صلاة العشاء ثلاثُ عورَاتٍ لكُم ليْس عليكُمْ ولا عليهمْ جُناحٌ بعْدهُنّ طوّافون عليكُم بعضُكمْ على بعض كذلك يُبيّنُ اللّهُ لكُمُ الآيات واللّهُ عليمٌ حكيمٌ (٥٨) وإذا بلغ الأطفالُ منكُمُ الحُلم فليستأْذنُوا كما استأْذن الَّذين من قبْلهمْ كذلك يُبيّنُ اللّهُ لكُمْ آياته واللّهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾(١٩٥).

وقد جاء في كتاب (زبدة التفسير من فتح القدير) في تفسير هذه الآيات:

(ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) وهم العبيد والإماء.

﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ وهم الأطفال الذكور والإناث.

(ثلاث مرات) ثلاثة أوقات في اليوم والليلة.

(من قبل صلاة الفجر) لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح ثياب النوم.

(وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة)

الفصل الرابع

وذلك عند انتصاف النهار، فإنهم قد يتجردون عن الثياب لأجل القيلولة.

(ومن بعد صلاة العشاء) وذلك لأنه وقت التجرد عن الثياب والخلوة بالأهل.

(ثلاث عورات لكم) العورات: الساعات التي تكون فيها العورة، أي هي ثلاثة أوقات يختل فيها الستر [١٩٦].

ولو تأملنا في هذه الأوقات الثلاثة للاحظنا أنها أوقات اختلاء الزوج بزوجته، وهي أوقات (يختل فيها الستر) كما عبَّر بذلك صاحب التفسير، فإذا كان هذا النهي عن الولوج دون استئذان يخصّ من هم قبل البلوغ ، فكيف بمن هم أكبر من ذلك سناً؟!

٢- الأسرار المتعلقة بسقوط الهيبة وتشويه السمعة

كل إنسان منا لديه لحظات في حياته ومواقف لايحبّ أن تُكشف للآخرين، سواء كانت هذه الحوادث في ماضيه أم في حاضره، وبما أن الشفافية في العلاقة الزوجية عالية، فربما اكتشف أحد الزوجين سراً عن الآخر من غير معرفته، أو من اعترافات صاحب السر لكنه لايرغب أن ينتشر هذا السر، فيتعاهد الزوجان على ذلك، ففي مثل هذه الحالات لايصح كشف مثل هذه المواقف والأسرار للأبناء.

وكذلك لو كان لأحد الزوجين ماض سيء وعاشه الطرف الآخر معه، كأن يكون الزوجان في بداية حياتهما غير صالحين، ويقومان بسلوكيات سلبية قد تصل بهما إلى شرب الخمر، وكانا يشتركان بذلك، ولكن الله هداهما بعدما رزقا بالأبناء، ففي هذه الحالة لو كشف أحدهما ماضي الآخر للأبناء فقد يسقط ذلك من هيبتهما ويشوه سمعتهما أمام الأبناء، وقد يتخذ الأبناء والديهم قدوة في مثل هذه التصرفات، أو يحتجون بأن والديهم فعلوا ذلك سابقاً. فالستر واجب عن مثل هذه التصرفات، سواء أكانت شرب خمر أو زنا أو سرقة أو عقوق والدين أو غيرها من المعاصي.

٣- الأسرار المتعلقة بنسب الولد غير الشرعي

ومن تلك الأسرار ما يتعلق بنسب الولد، وقد جاءت فتيا للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي من سائلة :

على هذا النحو:

س: حملت من شاب قبل زواجي به، فهل الطفل شرعي؟

ج: نسب هذا الطفل نسب صحيح بحكم أمومتك له وبنوته لك، وهذا معنى قوله - صلى الله عليه وسلم: "الولد للفراش" كما أن في العلماء من صحح نسب هذا الطفل إلى الشاب الذي استغواك ثم شاء الله أن تنعقد بينكما رابطة الزواج، وعليه فإني أنصحك بأن تعاملي أنت وزوجك طفلكما هذا ولدًا لكما ذا نسبة شرعية إليكما، وحاذرا من أن تبوحا له يوماً ما بأن شيئاً غير شرعي قد صدر يوماً ما في علاقةٍ ما بينكما، ولاشك أن التائب من الذنب كمن لاذنب له (١٩٧).

المبحث الثاني

أسرار زوجية
يجب كشفها أمام الأبناء

إن كشف الأسرار الزوجية أمام الأبناء على إطلاقها مسألة تحتاج إلى تفصيل: لأن نوعية السر ومدى علاقته بالأسرة هي التي تحدد معيار كشفه للأبناء من عدمه، وإن كانت هناك مصلحة من معرفة الأبناء للسر الزوجي، فيجب كشف السر لهم بالطريقة السليمة، من غير تجريحٍ لأحد، أو تعمّدٍ للتشويه من شخصيته وهيبته، فالمعيار الأساسي هو تقدير المصلحة ووجودها، وكم من مشكلة زوجية لعب الأبناء دوراً إيجابياً في حلها عندما كُشف لهم السر، وحدّدَ لهم الدور الذي ينبغي أن يقوموا به تجاه المشكلة. ولا أنسى أن أفرق بين الأبناء المراهقين والأبناء الناضجين والأبناء الصغار، فليس كل ابن من المصلحة كشف السر له طالما أنه غير ناضج تربوياً أو حكمياً، أو أميناً على السر، أو يستطيع ضبط مشاعره وانفعالاته، وهذا معيار مهم جداً، وقد ذكر (د. عدنان الشطي) في مجلة الفرحة - وهو أخصائي نفسي - رأيه في ذلك وقال:

(يجب أن ندخل الأبناء في بعض أسرارنا، وذلك لسببين:

أولهما: تحقيق مبدأ التواصل بين أفراد العائلة الواحدة.

ثانيهما: تبادل العواطف.

ففي الأزمات - مثلاً - يظهر تعاطف الأبناء مع الآباء، فإذا شعر الأبناء أن هناك حاجزاً أو حدوداً بينهم وبين آبائهم: فإن ذلك يؤدي إلى إحساسهم بالإحباط.

ومن المراهقة، وخاصة من تجاوز

الثامنة عشر من عمره، يجب أن نشركه في مشاكلنا وأسرارنا إلى حد ما. فالأم التي تخفي سر إدمان زوجها لمدة عشرين عاماً عن أبنائها مخطئة إلى حد ما. وكان عليها أن تشرك أبناءها ليتمكنوا من علاج أبيهم) (١٩٨).

ويلاحظ أن الدكتور لم يذكر بالتفصيل أنواع الأسرار، وموقف الوالدين من كل سر. ولكنني أؤكد ماذكرته سابقاً أن القاعدة هي (المصلحة) وتقديرها عند الوالدين، مع مراعاة الهدف من كشف السر، وما هو الدور العملي والمطلوب من الابن عند كشف السر له. كما أنني أفرق بذلك على حسب نوعية الأسرار سواء كانت أسراراً صحية أو تربوية أو مالية أو سلوكية أو غيرها. وقد ورد في السيرة النبوية قصة توبة كعب بن مالك - رضي الله عنه. وكيف أنه كشف سراً سلوكياً وشرعياً لابنه عند تخلفه عن غزوة تبوك، بهدف أن يربي ابنه على الاستقامة والصدق، وحتى لا يقع مثل ما وقع والده بهذا الخطأ (١٩٩) . فهنا كشفُ السر فيه مصلحة تربوية لابن ناضج وواع يستثمر هذه المعلومة بعمل إيجابي في حياته .

المبحث الثالث

أسرار زوجية لا مشكلة في كشفها أو كتمها عن الأبناء

كما أن هناك أسراراً يجب كتمها عن الأبناء، فإن هناك، أسراراً أخرى يجب كشفها للأبناء. وهناك صنف ثالث وهو أسرار زوجية لا مشكلة في كشفها أو كتمها للأبناء. وإنما المعيار في ذلك القاعدة الأصولية المشهورة: (إذا تعارض مفسدتان رُوعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما) (٢٠٠).

ويقدر ذلك الزوجان، فهما المرجع في موضوع تحقق المفسدة أو الضرر في حالة كشف السر عن أبنائهم أو إخفائه. ويلاحظ أنه في بعض الأحيان يكشف أحد الزوجين للأبناء بعض الأسرار والتي قد يبدو محرجاً ذكرها أو فيه غضاضة في دين أحد الزوجين؛ للمصلحة في ذلك، حينما يكون في الأمر نوع من التعليم أو التنبيه أو التحذير .

وأذكر هذا المثال فقد سئل الشيخ الدكتور (عيسى زكي)- وهو مستشار شرعي في الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت - هذا السؤال:

(زوجي لايصوم، وأنا ملتزمة في الصيام، وأجد مشكلة في أن يعتاد أبنائي الصيام، فكيف أنصحهم دون أن تهتز صورة أبيهم أمام أعينهم، كما أني أريد أن ينشأ أبنائي على الصيام، فماذا أفعل في هذا الزوج غير الصائم؟)

فأجاب فضيلته إجابة حكيمة: (لابدّ أن تسعى الأم السائلة لعزل أبنائها عن التأثر بوالدهم في تهاونه بأمر الصوم، وتعتمد الوسيلة إلى ذلك بالمرحلة العمرية للأبناء ومدى إدراكهم ووعيهم، فلها أن تعتذر للأبناء عن عدم صيام والدهم بأعذار مقنعة بقدر الإمكان، ولها أن تستعمل في ذلك نوعين من التوعية والتعريف كأن تخبرهم بأن والدهم مريض تعني: مرض القلب، فإن كل عاص مريض القلب حيث استبدل المعصية بالطاعة، ولها أن تصارح أبناءها بخطأ والدهم وأن ما يفعله لايصح الاقتداء به، واختيارها لأحد الأسلوبين متوقف على وعي الأبناء وإدراكهم، ولتدعُ له بالهداية) [٢٠١].

إن التقصير في حق الله يُعدُّ معصية، ويجب أن يستر العاصي نفسه ويحفظ سره بينه وبين الله تعالى، ولكن لأن أمر الإفطار والصيام أمر معروف داخل الأسرة وأمر لايمكن ستره، لهذا لجأت الأم هنا للاستشارة لتعرف كيف تتعامل مع هذا (السر الإيماني) هل تكشفه للأبناء أم تخفيه؟ ولهذا كانت الإجابة متوقفة على مقدار الضرر والمقارنة بين مفسدتين، والقرار في النهاية يقدره أحد الزوجين.

المبحث الرابع

كشـــف الســـــر
من أجل القدوة والإقتداء

ويمكن لأحد الأبوين كشف سرٍ من أسراره وخطأ ارتكبه في ماضيه إن كان في هذا الإخبار قدوة لبنيه، حتى يقتدوا به في تصحيح سلوكه. وتصرفه الإيجابي بعدما ارتكب الخطأ، وإن كان هذا الأمر يقدره الوالدان. فعلى مستوى نضج الابن واستيعابه للأمور يمكن أن تكشف له السر. ولقد لفت نظري في قصة (توبة كعب بن مالك) رضي الله عنه وهو يروي قصة تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه حتى يربيه على أن الصدق منجاة للإنسان، وإن كان قد أخطأ في تخلفه عن رسول الله. إلا أن الذي نجاه من عقوبة الله تعالى (الصدق). فهو كشف لسر قديم من أجل تربية الابن، وهذه القصة كاملة:

عن عبد الله بن كعب - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي - قال:

"سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك. قال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة غزاها قط إلاَ في غزوة تبوك. غير أني قد تخلَفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلَف عنه. إنما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام. وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها. وكان من خبري حين تخلَفت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك أنيَ لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة. والله ما جمعت قبلها راحلتين قط

حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدواً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ "يريد بذلك الديوان" قال كعب: فقلّ رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفى له مالم ينزل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر، فتجهز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجدُّ، فأصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فياليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: كن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون، فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟!

الفصل الرابع

وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أظل قادماً زاح عني الباطل حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعتُ صدقه، وصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلَفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت فلما سلمتُ تبسّمَ تبسُّمَ المغضب، ثم قال: تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قال: قلت :يارسول الله إنيَ والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكنَّ الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عُقبى الله، والله ما كان لي عُذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك، فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا، لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأكذب نفسي، قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال قلت: من هما؟ قالوا :مرارة بن الربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة قال: فمضيت حين ذكروهما لي قال: ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال: فاجتنبنا الناس.

وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض. فما هي بالأرض التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم. فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد. وآتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة. فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ وإذا التفت نحوه أعرض عني. حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيتُ حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبُّ الناس إليّ. فسلَمت عليه. فوالله ما رد عليّ السلام. فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنَّ أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت. فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته. فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي. وتوليت حتى تسورت الجدار. فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له إليّ حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان وكنت كاتباً. فقرأته فإذا فيه: أما بعد. فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة. فالحق بنا نواسك. قال فقلت حين قرأتها: وهذه من البلاء فتيامَمْتُ بها التنور فسجرتها بها. حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي إذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتيني فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر أن تعتزل امرأتك. قال فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها فلا تقربنها. قال: فأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك. قال فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا ولكن لا يقربنهك فقالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ماكان إلى يومه .

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما يدريني ماذا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال: فلبثت بذلك عشر ليال. فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا. فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر قال: فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج. قال: فآذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا. فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إليّ فرساً وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى الجبل. فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته. والله ما أملك غيرهما يومئذ. واستعرت ثوبين فلبستهما. فانطلقت أتأمم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة. ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحوله الناس. فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب: فلما سلمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قال فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: لا بل من عند الله. وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر قال: وكنا نعرف ذلك. قال فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أمسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. قال وقلت: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي قال: فأنزل الله عز وجل﴿ لَقَد تَابَ اللهِ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد

وقال الله تعالي:

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: وعلى الثلاثة الذي خلفوا. وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن خلف له واعتذر إليه فقبل منه" (٢٠٢).

الفصل الرابع

المبحث الخامس

إخفاء الأبناء أسرارهم عن والديهم

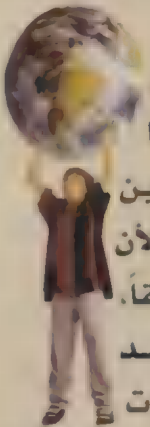

إن الأبناء يخفون بعض أسرارهم عن والديهم مهما كانت العلاقة بين الوالدين والأبناء قوية ومتينة، لأن الإنسان، وكما ذكرت سابقاً، يشعر بأهميته عند الاحتفاظ ببعض المعلومات الخاصة، وعلى درجة قوة العلاقة بين الابناء ووالديهم تكون مساحة كشف السر وعدم إخفائه. فأحياناً يرى الابن أنَ من المصلحة إخفاء السر عن والده أو والدته لأسباب كثيرة. وقد تكون الأسباب من طرف الابن كوقوعه في خطأ لايريد أن يعرفاه، أو ارتكابه معصية يريد أن يستر الله عليه. أو أن يكون السبب في أحد الوالدين كأن يكون عصبياً لايقدر على ضبط نفسه في مثل هذا الأمر، فتكون ردة فعله سلبية، فيتحاشى الابن مصارحة أبيه أو أمه بالسر، أو حتى لا يؤخذ عنه فكرة سلبية أو سيئة، فيحرص على عدم مصارحتهم، حتى تبقى صورته حسنة في نظرهم. وهناك أسباب كثيرة لذلك، ولهذا فإن الأب الواعي والناضج هو الذي يُحسن تربية ابنه على حفظ السر طالما أنه لايترتب على حفظه ضرر، لأن حفظ السر قيمة تربوية وخلق سام. ويروى أن (معاوية بن أبي سفيان) رضي الله عنه أسرَ إلى الوليد بن عتبة حديثه، فقال الوليد لأبيه عتبة: إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثاً وما أراه يطوي عنك مابسطه إلى غيرك، قال: فلا تحدثني به! فإن من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه. قال: فقلت: يا أبت، وإنَ هذا ليدخل بين الرجل وأبيه؟ فقال: لا والله يابني ولكن أحب ألا تذلل لسانك بأحاديث السر قال: فأتيت معاوية فأخبرته، فقال: ياوليد أعتقك أبوك من رقّ الخطأ، فإفشاء السر خيانة) (٢٠٣).

يلاحظ من هذه الرواية كيف كان يربي سلفنا الصالح أبناءهم على قيمة حفظ السر وأنَ إفشاء السر خيانة، سواء كان هذا الإفشاء عن النفس أو عن الآخرين.

المبحث السادس

أسرار الأبناء
تختلف بحسب الأعمار

نعم إن السر واحد، ولكن السر يختلف من عمر إلى عمر، فأسرار الأطفال تختلف في مضمونها ونوعيتها عن أسرار المراهقين، وهذه الأسرار الأخيرة تختلف عن أسرار الراشدين . والإنسان كلما كبر ونضج تختلف أسراره سواء كان هذا السر لذاته أم لطبيعة عمله، ولكن مايهمني هنا هو اختلاف السر بين كل مرحلة عمرية، فلو أخذنا بداية الأطفال؛ فإن أكثر أسرار أو مشاكل الأطفال التي يخفونها عن آبائهم تتعلق بأمور يعلم الأطفال أن آباءهم سيعاقبونهم عليها. لو أخذت في الحديث مع بعض الأباء أو الأمهات في أثناء بحثهم عن الأسرار التي يخفيها أبناؤهم فإنك ستجد أباً يقول لك: إنه لا يُحدّثني عن شجاراته مع زملائه في المدرسة! وآخر: إنه يخفي عني ذهابه إلى منزل الجيران! وآخر: إنه لايُحدثني عن فروضه المدرسية! وأماً تقول: إن ابنتي لا تخبرني بأنها كسرت تلك الكأس في المطبخ! و أخرى تقول: إن ابنتي لا تحدثني إن تحرَش بها أحد أو أباً يقول: إنه لا يحدثني بصدق إن صلى في المسجد أم لا ؟ ونحو ذلك كثير، إن الرابط الذي أراه، وهو الذي يربط كل هذا - أنّ كل أمر يعلم الطفل أن فيه عقوبة من والديه أو أحدهما . فإنه سيحتفظ به كسرَ. ولن يخبر به. إن تجاوز هذه المشكلة يقضي بأن نُخفّف - إن لم نُلْغ - عقوبات الضرب والاستهزاء والصراخ. ألا نذكر قول أنس بن مالك - رضي الله عنه - خادم رسول الله عندما يقول: "خدمت رسول الله عشر سنين، فما ضربني ضربة، ولا سبني، ولا انتهرني، ولا عبس في وجهي" (٢٠٤) .

أما المراهقون فإن الغالب في أسرارهم أنها تنحصر في أمرين:

الأول: علاقتهم مع أصدقائهم، وما يتولد عنها من مشاكل وأحداث.

الثاني: النمو الجنسي والتغيرات الفسيولوجية التي تجري في أجسامهم.

وهناك أمور أخرى يعتبرها المراهق من الأسرار في حياته، ولكن في أغلب الأحيان تنحصر أسراره فيما ذكرت من عاملين مهمين، فالأول في علاقته مع أصدقائه لأنه في مرحلة الخروج النسبي من سيطرة ورقابة الوالدين، إلى الانفتاح على الآخرين والانتماء إلى مجموعة من الأصدقاء، حيث يجد ذاته من خلالهم، فهي حياة جديدة بالنسبة له، لها طبيعتها وأسرارها، وعلى حسب قوة علاقة الوالدين مع المراهق في هذه المرحلة ودرجة المصارحة بينهما تكون نسبة المصارحة وكشف الأسرار وخصوصية الآخرين، وكذلك الحال بالنسبة للنمو الهرموني في جسم المراهق، والتقلب النفسي الذي يمر به وانتقاله من مرحلة الطفولة، إلى مرحلة الرشد، فإنه يرى أن هذه الأمور من الأمور الخاصة والسرية، وإن أكبر خطأ تربوي نرتكبه في هذه المرحلة هو ابتعاد الوالدين عن حياة ابنهم، لأنه يحتاج في هذه الفترة إلى توجيه وإرشاد حتى يستقيم مستقبله، وعلى قدر ما يبني الوالدان من ثقة وانفتاح وحب في مرحلة الطفولة فإنهما يجنيان ثمرة هذا الزرع في مرحلة المراهقة.

وأما الراشد فأسراره من نوع آخر، وغالباً تكون التصرفات التي لا يرضى عنها الوالدان، أو لم يتربَّ الوالدان عليها كالتدخين والمحرمات والتهرّب من المسؤولية والسرقة والزواج العرفي، وكل عمل مُستنكرٍ اجتماعياً، ونحو ذلك.

المبحث السابع

تربية الأبناء على حفظ الأسرار وكشفها

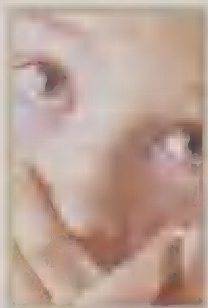

طالما أن لحفظ السر قيمة تربوية؛ فإن الآباء ينبغي لهم أن يربوا أبناءهم على المعيار الذي يضبطوا به متى يحفظ السر؟ ومتى يكشف؟ وإن كان الأصل أن يستخدم الأسلوب التقليدي - والذي كان العرب والمسلمون أجدادنا يستخدمونه مع أبنائهم - وهو النصيحة المباشرة عبر التنبيه على أهمية الأسرار، وأهمية حفظها، وكتمانها، وعدم البوح بها أو إفشائها. وأذكر في هذا المقام بعض الوصايا الواردة في هذا الشأن .

أ- وصية العباس لابنه عبدالله

قال العباس لابنه عبدالله - رضي الله عنهما -: "إني أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - يقدمك على الأشياخ . فاحفظ عني خمساً: لا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تجرين عليه كذباً ، ولا تعصين له أمراً ، ولا يطلعن منك على خيانة" . قال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خيرٌ من ألف (٢٠٥) .

ب- وصية أم أنس لأنس

عن ثابت عن أنس - رضي الله عنه - قال: أتى عليَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا ألعب مع الغلمان ، قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت : ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلتُ: إنها سر قالت: لا تحدثن بسر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحداً، قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت (٢٠٦).

ويلاحظ أن أم سليم - رضي الله عنها - وهي والدة أنس بن مالك - لم تستخدم بداية الأسلوب التقليدي، بل أرادت أن تجرب ابنها في كتمانه أو إفشائه لأمور وحاجات النبي - صلى الله عليه وسلم- ولما قال لها ابنها أن هذه الحاجة سر قالت: لا تخبرن بهذا السر أحداً .

هذا وقد جاءت هذه الرواية في صحيح البخاري لكن مختصرة:
عن المعمر بن سليمان عن أبيه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: أسر إليَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - سراً فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني أم سليم (أي أمه) فما أخبرتها به [٢٠٧].
وقد علق على هذه الرواية ابن حجر فقال:
قال بعض العلماء: كأن هذا السر يختص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنساً كتمانه [٢٠٧].
ويلاحظ في هذه الرواية فقه أنس - رضي الله عنه - وهو صغير السن لمعيار حفظ السر وكشفه، حتى لو كان السائل والدته، فإنه استطاع أن يوازن بين تعارض بر الوالدين وحفظ سر رسول الله ،و هذا يدل على تربية مميزة في حفظ السر .

ج - وصية النبي - صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس بن مالك

قال أنس: "قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة وأنا ابن ثمان سنين، فأخذت أمي بيدي فانطلقت بي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يارسول الله إنه لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا قد أتْحفَتْكَ بتحفة [٢٠٨] وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلا بُنيَّ هذا - تقصد أنساً- فخذه فليخدمك ما بدا لك، فخدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين، فما ضربني ضربة ولا سبني ولا انتهرني، ولا عبس في وجهي . وكان أول ما أوصاني به أن قال: يا بني اكتم سري تكن مؤمناً، فكانت أمي وأزواج رسول الله يسألنني عن سر رسول الله فلا أخبرهم به . ولا أخبر بسر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحداً "[٢٠٩].
ويلاحظ كيف أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استخدم الإيمان ليحث خادمه أنس على كتم الأسرار (اكتم سري تكن مؤمناً) وهذه إحدى الوسائل لنربي أبناءنا على حفظ الأسرار (استخدام الجانب الإيماني في الدلالة على أهمية الأسرار) .

المبحث الثامن

أسرار الأبناء عندما يخفيها أحد الوالدين عن الآخر

وأرى أن التنسيق بين الزوجين مهم لمواجهة مشاكل الأبناء وأسرارهم وحلها. ومن المهم أن تعلم الأم أهمية دور الأب في توجيه أبنائه وقيادتهم . وعند ذلك فلن تخفي عليه شيئاً من أسرارهم ، لكننا لا يمكن أن نتغاضى عن ملاحظة مهمة ، وهي أن سلوكيات الأب في التعامل هي التي تحدد هذا التنسيق، فقد يكون غضوباً ، أو ذا قسوة واضحة على الابناء ، أو همجياً في التعامل معهم، وهنا على الأم أن تكون حكيمة في ذلك ، وأذكر هذه القصة الواقعية والتي سجتلها مجلة (الفرحة) حيَةً من أصحاب الشأن:

(يحكي أبو حمد قصته قائلاً: إنه لم يُرزق بأبناء طيلة فترة زواجه التي استمرت أكثر من عشرة أعوام، ثم منَ الله عليه بأن رزقه بالابن الوحيد الذي شمله برعاية وعناية وحب لاحدود لها، فقد رفضت أمه أن ينشأ في وجود خادمة ، ولذا تركت العمل لتتفرغ له، وكَبُر الطفل حتى بلغ خمس سنين، ولم نرفض له خلالها طلباً واحدا ، لكن كانت صدمتي كبيرة حين علمت من أحد أصدقائي أن ابني يُدخن، وسألته عن ذلك لكنه أنكر (ملاحظة: هذه مشكلة تواجه الكثير من الآباء اليوم) وحين سألت أمه عن ذلك ردت علي بفخر أبله: ابنك صار ريال (أي رجل) دعه يدخن، إيش فيها! ونزلت الكلمات على رأسي كالمطرقة، فابني في الثانية عشرة! وثرت عليها وتوترت الأمور بيننا، فإذا كان الولد يدخن في الثانية عشرة ، فماذا يفعل حين يصبح عمره عشرين عاماً؟! ولو أن الأمر توقف عند حد السيجارة فماذا يمكن أن تفعل في صحته؟ وبدأت أضيق الخناق على الولد وأتابعه في المدرسة.

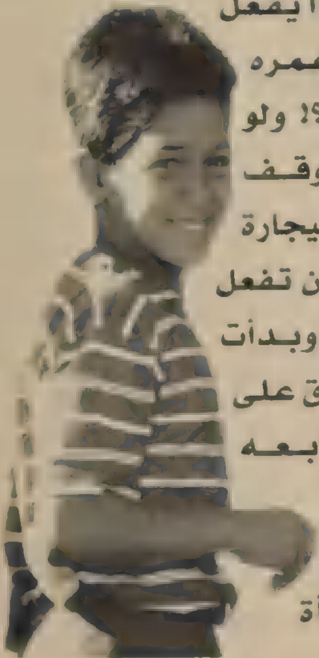

وكانت المفاجأة

الأخرى أن كل علاماته متدنية، وأنه فُصل من المدرسة عدة مرات. وكانت أمه تذهب وتتوسل إلى المدير ليعيد قيده بحجة أنني مشغول أو مسافر، وحاولت بشتى الطرق أن أجعل أمه تعي حجم الكارثة دون جدوى، حتى بلغ الأمر تهديدي لها بالطلاق. وبدلاً من تقدير الموقف صارت تتصرف بحرص أكبر وتظهر أمامي أنها تساعدني في تقويم الولد. إلى أن فوجئت بأن ابني الذي لم يتجاوز الرابعة عشرة قد ارتكب حادثاً بالسيارة وهو في المخفر! وصممت أن أتركه في النظارة ليدرك أن مافعله خطأ. وتدرك أمه أن سلوكياتها معه هي السبب في ذلك. وبقي في النظارة يومي الخميس والجمعة وأنا قلبي يتمزق. لكن كان لابد أن يستيقظ عقل الأم. وبالفعل جلسنا خلال هذين اليومين نناقش الأمور كاملة وهي على حافة الهاوية. ووسط دموعها أدركت الأم خطأ سلوكياتها. وخرج الولد من التجربة ليجد كل الأمور قد تغيرت. فلم تعد الأم توافق على أمر تعرف أنني سوف أرفضه . وأدرك الابن أن الطريق واحد . فأصبحت سلوكياته أفضل [٢١٠].

إن هذه المأساة سببها عدم معرفة التعامل مع الأسرار في العلاقة الزوجية. والأم كانت تعتقد أن إخفاء أسرار الابن عن والده فيها مصلحة له. بينما هي في الحقيقة تفسده بهذا السلوك.

لذا فإن التنسيق بين الزوجين وتوزيع الأدوار التربوية في التعامل مع أسرار الأبناء أمر مهم جداً، لتقويم سلوك الأبناء وحسن تربيتهم. فالأمر لا يدار بالعاطفة. وانما لابُدَ من الموازنة بين المضار والمنافع في الاخفاء والإشهار. ولعل الحديث يعني الأمهات أكثر لأنهن أكثر لصوقاً بالأبناء، وفي الغالب يحكي الأبناء أسرارهم للأمهات لأنهن ألين وأرحم في التعامل معهم. لكن كما أوضحت قبل قليل لايعني هذا عدم التنسيق وتوزيع الأدوار .

الفصل الخامس

الأهل والأسرار الزوجية

الفصل الخامس

الأهل والأسرار الزوجية

المبحث الأول

أســـــرار زوجـيـــة لايصح كشفها أمام الأهل

إن لكل علاقة زوجية خصوصيتها . والأصل أن يحافظ الزوجان على حياتهما الأسرية ولا يتدخل أحد بها، ولكن قد يحتاجان إلى استشارة الأهل وخاصة في بدايات الزواج، فيضطر أحد الزوجين، إلى كشف بعض الأسرار في هذه الحالة، وفي هذا الموقف يكون الأهل على نوعين:

الأول: يتفاهم، ويستوعب المشكلة . ويقوم بدور المرشد والموجه عن بعد من أجل الإصلاح وتجاوز هذه العقبة .

والثاني: أن تتجاوز الأسرة صلاحياتها. فتتدخل في حياة الزوجين، وفي هذه الحالة ربما تزيد المشكلة تعقيداً، وهذا هو المبيَن من أسباب الطلاق الرئيسية في عدة بلدان عربية:

(ففي الأردن وسوريا يعتبر تدخل الأهل من أكثر أسباب الطلاق، بينما في تونس والسعودية والكويت يأتي في المرتبة الثانية) [٢١١].

ولهذا فإنني أفرَق بين تدخل الأهل الإيجابي والتدخل السلبي، (ونحن لا ندعو إلى عدم إشراك الأهل مطلقاً وعدم السماح لهم بالتدخل مطلقاً،فهذه طريقة تفكير غربية وقد لا تناسب مجتمعاتنا، لأنه عندنا ترابط أسري عميق، لا يمكن التخلي عنه بسهولة، بينما نجد في الغرب - وفي الأفلام الغربية - كيف تمنع الزوجة أمها من التدخل في حياة ابنها أو تربيته، ولعل هذا ما جعل مؤشرات (أسباب الطلاق في الغرب) لا تشير إلى مسألة تدخل الأقارب بشكل رئيسي في الطلاق، وهي في الواقع لا تتجاوز نسبة ٢,٧٪ من أسباب الطلاق) [٢١٢].

إن تدخل العائلة أمر مطلوب حينما يقود هذا التدخل إلى استقرار الحياة الزوجية، وحينما لا يكون سبباً في انتشار أسرار الزوجين خارج

تطلعات الأسرة. وهذا ما أسميه (التدخل الإيجابي) ، بينما أرى أن التدخل في العائلة الذي يفاقم المشاكل والتدخل الذي يرجح طرف ما على الطرف الأخر. والتدخل الذي لا يدع سراً بين الزوجين إلاّ وساعد على كشفه أمام الناس ، إنما هو الذي يصح تسميته بالتدخل السلبي .

كما أنني أود من كلٍ من الزوجين، وقبل أن يسارع أحدهما لإشراك الأهل في أخص أسرارهما الزوجية، أن يسأل نفسه هذا السؤال:

- ماهي الفائدة التي سأجنيها؟
- وهل هناك حدود في كشف هذا السر؟
- وهل يقود هذا إلى زيادة مشكلة أو فضح تصرف؟
- إنها أسئلة مهمة أراها لازمة قبل التسرع في أي إخبار .

إن مراعاة كل هذه الأمور ضروري من أجل الحفاظ على العائلة. وقد لفتت الدكتورة (وفاء العساف) النظر إلى مسألة مهمة في ذلك فقالت:

(فخروج المشكلة خارج البيت يعني استمرارها واشتعال نارها. خصوصاً إذا نقلت إلى أهل أحد الزوجين. حيث لايكون الحُكمُ عادلاً - في الغالب - لأنهم يسمعون من طرف واحد. وقد تأخذهم الحمية تجاه ابنهم أو ابنتهم) (٢١٣).

المبحث الثاني

أسرار زوجية يجب كشفها للأهل

إن بعض الأسرار الزوجية يجب كشفها للأهل لأكثر من اعتبار. فقد يكون سبب الكشف لمساعدة الزوجة أو الزوج على علاج المشكلة. أو قد يكون السبب لأن المشكلة كبيرة وعظيمة، ولو صبرت الزوجة وسكتت ربما يلومها أهلها إذا اكتشفوا الأمر مستقبلاً من مصادر أخرى .

وحتى أكون أكثر واقعية أضرب بعض الأمثلة: فلو اكتشفت الزوجة إدمان زوجها للمخدرات، وحاولت أن تصلح من أمره، ولكنه ظل متمادياً. فإذا لم تكشف مرضه هذا فقد يؤدي به

إلى الهلاك . بينما لو كشفت عن حالته لساعدها الآخرون في علاجه وإنقاذه من الموت. وقد قرأت عن زوجة ندمت أشد الندم بعد موت زوجها من الإدمان . لأنها أخفت هذا الأمر عن أهلها. ولو أبلغتهم لساعدوها في إنقاذ حياته. وحالة أخرى فقد يكون الزوج يتاجر بأموال الحرام، أو يكثر من ضرب زوجته. فهل تكتم الزوجة هذا السر ؟

إنها لو أخفت هذا الأمر عن أهلها لتمادى الزوج في ضربها وإهانتها. ولكنها لو كشفت هذا السر، وتدخل أحد إخوانها أو والدها لردع الزوج ووقف عند حده .

فالمسألة إذن يقدرها الزوج أو الزوجة بمعيار: أن لو أخفى السر لتضررت العلاقة الزوجية بينهما، وقد حصل كشف سر في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - للأهل. والذي كشف السر هو النبي - صلى الله عليه وسلم- فقد ورد أن أبا بكر استأذن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن، فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً. فقال: لأقولن شيئاً أُضحكُ النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: يارسول الله لو رأيت بنت خارجة (زوجته عاتكة بنت خارجة) سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها (٢١٤)!.

فضحك رسول الله: وقال، هُنَّ حَوْلي كما ترى يسألنني النفقة! فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تَسألن رسول الله ما ليس عنده. فقلن: والله لا نسأل رسول الله شيئاً ليس عنده أبداً (٢١٥).

الفصل الخامس

الباب الثاني

الأسرار العائلية
في
النصوص الشرعية

الفصل الأول	الأسرار العائلية في النصوص القرآنية
الفصل الثاني	الأسرار العائلية في النصوص النبوية
الفصل الثالث	الأسرار العائلية في قوانين الأحوال الشخصية
الفصل الرابع	الأسرار الزوجية في بيت النبوة
الفصل الخامس	لمن يكشف السر العائلي؟ ومتى؟ ولماذا ؟
الفصل السادس	المرأة والأسرار الزوجية

الفصل الأول

الأسرار العائلية في النصوص القرآنية

الفصل الأول

الأسرار العائلية في النصوص القرآنية

المبحث الأول

إفشاء امرأة نوح ولوط أسرار زوجيهما

بين الله تبارك وتعالى لنا قصة نوح ولوط عليهما السلام، وموقف زوجتيهما منهما في كشف أسرارهما، وإخبار القوم عما يحدث لهما خاصة إذا آمن بهما من القوم أحد .

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (٢١٦).

فقد جاء في كتاب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبري في تفسير هذه الآية لمعنى (الخيانة) بأنه ليس المراد بها الزنا، وإنما كشف الأسرار والأخبار، فورد فيه:

(حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: قوله (فخانتاهما) قال: كانت خيانتهما أنهما كانت على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تُطْلعُ على سرِّ نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها. وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطاً أحدٌ أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء (فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً) (٢١٧) .

وهذه رواية صريحة في توضيح خيانة المرأتين ، وهو كشف الأسرار الزوجية، وقد جاء كذلك في (الدر المنثور) للسيوطي ما يؤيد هذا:

(أخرج عبدالرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طرق

عن ابن عباس في قوله: (فخانتاهما) قال: ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف، فتلك خيانتهما) (٢١٨).

فهذه قصة زوجية ذكرها القرآن في كشف الأسرار، ولا شك أن في ذلك ابتلاء للزوج إذا رزق بزوجة غير أمينة على حياته ولا حافظة لأسراره.

المبحث الثاني

إفشاء "خولة بنت ثعلبة" لسر زوجي

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢١٩).

قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة (٢٢٠) ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر (٢٢١) مني، اللهم إني أشكو إليك، فما بَرِحتْ حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات) (٢٢٢).

ويلاحظ هنا أن تلك الزوجة اشتكت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زوجها وكشفت له عن أسرارها الزوجية في سوء عشرة زوجها لها، وكيف أنه لم يقدر الوقت الذي صرفته من أجل راحته في شبابها، وحملت وتعبت وسهرت على الأولاد، فلم يقدرها حق قدرها، وظاهرها بدل أن يكافأها.

المبحث الثالث

إفشاء زيد بن حارثة لسر زوجي

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جاء زيد بن حارثة - رضي الله عنه - يشكو (أي يشكو صعوبة العيش مع زينب بنت جحش زوجته)، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم - يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك

قال أنس: لو كان النبي كاتماً لشيء لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفتخر على أزواج النبي تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات) (٢٢٣).

وللحديث روايات كثيرة ولكنني اخترت هذه الرواية للدلالة على أن زيداً كان يشكو إلى رسول الله مايجري في بيته من مواقف زوجية مؤداها عدم الانسجام الزوجي، وتعتبر من الأسرار، وقد جاءت الآيات القرآنية تثبت ذلك، فعن أنس بن مالك قال:

لما نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ (٢٢٤) في شأن زينب بنت جحش، جاء زيد يشكو فهم بطلاقها، فاستأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله (٢٢٥).

المبحث الرابع

إفشاء "هلال بن أمية" لسر زوجي

عن عبدالله بن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي -صلى الله عليه وسلم - بـ (شريك بن سَحْماء)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: البينة أو حدٌ في ظهرك فقال: يارسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة! فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم - يقول: البينة أو حدُ في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله مايبرئ ظهري من الحدَ، فنزل جبريل وأنزل الله عليه:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٢٦).

فانصرف النبي - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟ ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة قال ابن عباس: فتلكأت نكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم! فمضت. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء، فجاءت به كذلك. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: لو لا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن) (٢٢٧).

ويلاحظ هنا في هذه القصة العجيبة والتي نقرؤها نحن في أقل من دقائق، إلا أنها في الواقع أخذت أياماً وساعات في الزمن النبوي عندما كشف (هلال) سر زوجته، وكان يترقب الفرج في هذه المشكلة الزوجية، بل ولم يخرج السر لشخص أو شخصين وإنما تكلم به المجتمع كله، وكان يترقب ميلاد الطفل ليعرف شبهه به، بل وعلق النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد انتهاء الحادثة بتسعة أشهر بأنه سيكون له شأن مع زوجة هلال لو لا ما مضى من كتاب الله. وأكد القرآن الكريم هذه المشكلة الزوجية، ونزل بها تشريع يعمل به إلى يوم القيامة.

الفصل الثاني

الأسرار العائلية في النصوص النبوية

الفصل الثانى

الأسرار العائلية
فى النصوص النبوية

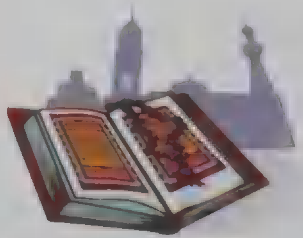

المبحث الأول

إفشاء امرأة
عبدالله بن عمرو
لسر زوجي

عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: (أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته، فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً، ولم يفتش لنا كَنفاً منذ أتيناه [٢٢٨] فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: القني به، فلقيته بعد فقال: كيف تصوم؟

قال: كل يوم.

قال: وكيف تختم؟

قال: كل ليلة.

قال: صُمْ في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر.

قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك.

قال: صُم ثلاثة أيام في الجمعة.

قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك

قال: أفطر يومين وصُم يوما.

قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك.

قال: صُم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة.

فليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أني كبُرت وضعفتُ، فكان يقرأ على بعض أهله السُّبْع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخفَّ عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوّى أفطر أياماً، وأحصى وصام مثلهنّ، كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي -صلى الله عليه وسلم-). [٢٢٩].

ويلاحظ في هذه الرواية كيف أن المرأة أفشت سراً إيمانياً وجنسياً إلى عمها، ولكن بأسلوب ذكي بعيداً عن

الشكـوى والإثـارة وتجريـح الـزوج وإهـانتـه، بـل بـطـريـقـة غيرمباشـرة من خلال مدح زوجها (نعم الرجل من رجل) قـالتها في مقدمة كلامها عنه، وبـيـنـت بـذكـاء إهماله لها من خلال مـدحـه، وقـد لفت نـظري في الـروايـة نفسية الزوج وموقفه منها عندما غيرَ سلوكه وعـولجت المشكلـة، ولم تـكن هناك أي حساسية بينه وبين زوجته؛ لإنها انتقدت سلوكه، وقد كشفت سره بطريقة ذكية ظاهرها المدح وباطنها الـنـقـد، كـمـا أنـهـا لم تجرح مشاعـره أو كبريائه أو رجولته، وهذا مما يجب أن يلتفت إليه من يبث شكواه وهمومه وأسراره الأسرية إلى أصحاب الحلول والخبرة والحكمة .

المبحث الثاني

إفشاء امرأة إسماعيل لسر زوجي

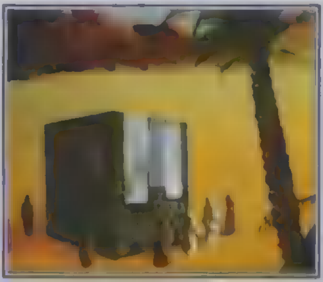

عن عبدالله بن عباس- قال النبي -صلى الله عليه وسلم - من جملة حديث طـويـل؛ (فـأقـبلوا - رفقةٌ من جُرْهم - وأم إسماعيل عند الماء - ماء زمـزم - فـقـالـوا؛ أتـأذنين لـنـا أن نـنـزل عندك؟ قالت؛ نعم ولكن لاحقَ لكم في الماء، قـالـوا؛ نـعـم، فـألـفـى ذلك أم إسماعيل وهي تحبَ الأُنس ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بـهـا أهـل أبـيـات فـيـهـم وشبّ الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعـجـبـهـم حين شبّ، فـلـمـا أدرك (أي بلغ الحلم) زوجوه امرأة منهم ،

وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يُطالع تِرْكَته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بِشرٍّ!! نحن في ضيق وشدة فشكت إليه.

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له: يُغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال: هل جاءكم أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا (أي صفته كذا وكذا، وهي لم تعرف أن هذا الشيخ هو والد زوجها) فسألَنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا في جهد وشدة.

قال: فهل أوصاك بشيء؟

قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غيِّرْ عتبة بابك، قال: ذاك أبي. وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك. فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ماشاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته، فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي عليه الصلاة والسلام: ولم يكن لهم يومئذ حبَ ولو كان دعا لهم فيه.

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومُرِيه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه، فسألني عنك، فأخبرته، فسألني عن عيشنا فأخبرته أنَّا بخير قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك [٢٣٠].

وللحديث بقية حين أُمر إبراهيم ببناء الكعبة مع ابنه إسماعيل. ولكن ما يهمني من الرواية وهو موضوع

بحثي أن الزوجة الأولى كشفت عن أسرارها الزوجية الخاصة لرجل غريب عنها لا تعرفه ولا تعرف صلته بزوجها ، كما أنها كشفت عن أسرار بيتها الاقتصادية، ووصفت عيشتها بأنها (شرٌ). فلم تقدّر كل ما قدمه زوجها من عطاء وكرم، فلهذا أوصاها سيدنا إبراهيم عليه السلام أن تخبر زوجها بأن يغيّرها ولكن بأسلوب ذكي غير مباشر. بينما الزوجة الثانية الراضية القنوعة أحسنت عشرة زوجها، ولم تكشف أسرار بيتها حتى وإن كانت تعيش أقلّ مما وصفت، وكان جزاؤها أن أبقى زوجها عليها لحسن خلقها وأدبها وحفظها للمعروف والعشرة الطيبة .

المبحث الثالث

إفشاء امرأة من الأنصار سر زوجها

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - قال: إنما كان هذا الحيُّ من الأنصار - وهم أهل وثن - مع هذا الحيّ من يهود - وهم أهل كتاب - وكانوا يروْن لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب ألاّ يأتوا النساء إلا على حرْف، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحيّ من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرْحاً منكراً، ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه، وقالت: إنا كنا نؤتى على حرف، فاصنع ذلك وإلاّ فاجتنبني! حتى شرِي أمرهما! فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم

فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (٢٣١) أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد (٢٣٢) .

ويفيد هذا النص أن المجتمع كله بدأ يتحدث في قضية جنسية خاصة بين زوجين، فكيف عرف بذلك؟ ومن أوصل له هذا الخبر؟

ولهذا لو دقَّق الملاحظ في هذا النص لوجد كلمة (حتى شرِىَ أمرهما) أي ارتفع وعظم وأصبح كالبرق باللمعان الكل يراه، وبلغ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من شدة انتشار هذا السر الزوجي فانكشف الأمر، فأنزل الله تعالى قرآناً يقرأ إلى يوم القيامة بهذه المسألة .

المبحث الرابع

إفشاء "عبدالله بن رواحة" لسر زوجي

عن عكرمة قال: كان عبدالله بن رواحة مضطجعاً إلى جنب امرأته ، فقام إلى جارية له في ناحية الحجرة فوقع عليها، وفزعت امرأته فلم تجده في مضجعه، فقامت وخرجت فرأته على جاريته ، فرجعت إلى البيت فأخذت الشفرة، ثم خرج وفرغ ، فقام فلَقيها تحمل الشفرة، فقال: مَهْيَم أي ما شأنك؟ أو ما هذا؟ فقالت: لو أدركتك حيث رأيتك لَوجَأتُ بين كتفيك بهذه الشفرة فقال: وأين رأيتني؟

قالت: رأيتك على الجارية.

قال: ما رأيتني، وقد نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقرأ أحدنا

القرآن وهو جنب. قالت: فاقرأ فقال:

أتانا رسولُ الله يتلو كتابَهُ
كما لاحَ مشهورٌ من الفجرِ ساطعُ
أتى بالهدى بعد العمى، فقلوبُنا
به موقناتٌ أنّ ما قال واقعُ
يَبيتُ يُجافي جنبَه عن فراشه
إذا استثقلَتْ بالمشركين المضاجعُ

فقالت: آمنت بالله وكذبت البصر. ثم غدا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره، فضحك حتى رأيت نواجذه -صلى الله عليه وسلم- (٢٣٣).

وعلى الرغم من طرافة الحادثة وكيف استخدم عبدالله بن رواحة - رضي الله عنه- الحيلة في التخلص من موقف زوجته الغيرى من خلال الكذب للاصلاح بين الزوجين، وهو أمر مشروع في مثل هذه الحالات؛ لأنه كان يمارس حقاً من حقوقه مع جاريته، ولكن زوجته اطلعت عليه، فأراد أن يتجنب المشكلة الزوجية التي ستقع بأن ذكر لها بعض أبيات الشعر وقرأها بطريقة القرآن الكريم، فصدقت قوله وكذبت البصر.

على أنّ الشاهد من هذا كله أنه أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بما حصل، فكشف عن سر زوجي وقع معه، وضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - من فعله حتى بدت نواجذه، لأن ما فعله يعتبر ذكاء وابداعاً لايتصور.

الفصل الثالث

الأسرار العائلية في قوانين الأحوال الشخصية

الفصل الثالث

الأسرار العائلية فى قوانين الأحوال الشخصية

لم أجد خلال بحثي عن قوانين الأحوال الشخصية الموجودة في البلاد العربية (في سوريا ومصر والكويت والأردن والعراق وغيرها) شيئاً عن الأسرار بين الزوجين، وعقوبة إفشاء هذه الأسرار، أو عقوبة من يبحث عنها، مما يدل على أن هذا الموضوع لم يأخذ حقه في تلك القوانين. ولعل مرد ذلك إلى أن أغلب تلك القوانين كانت في أواسط القرن الماضي، حيث كان الستر والخفاء ينتشر في الحياة الزوجية في بلادنا العربية والإسلامية، لكن مع انتشار الإعلام في أيامنا هذه وانفتاح الناس، وتجاوز الكثير من البشر للخطوط الحمراء التي كانت بين أسلافهم، فإن هذا الموضوع يحتاج لذكرٍ وتقنين في قوانين الأحوال الشخصية. وأهم ذكر يجب أن يكون في عقوبة مثل هذا الفعل، والذي يقضي على قدسية وخصوصية الحياة الزوجية .

وقد كنت عرضت في بحث (عقوبة إفشاء الأسرار الزوجية) في صفحة (٤١) على طرح عقوبة التعزير، وهي عقوبة لا نص فيها، بل تتبع مدى الضرر الذي يلحقه إفشاء السرّ بالحياة الزوجية أو بأحد الزوجين، ويرجع تقديرها إلى القاضي الشرعي (أو قاضي المحكمة المدنية). كما يلاحظ، فيما ذكره فقهاؤنا من العيوب التي يجوز للزوجة طلب الطلاق فيها مثل: الغيبة الطويلة، والعيوب الجنسية في الزوج، وعدم الإنفاق، وهناك (الضرر) وهو عيب ذكره الفقهاء يُصيب الزوجة بإضرار الزوج لها، وقد يعبر عنه بعض الفقهاء بـ (الشقاق) أو (سوء العشرة)..

وضابط هذا الضرر عند المالكية كما جاء في الشرح الكبير للدردير: (ولها التطليق على الزوج بالضرر، وهو مالا يجوز شرعاً كهجر بلا موجب شرعي، وضربها كذلك، وسبها وسبّ أبيها).

وذكر الفقهاء أمثلة أخرى مثل أن:

(يضر زوجته بضرب أو شتم أو تجويع أو عدم كلام أو تحول وجهه عنها في فراشه) (٢٣٤).

وقال الأستاذ الدكتور (وهبة الزحيلي) في تعريفه لذلك الشقاق:

(هو النزاع الشديد بسبب الطعن في الكرامة، والضرر: إيذاء الزوج لزوجته بالقول أو بالفعل، كالشتم المقذع (الفاحش) والتقبيح المخل بالكرامة، والضرب المبرح، والحمل على فعل ماحرم الله، والإعراض والهجر من غير عُذرٍ يُبيحه، ونحوه) (٢٣٥).

ومن المهم القول بأن الطلاق للضرر لايراه سوى المالكية، خلافاً لباقي المذاهب الفقهية الأخرى، بينما يرى الفقهاء الآخرون (الشافعية والحنفية والحنابلة) أن مثل تلك الحالات يلجأ فيها القاضي إلى الحكمين، وهما حكم من أهله وحكم من أهلها (٢٣٦).

أما في قوانين الدول العربية فقد جاء فيها عن الضرر هكذا:

القانون المصري:

إذا ادعت الزوجة إضرار الزوج بها بما لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالهما، يجوز لها أن تطلب من القاضي التفريق، وحينئذ يُطلقها القاضي بائنة إذا أثبت الضرر، وعجز عن الإصلاح بينهما. رقم ٢٥ /١٩٢٩ من المادة السادسة.

القانون اللبناني:

أعطى لكلٍ من الزوجين حق طلب التفريق للضرر، ولم يشترط أن يرتبط ذلك بكون العشرة غير مستطاعة.

جاء في قانون حقوق العائلة في ظل الخلافة التركية، والتي لا يزال لبنان يعتمدها للطوائف المسلمة:

للزوجة أن تطلب التطليق إذا أضر بها الزوج بقول أو فعل أو خلق (٢٣٧). المادة ١٣٠.

القانون السوري:

جاء فيه: إذا ادعى أحد الزوجين إضرار الآخر به بما لا يستطاع معه دوام العشرة يجوز له أن يطلب من

القاضي التفريق. إذا ثبت الإضرار وعجز القاضي عن الاصلاح فرق بينهما، ويعتبر هذا التفريق طلقة بائنة ، المادة ١١٢.

القانون الكويتي:

جاء فيه: لكل من الزوجين قبل الدخول أو بعده أن يطلب التفريق بسبب إضرار الاخر به قولاً وفعلاً بما لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالهما [٢٣٨]، المادة ١٢٦.

ومن هذا أستطيع أن أنفذ إلى القول بأن أي إفشاء لسرَ يكون فيه خسارة اقتصادية أو مالية أو معنوية لأحد الزوجين، فإن الاخر يستطيع اعتبار هذا من الإضرار به .

وقد لاحظنا أن القانون السوري والكويتي اعتبرا أن الاضرار كما يكون من قبل الزوج، يكون كذلك من قبل الزوجة، يقول في هذا الشأن الأستاذ (سالم البهنساوي):

ولكن القوانين العربية كلها ماعدا القانون السوري لم تتعرض لحالة ما إذا ثبت أن الإساءة ترجع إلى الزوجة، وقد يقال: إن إغفال ذلك يرجع الى أن الرجل يملك إيقاع الطلاق إن أساءت إليه، غير أن الطلاق من جانب الرجل يكلفه مؤخر الصداق ونفقة العدة. [٢٣٩].

وقد عالج هذه المشكلة القانون السوري وكذلك القانون الكويتي .

جاء في القانون السوري في المادة (١١٤) : وإن كانت الإساءة أو أكثرها من الزوجة، أو مشتركة بينهما، قررا (أي الحكمان) التفريق بين الزوجين على تمام المهر، أو على قسم منه يتناسب ومدى الإساءة .

بينما في القانون الكويتي جاء في المادة (١٣٠): وإن كانت الإساءة كلها من الزوجة، اقترحا (أي الحكمان) التفريق بين الزوجين نظير ردَ ما قبضته من المهر، وسقوط جميع حقوقها المالية المترتبة على الزواج والطلاق. [٢٤٠]

من كل هذا هل يمكن القول بأن إفشاء السر فيه إساءة وضرر؟!

إن تقدير هذا كما أرى يعود للقاضي أو للحكمين اللذين ينصبهما القاضي للاصلاح بين الزوجين، وطبيعي أن الأسرار لا تأخذ كلها حكماً واحداً !

يقول المستشار فتحي حسن مصطفى:

ومعيار الضرر في معنى المادة السادسة من القانون - هو يقصد القانون المصري رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م - شخصي لامادي، وتقديره بما يجعل دوام العشرة مستحيلاً بين الزوجين متروك لتقدير قاضي الموضوع، يستخلصه من وقائع الدعوى وظروفها [٢٤١].

الفصل الرابع

الأسرار الزوجية في بيت النبوة

الفصل الرابع

الأسـرار الـزوجية في بيت النبوة

المبحث الأول

هل كان للنبي ﷺ أسرار مع زوجاته؟

حتى أجيب على هذا السؤال وهو: هل كان للنبي -صلى الله عليه وسلم- أسرار مع زوجاته؟ فإني بحثت كثيراً في ذلك، واكتشفت أن النبي- صلى الله عليه وسلم - لديه أسرار في بيوت زوجاته. ولكن هذه الأسرار انكشفت بعد حين، ولعل في ذلك مصلحة

تشريعية؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لايمثل نفسه في حياته العائلية، وإن كان هو زوجاً وأباً، إلا أنه يمثل الأمة ويشرِّع لها، وقد لفت نظري موقف أم سلمة - رضي الله عنها - كيف أنها أفشت سر النبي عليه الصلاة والسلام، ومع هذا فإن الرسول -صلى الله عليه وسلم - أثنى عليها. فعن يحيى بن الجزار قال:

دخل نفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أم سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين حدثينا عن سر رسول الله -صلى الله عليه وسلم؟

قالت: كان سرّه وعلانيته سواء، ثم ندمت وقالت: أفشيت سر رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قالت: فلما دخل رسول الله أخبرته فقال: أحسنت (٢٤٢).

ويُلاحظ هنا كيف أيدَها وأثنى عليها، بينما في موقفه مع حفصة - رضي الله عنها - عندما كشفت سَره اتخذ منها موقفاً مغايراً، فقد أخرج ابن المنذر عن الضحاك قال: (أتى النبي -صلى الله عليه وسلم - جاريةَ له في يوم عائشة، وكانت حفصة

وعائشة متحابتين، فاطلَعت حفصة على ذلك فقال لها: لاتخبري عائشة بما كان مني، وقد حرَمتها عليَ، فأفشت حفصة سر النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيُها النَبيُّ لِمَ تُحرِّمُ ما أحلَ اللهُ لك ﴾ (٢٤٣) ولعل تغيير الموقف هنا عن موقف أم سلمة في موقفه مع حفصة الذي كان شديداً، لأنه أمرها صراحة بعدم الإخبار عن هذه الحادثة بقوله: (لا تخبري عائشة بما كان مني) فالقضية إذن ليست كشف سر فقط، وإنما مضافاً إليها مخالفة أمر النبي -صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني

هل كان النبي ﷺ يخفي شيئاً عن زوجاته ؟

نعم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يخص بعض زوجاته أو بعض بناته أو حتى بعض أصحابه بسر أو معلومة، ويطلب منهم عدم الإفصاح عنها، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (إن للنبي -صلى الله عليه وسلم - سراً لا أخبر به أحداً أبداً حتى ألقاه) (٢٤٤)

قال ابن حجر في فتح الباري:

قال بعض العلماء: كأن هذا السر يختص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا لو كان من العلم ما وسع أنساً كتمانه (٢٤٥).

فهذا النص يؤكد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يخفي شيئاً عند أنس رضي الله عنه، وموقف آخر يحدثنا فيه أنس - رضي الله عنه - حيث يقول:

(وكان أول ما أوصاني به أن قال: "يا بُني اكتم سري تكن مؤمنا" فكانت أمي وأزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسألنني عن سر رسول الله فلا أخبرهم به، ولا أخبر بسر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحداً). (٢٤٦) ولعل في هذا الموقف تفصيلاً أكثر بأن أمه وأزواج النبي يسألنه عن سر رسول الله، ولكنه كان حافظاً للسر ولم يكشفه لأحد. وليس هذا هو الموقف الوحيد، بل حصل موقف آخر بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وابنته فاطمة رضي الله عنها،

فعن عائشة قالت:

(كنّ أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - عنده، لم يُغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً. فلما رآها رحب بها، فقال: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارّها فبكت بكاء شديداً. فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصّك رسول الله من بين نسائه بالسر ثم أنت تبكين. فلما قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألتها: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قالت: ماكنت أفشي على رسول الله سره. حتى إذا قبض سألتها فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارّني في المرة الأولى فأخبرني: أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك. قالت: بكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارّني الثانية فقال: يا فاطمة أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت [٢٤٧].

وقد ورد في رواية الطبراني لما رفضت السيدة فاطمة أن تفشي السر في البداية قول الراوي (فشقّ ذلك على عائشة أن يكون سراً دونها) [٢٤٨].

المبحث الثالث

الناس ترغب بمعرفة أسرار النبي ﷺ في منزله

إن الناس دائماً تحب أن تعرف أخبار المشاهير والنجوم والأعلام، إما اقتداءً بها أو تطفلاً وحب استطلاع. وكون النبي - صلى الله عليه وسلم - سيد الخلق وخاتم النبيين ومن أولي العزم، كما أنه صاحب ومبلغ الديانة الإسلامية، والتي يبلغ أتباعها الملايين، فالناس ترغب بمعرفة أسراره ودقائق أخباره، وتود متابعة حركاته وسكناته حتى في بيته.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن نفراً من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - سألوا أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني (٢٤٩).

بمثل هذه الرواية وغيرها كثير يتبين لنا حب الناس في التأسي والاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم - وكونه مبلغاً عن ربه رسولاً إلى العالمين، بل إنه مما يلاحظ في مثل هذه الأيام كيف أن الناس تحب أن تقلد المشاهير والنجوم ولو كانوا على الباطل، وقد علل ذلك الإمام الشاطبي رحمه الله فقال:

(التأسي بالأفعال، بالنسبة إلى من يعظم في الناس سر مبثوث في طباع البشر؛ لا يقدرون على الانفكاك عنه بوجه ولا بحال، ولا سيما عند الاعتياد والتكرار وإذا صدف محبة وميلاً إلى المتأسي) (٢٥٠).

وهذا تحليل جميل يؤكده علماء النفس المعاصرون بأن الإنسان دائماً يحب أن يقتدي بمن يهوى ويحب، أو بالقوي ذي السلطة .

المبحث الرابع

أسرار كشفتها زوجات النبي ﷺ

أ - أسرار بيتية :

من الأسرار التي كشفتها زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - عنه طبيعةُ العلاقات بين رسول الله وزوجاته، وأشكال الحوار بينهما، ونوع الطعام الذي يتناوله النبي عليه الصلاة والسلام مع زوجاته، وميزانيته المالية. أما بخصوص طبيعة العلاقة فعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: (يا ابن أخي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفضل بعضنا على بعض

في القسم من مكثه عندنا، وكان قلّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها) (٢٥١).

ويلاحظ من خلال هذا النص طبيعة علاقة النبي - صلى الله عليه وسلم - بكل زوجة، وكيفية إدارته للوقت العائلي وتطبيق مبدأ العدل.

وأما الرواية الثانية والتي يستفاد منها طبيعة علاقة النبي بزوجته ميمونة - رضي الله عنها - وكيف حاورها في موضوع حساس بالنسبة لها، وأدار الحدث المنزلي بأسلوب حكيم وهادئ، بينما قد يدير غيره نفس الحدث ليكون سبباً من أسباب الطلاق الزوجي، فتروي لنا السيدة ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - فتقول:

"خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة من عندي، فأغلقت دونه الباب، فجاء يستفتح الباب، فأبيت أن أفتح له! فقال: أقسمتُ عليك أن تفتحي. فقلت له: تذهب إلى بعض نسائك في ليلتي؟ قال: مافعلت ولكن وجدت حقناً من بولي"(٢٥٢).

وينتهي الموقف الذي كاد أن يكون عاصفة من غير مشكلة أو أزمة زوجية، وفي هذا درس عظيم في فقه التعامل مع المرأة، وإنّ غلقها الباب من علامات حبها لزوجها، فأحسن النبي التعامل معها.

أما فيما يخص طبيعة الحوار والتعبير عن المشاعر فهناك نص آخر ترويه عائشة - رضي الله عنها - كذلك فتقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبى!

قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى قلت: لا وربّ إبراهيم. قالت: قلت: أجل والله يارسول الله ما أهْجُرُ إلا اسمك"(٢٥٣).

وأما عن طبيعة الوجبات الغذائية ونوع الطعام والميزانية العائلية فعن عائشة كذلك رضي الله عنها قالت:

(لقد مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين) (٢٥٤).

ورواية أخرى عن مسروق قال: دخلت على عائشة فدعت لي بطعام وقالت: ما أشبع من طعام فأشاء أن أبكي إلا بكيت قال مسروق: قلت: لم؟ قالت: أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله الدنيا. والله ماشبع من خبز ولحم مرتين في يوم (٢٥٥).

ب - أسرار إيمانية:

ونعني بالأسرار الإيمانية أي الأخبار الخاصة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - التعبدية، والتي كان يمارسها من صلاة وصيام وذكر وقراءة للقرآن وهو في بيته. وقد ورد في السنة نصوص كثيرة، ولكننا اخترنا منها بعض المواقف التي نقلتها لنا أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقد قالت: (صلاتان ما تركهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيتي سراً ولا علانية: ركعتان قبل الفجر وركعتان بعد الظهر) (٢٥٦).

وقالت كذلك:

(كنت أضعُ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة آنية من الليل مُخمّرة: إناء لطهوره، وإناء لسواكه، وإناء لشرابه) (٢٥٧).

وقالت كذلك:

(أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتكئ في حجري وأنا حائض، ثم يقرأ القرآن) (٢٥٨) ويلاحظ هنا أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقرأ القرآن في منزله في وضعية معينة (متكئ على حجر زوجته وهي حائض) ومثل هذه الحالة لم تنقل عن صحابته، بل هي حالة خاصة داخل بيته. على إن إفشاء مثل هذا السر البيتي الإيماني له دلالاته المهمة للمسلمين في مجال التشريع.

جـ - أسرار عاطفية

إن الأسرار العاطفية خاصة جداً، ومع ذلك فقد بينت لنا السيدة عائشة - رضي الله عنها - من أسرار النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يتعلق بموضع الحب والتعبير عن المشاعر والميل العاطفي في الحادثة المشهورة عن غيرتها من السيدة خديجة - رضي الله عنها. فعن عائشة - رضي الله عنها -

قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعرف استئذان خديجة وتذكره. فارتاع وقال: اللهم هالة بنت خويلد. فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين. هلكت في الدهر. قد أبدلك الله خيراً منها فقال: ما أبدلني الله خيراً منها .

قد آمنت بي إذ كفر الناس. وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس. ورزقني الله الأولاد منها) (٢٥٩).

ويلاحظ في هذا الموقف الكشف عن إخبار المشاعر الخاصة باتجاه الزوجة الحبيبة والتي توفاها الله تعالى. وفيها كذلك التعبير عن مشاعر عائشة - رضي الله عنها - وحبها الشديد وعاطفتها الجياشة لزوجها الحبيب. ولهذا فإن هذا الموقف يدل على شدة غيرتها .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (ما غرتُ على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا على خديجة واني لم أدركها. قالت: وكان رسول الله إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوها إلى أصدقاء خديجة قالت: فأغضبته يوماً فقلتُ: خديجة! فقال رسول الله: إني رزقت حبها) (٢٦٠).

وهناك مواقف أخرى فيها تعبير للعاطفة وبيان واضح لأحد الأسرار العاطفية في بيت النبوة. فقد قالت السيدة عائشة: (كنت أشرب وأنا حائض. ثم أناوله (أي الإناء) النبي - صلى الله عليه وسلم - فيضع فاه (٢٦١) على موضع فيَّ. فيشرب. وأتعرَق العرَق (٢٦٢) وأنا حائض. ثم أناوله النبي -صلى الله عليه وسلم - فيضع فاه على موضع في) (٢٦٣).

د - أسرار جنسية

فإذا كانت للأسرار العاطفية خصوصية فإن الأسرار الجنسية أشد خصوصية. ولكن لكونه النبي - صلى الله عليه وسلم - مشرَعاً للأمة. فقد نقلت لنا نساؤه كل خصوصياته البيتية. بل وحتى الجنسية. فعن أم سلمة - رضي الله عنها قالت: (حضت وأنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الخميلة (كساء غليظ) فانسللت فخرجت منها. فأخذت ثياب حيضتي فلبستها. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنفست؟ قلت: نعم. فدعاني فأدخلني

معه في الخميلة، ثم قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقبلني وهو صائم، وكنت أغتسل أنا والنبي - صلى الله عليه وسلم - من إناء واحد من الجنابة) [٢٦٤].

ورواية أخرى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

(مانظرت إلى فرج النبي - صلى الله عليه وسلم - أو ما رأيت فرج النبي -صلى الله عليه وسلم قط) [٢٦٥].

ورواية ثالثة عن السيدة ميمونة بنت الحارث - أم المؤمنين - رضي الله عنها أنها قالت:

(كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض) [٢٦٦].

وقد تعمدتُ ذكر ثلاثة روايات من مصادر مختلفة. فالرواية الأولى هي رواية السيدة أم سلمة رضي الله عنها. والثانية هي رواية السيدة عائشة رضي الله عنها. والثالثة هي رواية السيدة ميمونة رضي الله عنها، حتى أؤكد على أنهن كن حريصات على كشف هذا الأمر للمسلمين. وإن كان في الباب روايات كثيرة في السنة النبوية، ولكنني أكتفي بالإشارة إلى هذه النصوص.

هـ - أسرار اقتصادية

وقد وردت عدة روايات عن عائشة - رضي الله عنها - في بيان الحالة الاقتصادية والمعيشية التي كان يعيشها بيت النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -. فقد قالت:

(توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما في رَفي - الرف: مايوضع عليه الطعام - من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر من شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال عليَّ فكلْتُهُ ففني!) [٢٦٧].

وعنها أيضاً أنها قالت لعروة بن الزبير -رضي الله عنه -:

يا ابن اختي، إن كنا لننظر إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله نار! فقلت: ماكان يُعيشكم؟

قالت: الأسودان التمر والماء! إلا أنه قد كان لرسول الله -صلى الله عليه وسلم - جيران من الأنصار، كان لهم منائح كانوا يمنحون منها

رسول الله. فيسقينا! [٢٦٨] [٢٦٩].

وقد حدث عمر بن الخطاب عن نفقة أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - مما لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركاب، فكانت لرسول الله خاصة، وكان ينفق على أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح) [٢٧٠].

وفي هذه الرواية يتضح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يزود بيته بالطعام إذا توفر له، وما تبقى ينفقه على السلاح.

المبحث الخامس

هل يجوز كشف الأسرار الزوجية بعد الوفاة؟

وهذه مسألة مهمة وجديرة بالنقاش خاصة وأنه تقدم معنا قصة النبي - صلى الله عليه وسلم - مع ابنته فاطمة - رضي الله عنها - عندما أسرَ إليها فبكت ثم أسر إليها فضحكت، لكنها كشفت عن هذا السر بعد وفاته عليه السلام، وهنا تثار مسألة: هل يجوز أن يُكشف عن السر بعد وفاة صاحب السر؟!

قال ابن بطال: إنه إذا مات المُسرُ فليس يلزم من كتمانه مايلزم في حياته، إلا أن يكون عليه فيه غضاضة في دينه) [٢٧١].

وقال ابن حجر في ذات المسألة:

(والذي يظهرُ انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح وقد يستحب ذكره ولو كره صاحب السر، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك، وإلى مايكره مطلقاً، وقد يحرم وهو الذي أشار إليه ابن بطال (إلا يكون فيه غضاضة في دينه)، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يُعذر بترك القيام به، فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه أن يفعل ذلك) [٢٧٢].

فقد تحدث العلماء بشكل شامل عن كل الأسرار، وليس فقط عن الأسرار الزوجية - وحكم إفشائها بعد وفاة صاحبها - وقد جاء في هامش

موسوعة (نضرة النعيم) قول المؤلفين بعد نقل كلام ابن حجر هذا: (ولم يذكر ابن حجر متى يباح ومتى يكره، ويبدو أن ذلك يتوقف على مدى النفع أو الضرر الذي يترتب على الإفشاء) [٢٧٣].

وأرى أن الأسرار الزوجية والتربوية من هذا المنطلق والرؤيا التي حدد قواعدها ابن حجر - رحمه الله - تنقسم لأقسام خمسة:

١-ما يباح ذكرها بعد الوفاة.

٢- مايكره ذكرها بعد الوفاة.

٣- ما يستحب ذكرها بعد الوفاة.

٤- مايحرم ذكرها بعد الوفاة.

٥- ما يجب ذكرها بعد الوفاة.

ويجب ملاحظة أن ذلك الكشف لايكون فيه إضرار بالغ، وإلا أصبح محرماً. ومن هذا أؤيد ماذكره المؤلفون في كتاب (الطبيب المسلم وأخلاقيات المهنة) حيث قالوا:

(ولايُعفى الطبيب من إذاعة سرّ شخص بعذر أن صاحب العلاقة قد مات وانتهت مضارّ إذاعة السر. فربما يعود تأثير إذاعة السر على عائلته وأقربائه) [٢٧٤].

فالمعيار إذن الضرر على المتوفى، سواء كان السر صحياً أو تربوياً أو اجتماعياً. وقد كشف النبي - صلى الله عليه وسلم - سر حنظلة - رضي الله عنه - لما فيه مصلحة ومنفعة للأمة، وإن كان السر في قضية جنسية زوجية خاصة.

عن عبدالله بن الزبير - رضي الله عنه وعن أبيه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث، حيث علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله. فقال رسول الله: إن صاحبكم تغسله الملائكة، فاسألوا صاحبته. فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: لذلك غسلته الملائكة» [٢٧٥].

وجاء في رواية أخرى أن حنظلة ابن أبي عامر تزوج فدخل بأهله الليلة التي كانت صبيحتها يوم أحد، فلما صلى الصبح لزمته جميلة (زوجته) فعاد فكان معها، فأنجب منها، ثم إنه لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم. [٢٧٦].

الفصل الخامس

لمن يكشف السر العائلي ؟ ومتى ؟ ولماذا ؟

الفصل الخامس

لمن يكشف السر العائلي؟ومتى؟ولماذا؟

المبحث الأول

أضرار كشف الأسرار العائلية

إن الإنسان يحفظ نفسه وكرامته كلما كانت سمعته أمام الناس حسنة وطيبة، وما من شخص على وجه الأرض مهما بلغ من الصلاح إلاَ ولديه مواقف في حياته لو كشفت لهددت سمعته وسيرته، ولهذا فإنني أؤكد على أضرار كشف الأسرار، وإن كان من الناس من هوايته كشف الأسرار وإيذاء الآخرين حتى ولو كان كذباً، فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾(٢٧٧).

ومن الأضرار المتنوعة التي تحدث من جراء كشف الأسرار الزوجية من قبل أحد الزوجين.

١- الأضرار النفسية والمعنوية

مثل : الألم، الحزن، الاستياء.

٢- الأضرار البدنية

مثل حدوث شجار، أو اقتتال، أو وقوع قصاص، أو تعزير على أحد الزوجين.

٣- الأضرار المالية

وهذا يحدث عندما يكون في كشف السر ضياع لكسب ينتظره أحد الزوجين، أو مصلحة خُطط لتحصيلها، وخاصة فيما يتعلق بالمهنة و (سرّها) حين تكشف، وهي عادة تباع بالثمن الوفير، وقد يلزم عن كشف بعض الأسرار غرامات وتكاليف مالية على أحد الزوجين.

٤- الأضرار الاجتماعية

مثل فقد مكانةٍ بين الناس أو تشويه سمعة بسبب كشف أحد الأسرار. والبعض يظن أن هذه الكلمة (السرّ) يسيرة نتيجة لتكوينها من حرفين، لكن مع مظهرها الضئيل هذا فإن لها أخطاراً جليلة. وأتذكر في هذا المقام خوف مريم - عليها السلام - من الفضيحة أمام قومها فقالت: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا﴾[٢٧٨].

ويؤخذ من هذا عظم أمر الفضح عند ذوي النفوس الأبية .

٥- الأضرار الدينية

وذلك حينما تنتشر الغيبة والبهتان في المجتمع المسلم. وحينما يتسابق الزوجان في فضح أنفسهما وأسرارهما. ويبثان أخص وأدق تفاصيل حياتهما مما نهى عنه الشرع. ودلت على تحريمه النصوص الإسلامية [٢٧٩].

وأريد أن أضيف على هذه الأضرار بعداً أخر لم يذكر وهو:

٦- الأضرار التربوية

وأعني به عند كشف أحد الزوجين لسر الأخر. فإن الأبناء سيتأثرون من هذه العلاقة ومن المعلومات الجديدة عليهم. وقد تكون هذه المعلومات خطيرة. فتهز من شخصية الوالد أو الوالدة في نظرهم. وبعد هذه الحادثة قد يسقط مقام الوالد أو الوالدة من أعينهم ولا يقدرونه أو يحترمونه بسبب ماعرفوه من أسرار كشفت. بل قد يعُدُّ بعض الأبناء هذا السر الذي كشف بطولة في حق فاعله. فيقتدي به في الشر والسوء.

إذن من خلال ماتقدم أستطيع أن أعرف أهمية تشديد الإسلام بحفظ الأسرار وخاصة الأسرار العائلية. وأنه لابد من كتمها والحرص عليها خاصة إذا طلب صاحب السر الحفاظ على السر. لأن المصلحة تقتضي كتمه. وإلا أفسد كشفه عليه حياته. وقد حصل في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حادثة تدلل على ما ذكر ، عندما كشفت زوجة (قدامة بن مظعون) سر زوجها فكانت سبباً في عزله عن منصبه الذي ولاه عليه

أمير المؤمنين وتعيين رجل آخر، والرجل الآخر هو المغيرة بن شعبة، ونذكر الرواية بنصها:

ولما ولّى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قدامة بن مظعون الكوفة أمره ألا يخبر أحداً، فلم يكن له زاد، فتوجهت امرأته إلى دار المغيرة بن شعبة، فقالت: أقرضونا زاداً لراكب، فإن أمير المؤمنين ولى زوجي الكوفة! فأخبرت امرأة المغيرة زوجها، فجاء إلى عمر واستأذن عليه وقال: يا أمير المؤمنين وَلَّيْتَ قدامة الكوفة، وهو رجل قوي أمين! فقال عمر: ومَنْ أخبرك؟ قال: نساء المدينة يتحدثن به! فقال: اذهب وخذ العهد منه! (٢٨٠).

المبحث الثاني

متى نحتاج لكشف السر العائلي؟

إن حفظ الأسرار أصل عام لحفظ الحياة العائلية، ولكن ذلك لا يعني أنه ليس لهذه القاعدة من استثناء، ولهذا فإنني أذكر بعض الحالات التي يمكن أن نكشف بها عن السر العائلي لمصلحة معتبرة، وليس لهوى أو شهوة.

فمن هذه الحالات:

أولاً: للتعلم والبحث عن الحكم الشرعي:

وهذا ضابط ومعيار مهم، فأحياناً يضطر أحد الزوجين لكشف سر من أسرار الحياة الزوجية لمعرفة الحكم الشرعي، وليعلم هل تصرفه صحيح أم لا، ومثل هذه الحادثة:

(قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه: هششتُ - أي نشِطْتُ - يوماً، فقبَلت وأنا صائم، فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت: صنعت اليوم أمراً عظيماً، قبَلتُ وأنا صائم! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم؟ قلتُ: لا بأس بذلك، قال: فَفِيمَ؟) أي فيمَ السؤال (٢٨١).

فيلاحظ هنا أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كشف عن سرٍ زوجي من أجل معرفة الحكم الشرعي في تصرفه، وهذا ممكن. وكذلك رواية أخرى مع عائشة - رضي الله عنها- عندما كشفت سرها مع النبي - صلى الله عليه وسلم - للتعليم.

عن عروة بن الزبير أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت:

(إنْ كان رسول الله لَيُقَبّلُ بعض أزواجه وهو صائم، ثم ضحكتْ!) (٢٨٢)

يقول ابن حجر في فتح الباري تعليقاً على ذلك:

(يحتمل ضحكُها التعجب ممن خالف في هذا، وقيل: تعجَّبت من نفسها إذْ تحدث بمثل هذا، مما يستحي من ذِكْر النساءِ مِثْلهُ للرجال، ولكنها ألجأتها الضرورة في تبليغ العلم إلى ذكر ذلك. وقد يكون الضحك خجلاً لإخبارها عن نفسها ذلك، أو تنبيهاً على أنها صاحبة القصة ليكون أبلغ في الثقة بها، أو سروراً بمكانها من النبي - صلى الله عليه وسلم - وبمنزلتها منه ومحبته لها. وقد روى ابن أبي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث "فضحكت فظننا أنها هي" (٢٨٣)

ثانياً: للشكوى من الظلم وهضم الحق:

ونبقى مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في هذه الحادثة أيضاً، فقد ورد: عن محمد بن معين الغفاري قال: أتت امرأة عمر بن الخطاب فقالت: يا أمير المؤمنين، إنَّ زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكُوَهُ وهو يعمل بطاعة الله.

فقال لها: نِعْمَ الزوج زوجك. فجعلت تكرّر عليه القول وهو يكرّر عليها الجواب، فقال له كعب بن سُور الأسدي: يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه! فقال له عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما، فقال كعب: عليَّ بزوجها، فأُتي به، فقال له: إنَّ امرأتك هذه تشكوك؟ قال: أفي طعام أم شرب؟ قال: لا.

فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم أرْشَدَهْ
ألهى خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تعبُّده
نهاره وليله ما يرقده
ولستُ في أمر النساء أحمده!

فقال زوجها:

زهدت في فراشها وفي الحجل
إني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطوال
وفي كتاب الله تخويفٌ جلل

فقال كعب:

إنَّ لها حقاً عليك يا رجل
تصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودَعْ عنك العِلَل

ثم قال كعب: إنَّ الله -عز وجل- قد أحلَّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهنَّ تعبدُ فيهنَّ ربك، ولها يوم وليلة.

فقال عمر: والله ما أدري من أيِّ أمْريك أعجب، أمن فهمك أمرهما، أم من حكمك بينهما؟! إذهب فقد ولَيتك البصرة. (٢٨٤)

وفي هذه الحادثة لفتة جميلة جداً وخاصة في طريقة كشف الزوجة لسر من الأسرار الزوجية بأسلوب ذكي، حيث نالت حقها من غير تجريح لزوجها أو إهانته أو التقليل من مستواه. كما في هذه الرواية معيار مهم لكشف السر الزوجي، وهو لرفع الظلم الواقع عليها؛ لأن زوجها على الرغم من كثرة طاعاته، إلا أنه قد هضم حقها الزوجي، وحقها في الفراش والمؤانسة.

ثالثاً: الاستشارة:

وهذا معيار آخر مهم، وضابط من ضوابط كشف الأسرار الزوجية، فقد يحتار أحد الزوجين في التصرف مع الآخر والتعامل معه في سلوك معين، كأن يكون عنيداً أو بخيلاً أو متكبراً أو بعيداً عن الله، فيضطر أحد الزوجين لاستشارة المختص، وعندها لابد من كشف السر الزوجي، كما حدث مع هند بنت عتبة -رضي الله عنها- عندما قالت للرسول -صلى الله عليه وسلم-: (إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني ما يكفيني وولدي، أفآخذ من غير علمه؟

فقال: خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك). (٢٨٥)

ويلاحظ هنا كيف كشفت الزوجة سر زوجها السلوكي وهو بخله، إلى مستشار مختص وهو النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ لمعرفة كيفية التعامل الصحيح مع بخله، ولا حتى يكون هذا العيب سبباً من أسباب تدمير بيتها.

وفي واقعنا المعاصر اليوم لدينا من التقنيات ما يساعد الزوجين على الاستشارة من غير كشف

اسم أحدهما. وذلك من خلال الاستشارات الهاتفية، أو الاستشارة الالكترونية عن طريق الانترنت، وفيها ستر للزوجين مع تحقيق المصلحة. بل وحتى عبر الفضائيات لو استخدم أحد الزوجين الكنية أو اسم وصفي أو رمزي. ولكن إذا اضطر لسؤال مستشار وجهاً لوجه فلا بأس بذلك.

رابعاً: للاصلاح:

(عن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده، فقالت: يا رسول الله إن زوجي "صفوان بن المعطل" يضربني إذا صليت، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس! قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت، فقال: يا رسول الله أما قولها: يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها. قال فقال -صلى الله عليه وسلم-: "لو كانت سورة واحدة لكفت الناس" وأما قولها: يفطرني فإنها تنطلق فتصوم، وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومئذ: "لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها". وأما قولها: إني لا أصلي حتى تطلع الشمس، فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس قال: فإذا استيقظت فصل" (٢٨٦)

في هذه الرواية يلاحظ أن الزوجة كشفت أسرارها البيتية والإيمانية التي لها جوانب سلوكية، فالزوج يضربها، ويأمرها بالفطر، بالإضافة إلى أنه ينام عن الصلاة المكتوبة (الفجر)، ولكن هذا الكشف للأسرار كان هدفه الاصلاح والتقويم لا الفضح والتشهير، بالإضافة إلى أن كشف السر كان بحضرة الزوج، مما يبدو لنا أن الاتفاق كان مسبقاً بينهما للذهاب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - والاحتكام إليه، وإن لم تصلنا معلومات تفيد بذلك، ولكن هذا مما نستقرئه من الرواية.

وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٢٨٧)

وهذه الآية نزلت في الشقاق والخصام بين الزوجين، وذلك يحتاج إلى عدة أمور لحل هذه المشاكل بينهما، ومن بين تلك الأمور أن ينتدب الزوج أو أهله رجلاً من طرفه، وتنتدب الزوجة أو أهلها رجلاً من طرفها ويجتمعا ليحلا مشاكل الزوجين، ويسمى هذان المنتدبان (الحكمان). لكن أي رجل يريد الدخول في الإصلاح لابد أن يعرف المشكلة من جميع جوانبها. ومن ذلك معرفة بعض أسرار الزوجين ليكون في الصورة الواضحة، وهذا أمر واضح، وقد تناوله الفقهاء والمفسرون،، وقد جاء مثلاً في كتاب (مغني المحتاج) وتحت فصل: (في حكم الشقاق):

(تنبيه: اقتضى كلام المصنف عدم الاكتفاء بحكم واحد، وهو الأصح؛ لظاهر الآية. ولأن كلاً من الزوجين يتهمه، ولا يفشي إليه سره! وهما وكيلان في الأظهر لهما، أي عنهما) (٢٨٨).

خامساً: للتعليم والارشاد:

(عن جابر بن عبدالله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- رأى امرأة، فأتى زينب (زوجته زينب بنت جحش - رضي الله عنها) وهي تمعس منيئة لها، فقضى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه فقال: إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم المرأة فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه) (٢٨٩) (٢٩٠).

وأتساءل: كيف لجابر -رضي الله عنه - أن يعرف أن النبي - صلى الله عليه وسلم- رأى امرأة؟ ثم كيف عرف أنه أتى زينب -أم المؤمنين رضي الله عنها- فواقعها، لو لم يكن النبي - عليه السلام- أخبره بذلك، وإن لم يذكرها صراحة في النص؟

وهذا معيارٌ جديد لكشف السر الزوجي إذا كان الهدف منه التعليم والإرشاد.

وقصة أخرى حصلت مع ابن عباس حبر الأمة - رضي الله عنه - وهو يكشف سره الزوجي الجنسي، فقد جاء في الموطأ:

(عن حُمَيْد بن قيسٍ المكي، عن رجل يقال له (ذَفيفٌ) أنه قال: سئل ابن عباس عن العزل (٢٩١)؟

فدعا جارية له، فقال: أخبريهم!

فكأنها استحيت، فقال: هو ذلك، أما أنا فأفعله، يعني أنه يعزل) (٢٩٢).

وهذا موقف آخر نتعرف فيه على أن التعليم يعتبر مبرراً لكشف سر عائلي، وخاصة من قدوة أو خبير، على الرغم من خصوصية المسألة وهي من المسائل الجنسية، فيكون غيرها من الأمور الأقل خصوصية من باب أولى.

ولعل الفرق بين الروايتين أن في الأولى كان النبي -صلى الله عليه وسلم- مبادراً بكشف السر من غير سؤال، بينما في الثانية كشف ابن عباس -رضي الله عنه- السر للسائل، ولكن كلا الروايتين تجتمعان في ضابط (التعليم).

المبحث الثالث

صفات من يكشف له السر العائلي

ليس كل شخص يكشف له السر العائلي، بل لابد أن تتوافر فيه جملة من الصفات، وقد جمعها "الماوردي" رحمه الله في خمسة فقال:

١- عقل كامل مع تجربة سالفة.

٢- أن يكون ذا دين وتُقى.

٣- أن يكون ناصحاً ودوداً.

٤- أن يكون سليم الفكر من همّ قاطع، وغم شاغل.

٥- أن لا يكون له في الأمر المستشار غرض يتابعه، ولا هوىً يساعده) (٢٩٣).

كما إن هناك صفة مهمة لابد من توفرها في الشخص الذي نكشف له السر، وهي (الكتمان وحفظ الأسرار)، حتى يطمئن من يكشف سره فيتحقق هدفه الذي من أجله كشف السر، ولهذا مُدح الحافظون للأسرار لدى الشعراء:

يقول الأحوص:

كريمٌ، يميت حتى كأنهُ
عمٌ بنواحي أمره وهو خابرُ

ويقول قيس بن الخطيم:

كتومٌ لأسرار الخليل أمينها
يرى أنْ بثّ السرّ قاصمةُ الظهرِ

ويقول المتنبي:

وللسرِّ مني موضعٌ لا يناله
نديمٌ، ولا يفضي إليه شرابُ

(٢٩٤)

فالحفظ والكتمان شرط أساس للشخص الذي نكشف له عن أسرارنا. ولهذا يكون شرط الدين مقدماً، لأن صاحب الدين يشعر بأمانة الكلمة والمسؤولية. فتوفر العلم للمستشار أمرٌ ضروري حتى يستطيع أن يشير على من كشف سره. ويقول الحافظ عبدالرؤوف المناوي في شرحه لحديث المستشار مؤتمن:

(قال بعض الكاملين: يحتاج الناصح والمشير إلى علم كبير كثير، فإنه يحتاج أولاً إلى علم الشريعة، وهو العلم العام المتضمن لأحوال الناس وعلم الزمان وعلم المكان، وعلم الترجيح، إذا تقابلت هذه الأمور، فيكون ما يصلح الزمان يفسد الحال أو المكان، فينظر في الترجيح فيفعل بحسب الأرجح عنده).

ثم يقول بعد ذلك بأسطر: (فلذلك قالوا: يحتاج المشير والناصح إلى علم وعقل وفكر صحيح ورؤية حسنة، واعتدال مزاج، وتؤدة وتأن، فإن لم تجمع هذه الخصال، فخطؤه أسرع من إصابته) (٢٩٥).

وقد ذكرت عدة صفات، ولكن لا يشترط توفرها كلها في المستشار حتى يستشار ويكشف له عن السر، بل يكفي توفر بعضها، ولهذا فإنني سأستعرض للأشخاص الذين نكشف لهم عن أسرارنا وتتوفر فيهم بعض هذه الصفات.

أ- العالم وأهل الذكر

فأهل الذكر والعلماء هم مرجع الأمة، وبهم نستنير، ولهذا فإن العلماء هو بوصلة الإنسان، يساعدونه في البحث عن طريق الهداية ومعرفة الاتجاه الصحيح، لأنهم ورثة الأنبياء، ولهذا:

(جاء رجل إلى عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما- فقال: كنت آتي أهلي في دبرها،

وسمعت قول الله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ (٢٩٦) فظننت أن ذلك لي حلال! فقال: يا لكع، إنما قوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ قائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة في أقبالهن، لا تعدو ذلك إلى غيره) (٢٩٧).

وهذا موقف آخر يرويه مالك بن يحيى بن سعيد:

(أن رجلاً سأل أبا موسى الأشعري فقال: إني مصصتُ عن امرأتي من ثديها لبناً، فذهب في بطني!

فقال أبو موسى: لا أراها إلا قد حرمت عليك!

فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه -: انظر ماذا تُفتي به الرجل؟!

فقال أبو موسى: فماذا تقول أنت؟

فقال ابن مسعود: لارضاعة إلا ماكان في الحولين، فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحبرُ بين أظهركم) (٢٩٨).

فالعالم وأهل الذكر هم أهل الاستشارة لتوفر جميع الصفات التي ذكرتها سابقاً بهم، ولكل علمٍ وفنٍ أهله، فإن كانت الاستشارة شرعية، فيستشار أهل الذكر الشرعيون، وإن كانت الاستشارة نفسية يستشار الأطباء النفسانيون، فهم أهل العلم في هذا الفن، وهكذا كل فن وعلم له أهله والمستشارون فيه.

ب - الأهل والأقارب

فالأهل والأقارب هم أول من يلجأ لهم في الاستشارة لعدة أسباب:

منها أنهم أقرب إلى الشخص المحتاج للاستشارة سواء كان زوجاً أو زوجة.

كما أن الأهل في الغالب عندهم فكرة عن تاريخ كل زوج وماضيه وتاريخ عائلته، مما يفيد في الاستشارة، ولكن الأصل أن تتوفر صفات الاستشارة في المستشار حتى يكون أهلاً لذلك، وقد أوصانا الله تعالى أن نستشير وندخل الأهل لحل الخلافات الزوجية حيث قال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٢٩٩)

فإذا كان الله تعالى حث على تدخل الحكمين من الأهل وقت النزاع والشقاق فمن باب أولى استشارتهما.

وعلى من يطلب المشورة أن يتخير من يصلح من أهله للمشورة، فيكون ثقة وعدلاً وأميناً ومتوفراً فيه الصفات السابق ذكرها.

ج - الصديق الحكيم

إن الصديق الذي يصدق في قوله، ويكون صادق المشاعر مع صاحبه، فلا يجامله أو يُحابيه. فإذا كان الصديق حكيماً، وتوفرت فيه صفات المستشار أو بعضها، فهنا يصلح للمشورة، سواء أكانت مشورة من الصديق لصديقه مباشرة أم كانت من أحد الزوجين لصديق الطرف الآخر، وقد حدث هذا في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد: (آخى رسول الله بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُبتذلة - أي لابسة ثياب المهنة - فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال أبو الدرداء لسلمان: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم، فنامَ، ثم ذهب يقوم فقال له: نمْ فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلّيا جميعاً، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان) (٣٠٠).

ويلاحظ في مطلع الحديث (آخى رسول الله بين سلمان وأبي الدرداء) وهذا يدل على أن أم الدرداء لم تجد حرجاً في ذكر ابتعاد أبي الدرداء زوجها عن مقاربتها إلى أخيه في الإسلام سيدنا سلمان رضي الله عنه - فاستشارة الصديق الحكيم والأخ في الله ممكنة بشرط توفر الشروط السابق ذكرها أو بعضها.

وقد ورد سؤال للدكتورة (عبلة الكحلاوي) وهي - أستاذة الفقه: بجامعة الأزهر الشريف - على هذا النحو:

(حينما لا تطيق الزوجة أفعال زوجها وتصرفاته، فإنها أحياناً تبث شكواها إلى إحدى صديقاتها المقربات، فهل يُعدَ ذلك إفشاء للأسرار الزوجية؟).

فأجابت الدكتورة عبلة: (إذا كان يُرجى من ذلك حلَ المشكلة فلا بأس،

أما غير ذلك فنصيحتي "سرك في دمك" لا تطلعي أحداً على أسرارك) (٣٠١)

وإذا عدنا للسيرة النبوية عرفنا قوة الصداقة والمحبة بين أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - والرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكيف أنه حفظ سر حبيبه في رغبته من الزواج بحفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - حتى لأبيها عمر! وهذا يدل على أن الأسرار العائلية لا تقال لأي شخص. (٣٠٢)

المبحث الرابع

متى يباح كشف الأسرار الزوجية؟

إن الأصل هو حفظ السر وعدم البوح به. ولكن هذا لايعني أنه لاتوجد حالات لايباح فيها كشف الأسرار، وانني سوف أتعرض في هذا المبحث للحالات التي يمكن فيها كشف السر وإباحته، وهي كالتالي:

المطلب الأول

إذا باح بالسر صاحبه نفسه

جاء في قصة عرض عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- لابنته حفصة بعدما تأيمت من خنيس بن خذافة السهمي، وعرضها على عثمان بن عفان فاعتذر، ثم عرضها على أبي بكر الصديق - رضي الله عن الجميع - يقول عمربن الخطاب: فصَمت أبو بكر فلم يرجع إلي بشيء، وكنت أوجد عليه (أي أكثر غضباً) مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو تركها رسول الله قبلتها (٣٠٣).

وقد قال ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذا الحديث:

وفيه (أي فوائد الحديث) أنّ من حلف: لايُفشي سرّ فلان فأفشى فلان سرّ نفسه، ثم تحدث به الحالف لايحنث: لأن صاحب السرّ هو الذي أفشاه، فلم يكن الإفشاء من قبل الحالف، وهذا بخلاف ما لو حدّث أحدٌ آخر بشيء واستحلفه ليكتمه، فلقيه رجل فذكر له أن صاحب الحديث حدّثه بمثل ما حدّثه به، فأظهر التعجب، وقال: ما ظننت أنه حدّث بذلك غيري فإن هذا يحنث: لأن تحليفه وقع على أنه يكتم أنه حدّثه، وقد أفشاه [٣٠٤].

فقد وضّح لنا (ابن حجر) - رحمه الله - من أنّ صاحب السر لو باح بسره ثم أفشى من أُمِرَ بحفظ السر به فإنه لا شيء عليه، لأن السر خلاف الإعلان والسر هو الكتمان، وإذا باح بالسر صاحبه فغيره أولى بإباحة هذا السر.

المطلب الثاني

إذا أذن صاحب السر بإفشائه

وأما الحالة الثانية في إباحة الأسرار العائلية فهي فيما لو أذن صاحب السر إلى من أفشى له سره بأن يبيحه.

وهذه الإباحة قد تكون مشروطة بأشخاص معينين، أو قد تكون مفتوحة للجميع، وفي هذه الحالة على من يحفظ السر الالتزام بشروط صاحب السر.

أما في مسألة الإباحة في هذه الحالة، فلا شيء على من يبيح السر، لأنه لم يتصرف من ذاته، وإنما تصرف بإذن من صاحب الحق، وهنا ينتفي المحظور الشرعي والاجتماعي والعقلي والعرفي: لأن صاحب السر تنازل عن حقه في عدم الإخبار بسره.

المطلب الثالث

وفاة صاحب السر

تقدم معنا حديث حفظ فاطمة بنت الرسول -صلى الله عليه وسلم- لسر أبيها الذي أخفاه عن زوجاته وأخبرها به . ولما طلبت السيدة عائشة من فاطمة أن تخبرها رفضت وقالت : ماكنت لأفشي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سره، قالت السيدة عائشة : فلما توفي رسول الله قلت: عزمتُ عليك (يافاطمة) بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

فقالت: أما الآن فنعم... إلخ الحديث). (٣٠٥)

فقد ورد في كتاب (المعتصر من المختصر من مشكل الآثار) ما يلي:

(إنما جاز لفاطمة الإخبار بما أسر إليها، لأن ذلك السرَ ظهر بموته، فخرج من خبر السرَ إلى ضده، فأطلق لها الإخبار) (٣٠٦).

وفي هذا يقول ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري:

(إذا مات صاحب السر، فإنه لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته، إلا أن يكون فيه غضاضة في دينه) (٣٠٧).

وهذا ليس على الإطلاق، بل لا بد من وجود ضوابط قد تكلمت عنها فيما تقدم - في المبحث الخامس من الفصل الرابع في الباب الثاني ص١٦٦ فما بعد

المطلب الرابع

انقضاء المدة التي حددها صاحب السر

والحالة الرابعة هي لو اشترط صاحب السر وقتاً محدداً لحفظ هذا السر العائلي، ثم انقضى هذا الوقت، ففي هذه الحالة لو أباح من يحفظ السر بالسر فلا شيء عليه؛ لأن الوقت قد انقضى، ولأنَ الحاجز والمانع الذي كان يمنع من كشف السر قد مضى، فالسرَ هنا مؤقت بوقت محدَد، وعلى من يعلم بهذا السرَ أن يلتزم بالوقت الذي حدَده صاحب السرَ.

المطلب الخامس

دفـــع خطـــر

وهذه حالة مهمة جداً في إباحة السر خاصة إذا كان السر متعلقاً بتحقيق الضرر بالآخرين، كإحداث جريمة، أو سلب مال أو سفك دم، ولهذا قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

"المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق" (٣٠٨).

ومعنى الحديث: أن مايدور في المجالس هو بمثابة الأمانة التي لايجوز إفشاؤها إلا إن كان في ذلك المجلس خطر معتبر شرعاً،من مثل (سفك دم) وغيره، والضرر يقدر بقدره، وعلى من حفظ السر أن يبوح به لو كان في السر معلومة تقتضي الإضرار بالآخرين، فحفظ مال المسلم ونفسه وعرضه ودينه أولى ومقدم على حفظ السر.

المطلب السادس

في حالة الإفشاء للشهادة

وهذا كله يصب في صالح مفشي السر الزوجي، خاصة إذا كان طرفاً في القضية المرفوعة للقضاء، وكان سكوته يؤدي إلى حدوث ضرر له من (غرامة مالية / سجن /قصاص) فهنا يذهب من يحفظ السر إلى القضاء، ويكشف السر لمصلحة تحقيق العدالة.

المطلب السابع

أن يؤدي الكتمان إلى ضرر أبلغ من ضرر الإفشاء

وهذه قاعدة أساسية في التعامل مع الأسرار، فلو تيقن من يحفظ السر أن حفظه للسر وكتمانه سيؤدي إلى ضرر أبلغ وأكبر من ضرر الإفشاء، ففي هذه الحالة نقدم الإفشاء على الكتمان؛ لأن فيها مصلحة لصاحب السر، وأمثلة ذلك كثير منها:

أ- الضرر العام: كأن يكون أحد الزوجين مصاباً بمرض معد وهو يختلط بالآخرين، أو مصاباً بداء الصرع وأراد قيادة السيارة، وهنا يجوز بل لابد من الإفشاء.

ب - إعلان الاعتداءات: وذلك إذا تعرض أحد الزوجين للتسمم جراء محاولة مقصودة من الطرف الآخر مثلاً.

جـ - إذا كانت حياة أحد الزوجين مهددة بالخطر إذا كُتِم السر:

كمحاولة الإنتحار، أو إذا أراد أحد الزوجين إحداث أضرار بنفسه وجسمه، وهنا يحاول الطرف الآخر كشف هذا السر، والاتصال بالمسؤولين من قبل الأقارب أو السلطات الرسمية أو الأطباء.

الفصل السادس

المرأة والأسرار الزوجية

الفصل السادس

المـــــرأة والأسرار الزوجية

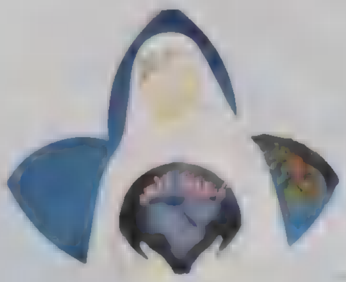

المبحث الأول

هل المرأة تحفظ الأسرار الزوجية؟

إن هذا سؤال مهم، ويجب قبل الإجابة عليه أن نتعرف على النظرة التاريخية في كيفية التعامل مع هذا الموضوع، وأبدأ أولاً بنظرة العرب:

إن العرب في القديم كانت لهم نظرة خاصة في التعامل مع المرأة، ولهذا كانوا يحذرون من إعطاء أيّ أسرار للزوجة، وقال بعض الشعراء:

ولستَ مُحدِّثاً سرّي خليلي
ولا عرسي [٣٠٩] إذا خطرتْ هُمومُ
وأطوي السرّ دون الناس إني
لِما استودعتَ من سرّ كَتومُ [٣١٠]

وقد جاء في كتب الأدب مثل هذا كثير، وقد ذكر الراغب الأصفهاني في كتابه (محاضرات الأدباء) هذا المثل:

قيل: لا تطلعوا النساء على سرّكم تَصلُح أموركم [٣١١].

وجاء في (العقد الفريد):

ومن أحسن ما قاله الشعراء في السرّ قول عمر بن أبي ربيعة:

فقالتْ وأرختْ الستر: إنما معي، فتحدّث غير ذي رقْبة أهلي
فقلت لها: ما بي لهم من تَرقُّب ولكنّ سرّي ليس يحمله مثلي [٣١٢]

وقد ظل العرب على ذلك من عدم استئمان النساء على الأسرار، حتى بعد مجيء الإسلام. وإن كان الإسلام قد قدّر المرأة ورفع من مكانتها. ومن تأمّل علاقة النبي -صلى الله عليه وسلم- بنسائه ونساء المسلمين تبين له كيف أنه احترمهن ووثق في حفظهن

للأسرار من خلال مواقف كثيرة: منها حفظ السيدة خديجة - رضي الله عنها - لسر زوجها عندما أخبرها النبي عليه الصلاة والسلام بما حدث معه من أخبار الوحي، وحفظ النساء اللائي بايعن النبي - صلى الله عليه وسلم- ببيعة العقبة، وحفظ أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - سرَّ الهجرة وغيرها من المواقف كثير، وسآتي لها لاحقاً.

أما العرب بعد مجيء الإسلام فقد بقي منهم من يعتقد أن المرأة لا تحفظ السرَ أبداً. وأذكر مثالاً على ذلك هذه القصة الطريفة التي ذكرها الإمام ابن الجوزي في كتابه الأذكياء:

قال (زهير بن حسن) مولى (الربيع بن يونس):

قدم (الحجاج) على (الوليد بن عبدالملك)، فصلى عنده ركعتين، وركب الوليد فمشى الحجاج بين يديه، فقال له الوليد: اركب يا أبا محمد فقال: يا أمير المؤمنين دعني استكثر من الجهاد فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عن الجهاد زمناً طويلاً، فعزم عليه الوليد أن يركب ودخل فركب مع الوليد، فبينما هو يتحدث ويقول: ما فعلت بأهل العراق وفعلت أقبلت جارية فنادت الوليد ثم انصرفت، فقال الوليد: يا أبا محمد أتدري ما قالت الجارية؟

قال: لا

قال: قالت: أرسلتني إليك أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان أنَ مجالستك هذا الأعرابي وهو في سلاحه وأنت في غلالة [٣١٣] غرر! فأرسلت إليها إنه الحجاج بن يوسف فراعها ذلك، وقالت: والله لأن يخلو بك ملك الموت أحب إلي من أن يخلو بك الحجاج، وقد قتل أحباء الله له وأهل طاعته ظلماً وعدواناً، فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين إنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة لا تطلعهن على سرك، ولا تستعملهن بأكثر من وثبهن، ولا تكثر مجالستهن صغاراً. ثم نهض فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالته، فقالت: إنيَ أحب أن تأمره بالتسليم علَي، فسيبلغك بالذي يكون بيني وبينه، فغدا الحجاج على الوليد فقال: ائت أمَ البنين فقال: اعفني يا أمير المؤمنين

قال: لتفعلنَّ فأتاها فحجبته طويلاً ثم أذنت له، ثم قالت له: يا حجاج أتفتخر على أمير المومنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لولا أن الله عَلِم أنك أهون خلقه عليه ما ابتلاك بقتل ابن ذات النطاقين ابن حواري رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وابن الأشعث، فلعمري لقد استعلى عليك حتى عَجْعَجْتَ (٣١٤) ووالى عليك الهرار حتى عويت، فلولا أن أمير المؤمنين نادى في أهل اليمن وأنت في أضيق من القرن، فأظلتك رماحهم وعلاك كفاحهم لكنت مأسوراً قد أخذ الذي في عينيك، وعلى هذا فإن نساء أمير المؤمنين قد نفضن العطر عن غدائرهن (٣١٥). وبِعْنه في أعطية أوليائه. وأما ما أشرت على أمير المؤمنين من قطع لذاته وبلوغ أوطاره من نسائه فإن يكن إنما ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فغير مجيبك إلى ذلك، وإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أمك البظراء عنك من ضعف الغريزية وقبح المنظر في الخَلق والخُلق يالكع (٣١٦) فما أحقه أن يقتدي بقولك قاتل الله الذي يقول:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ فتخاءُ تَنْفُرُ من صفيرِ الصافرِ
هلا برزت إلى غزالةَ في الوغى أو قد كان قلبُكَ في جناحَيْ طائر

ثم أمرت جارية لها فأخرجته! فلما دخل على الوليد قال: ماكنت فيه يا أبا محمد؟! فقال: والله يا أمير المؤمنين ماسكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها قال: إنها بنت عبدالعزيز (٣١٧).

فهذا عند العرب؛ أما عند غيرهم من الأمم والحكماء فنلاحظ النظرة ذاتها (ففي المثل الألماني: مرحك لزوجتك وسرك أعطه أمك! وقال برنادشو: ما أشد جهل الرجل الذي يطلع امرأته على كل أسراره وقال ديماس: السر الوحيد الذي تحتفظ به المرأة هو عمرها وقال سيمونيان: استودع المرأة الخرساء سراً تنطق! وقال أناتول فرانس: دلوني على امرأة لم تفش الأسرار ولكم مني جائزة! قال بومارشيه: لا تقل للمرأة إلا ماتودّ أن يعرفه الجميع) (٣١٨).

وأما من وجهة نظر علماء النفس فقد طرحوا سؤالاً وهو: لماذا المرأة أسرع من الرجل في كشف الأسرار الزوجية ؟

يقول عالم النفس ''ماغيل'': أحد الاختلافات الهامة في ثرثرة النساء. والرجال هي أن الرجال قلَّما يتحدثون عن زوجاتهم، بينما الأزواج هم الموضوع الدائم بين النساء.

ثم تُعَقِّبُ على ذلك المؤلفة (إيفات كريستيان) في كتابها (كيف نفهم الجنس الآخر؟): إن الحديث عن الرجل هو تقليد نسائي تاريخي، وستمارسه المرأة سواء أحب الرجل ذلك أم لا! (٣١٩).

ومن جانب آخر فإن إفشاء الأسرار يكون في كثير من الأحيان طلباً للمساعدة أو لحل مشكلة أو لبحث في مصيبة، بينما طبيعة الرجل لا تسمح له بذلك! تقول الكاتبة (إيفات كريستيان) في كتابها المذكور، وتحت فصل العنوان (مساعدة غير مرغوبة):

(كما تشير ''ديبورا تانين'' وآخرون بأن الرجال غالباً ما يتجنبون طلب المساعدة، لأن ذلك محرج ومحقر وليس رجولياً، فالرجل معروف كحلال للمعضلات وصاحب قرار ويمسك بزمام الأمور، وطلبُ المساعدة يسقط الشخص صاحب المعلومات من مركز أعلى، ويشعر متلقي المساعدة بالدونية. وبالعكس فالمرأة تعتبر المساعدة كسباً.. إضافة إلى أنَّ طلب المساعدة للمرأة هو فرصة لإقامة الود مع الآخرين) (٣٢٠).

وقد مر معنا هذا التحليل النفسي لكون المرأة تفشي الأسرار الزوجية، وإن كانت الرغبة في ذلك ليس مجرد الكشف على قدر ما تطلب المساعدة، بينما الرجل نفسياً يختلف عنها في ذلك، وهذا ما تؤكده الدكتورة. ويبقى السؤال هنا: هل يكشف الرجل أسراره؟

ناقشت هذه المسألة وتحت عنوان (في اختبار الأسرار: الرجل أيضاً يفشي السر!!) الكاتبة (أليس الملاخ) فقالت:

(يقولون: إن المرأة هي الأقدر على تسريب الأسرار، غير أنه ثبت أن الرجل أيضاً لديه نفس القدرة، فهما في هذا المجال متساويان، كما هو الحال في واقع الحياة) (٣٢١).

ويلاحظ أن الكاتبة لم تخبرنا كيف ثبت هذا؟ ولماذا لدى الرجل نفس القدرة على كشف الأسرار كما المرأة؟

على أن الواقع يشير ومن زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أن الكثير من الرجال يفشون الأسرار الزوجية

بل وحتى أخص الأسرار، وقد مر فيما تقدم ذلك الحديث الذي سأل فيه

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرجال : هل منكم من إذا أتى أهله وأرخى ستره يخرج فيحدث فيقول فعلت كذا وكذا بأهله. وسأل النساء أيضاً، ثم تبين أن الفريقين يتحدثان بذلك؛ (٣٢٢).

والحديث أوضح في أن الرجال يفعلون ذلك وكذلك النساء، ولعل الضابط لذلك شعور الإنسان بمسؤولية الكلمة وأمانتها ومخافة الله في نشرها وإفشائها، سواء أكان حافظ السر رجلاً أم امرأة، ومع أن غرفة النوم وهي من أخص الأسرار الزوجية وأدقها فلم يسلم منها الرجال والنساء في إفشائها. وقد قال المهلب بن صفرة: (ما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما تضيق عن السر) (٣٢٣).

فالموضوع خلاصته تدور على اتجاهين:

الأول: اتجاه يرى بأن المرأة تكشف الأسرار أكثر من الرجل.

والثاني: اتجاه يرى بأن الرجل مثل المرأة في الكشف.

المبحث الثاني

كيف عامل الإسلام المرأة بخصوص كتم الأسرار؟

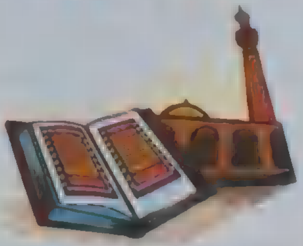

للأستاذ (منير محمد الغضبان) صاحب الكتابات والمؤلفات الكثيرة رأي في هذا الموضوع. ففي كتابه (إليك أيتها الفتاة المسلمة) ذكر وتحت فصل (المرأة والستر) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾

سورة التحريم آية ٣ . وشرح هذه الآية - وقد ذكرت شرحها عند الحديث عن الأسرار الزوجية في النصوص القرآنية - ثم قال بعد ذلك: (لم تستطع أم المؤمنين -رضي الله عنها - أن تضبط أعصابها على

السر وتكتمه، ونقلته إلى رفيقتها في المظاهرة واستكتمتها إياه، وشاءت إرادة الله تعالى أن ينزل في هذه الحادثة قرآناً يُتلى، فليس إفشاء السر بأمر ذي بال في هذه الحادثة .ليس جزءاً رئيسياً منها، ومع ذلك فقد ذكر، فإذن لابد لذكره من هدف، هو أن تكون طبيعة المرأة ماثلة بين أعيننا وأن يكون وضعنا لها في المكان الذي وضعها الله فيه، أن نتعرف وتعرف هي كذلك مدى قدراتها وطاعاتها فلا تعطيها أكثر من ذلك، فالمرأة ضعيفة أمام السرَ، خاصة عندما يكون له علاقة بهواها فهي أضعف) (٣٢٤).

ثم يؤكد كلامه هذا بعد صفحتين بقوله: (إن القرآن ليؤكد لنا المرأة ضعيفة أمام السر بطبيعة فطرتها، خاصة عندما يكون لها هوى في إفشائه، حيث يحقق مصلحة أو اعتزازاً لها، أو يدل على إكرام لها ومراعاة لعواطفها) (٣٢٥).

لكنني أتساءل: هل حقا المرأة ضعيفة أمام السر؟ وهل حقاً الإسلام يؤكد هذا الأمر؟ لم يدعُ الأستاذ (منير الغضبان) الأمر دون توضيح فيقول: (نتساءل: ألم ينقل لنا تاريخ السيرة شيئاً عن استكتمام السر للمرأة؟) ثم ينقل بتفصيل كيف حفظت السيدة عائشة وأختها السيدة أسماء خبر هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم- وأبيهما أبي بكر عن المشركين، بل وإن أبا جهل لطم أسماء ولم تخبره بخبر الهجرة، وأخفيا كذلك عن جدهما - الذي هو والد أبي بكر - أنّ ابنه خرج بماله كله. ثم عقب بعد ذلك كله وهو يحاول التوفيق بين تحليله في تفسير آية سورة التحريم وبين هذه المواقف فقال: (خلاصة الأمر: أن المرأة المسلمة يمكن أن تؤتمن على السر، وتكون حافظة وواعية له، ولكن بالقدر الذي تقتضيه الضرورة، ومن جهة ثانية فالسر الذي يتعلق بمشاكلها الخاصة ولها هوى في إفشائه فهي ضعيفة أمامه. كما قال جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٣٢٦).

لكنني أعود فأتساءل، هل هذه حقاً هي نظرة الإسلام للمرأة؟ وهل حقاً أن الإسلام أيد النظرية التي تبناها الأستاذ الغضبان بأنها ضعيفة أمام السر، وخاصة إذا تعلق بهواها؟ لا زلت- شخصياً - أرى في الأمر مبالغة، أما أن النساء في الغالب يتحدثن أكثر من الرجال فهذا أمر واقع. وأما أنهن يفشين الكثير من الأسرار وخاصة الزوجية فهذا أمر مؤكد، وأما أنهن ضعيفات أمام السر فغير صحيح إن أخذناه على إطلاقه، وأما أن الرجال هم أقوى على كتم السر فغير صحيح على إطلاقه أيضاً. لقد عامل الإسلام المرأة معاملة راقية، ومن تلك المعاملة أن جعلها مع الرجال منزلة في حفظ الأسرار، ألا نذكر المرأتين اللتين بايعتا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع جمع من الأنصار بيعة العقبة الثانية؟ (نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدي) وقد كانت بيعةً في السر، والأخطار تحدق بالأنصار الذين أتوا للمبايعة؟! ألا نذكر السيدة أسماء وأختها السيدة عائشة وقد كتما خبر هجرة رسول الله وأبيهما إلى المدينة؟! ألا نذكر السيدة أسماء وكيف كانت تنقل الزاد إلى الغار؟!

ألا نذكر كيف استأمن رسول الله ابنته السيدة فاطمة على سر خطير.. أنه سيموت وأنها ستكون أول أهل بيته لحاقاً به، فلم تنشر هذا السر؟

لعلني لا أذهب إلى رأي الأستاذ الغضبان إلا إن كان يتحدث عن الواقع المأسوف عليه، أما الإسلام فلم يميز في ذلك - كمبدأ - بين الرجال والنساء، فأمرهما بكتم الأسرار، ونبه على الخصوص بالأسرار الزوجية، كما أنه اعتمد عليهما في كثير من أسرار الدعوة. ولهذا ففرق كبير بين الإسلام كمبدأ ونظرة وبين تطبيق المسلمين اليوم كواقع حقيقة. وعلى النساء بالأخص اللواتي يتهمن بالثرثرة وكشف الاسرار أن يعلمن أن الاسرار الزوجية ينبغي ألا تبث خارج المنزل، وأن يعلمن أنه من الخطأ بمكان الاعتقاد بأنهن سيتقربن من بعضهن بكشف أسرارهن لبعض.

إن تقرب المرأة من المرأة لا يكون عبر كشف الأسرار وهي وسيلة تعتمدها الغالبية من النساء،

بل عبر المودة والمحبة والقول الحسن وحسن الظن بالناس، وهذا الأمر لو جربته النساء لحصل لهن منه الخير الكثير.

إذاً فالمعيار في كشف السر وحفظه ليس الفرق بالجنس والنوع بين الذكر والأنثى، فإن ذلك لا اعتبار فيه، وإنما قدرة الإنسان سواء كان رجلاً أو امرأة في حفظ السرَ وحفظ أمانة الكلمة ومجاهدة نفسه وهواه في عدم إشاعة السر، وكون المرأة أكثر من الرجل حديثاً وثرثرة، وهذا ما يؤكده الحكماء والعلماء والدراسات العلمية فإن ذلك لا يكون مبرراً ومرتبطاً بكشف السر وعدم حفظه، وقد نقلت لنا (إيفات كريستيان) هذه الدراسة في تفوق المرأة على الرجل، في الاتصال والحديث فتقول:

(أظهرت الدراسات أن المرأة تقوم بمكالمات هاتفية شخصية ما معدله ثلاثة أضعاف الرجل، والمعدل الوسطي للمكالمة تدوم ٢٠ دقيقة، كما لا تحتاج لسبب محدد للاتصال سوى البقاء على اتصال!

على الصعيد الآخر يتصل الرجل فقط لتناقل المعلومات، والمعدل الوسطي لمكالمات الرجل هي ٦ دقائق فقط) [٣٢٧].

إذن كثرة حديث النساء له ارتباط بكشف الأسرار إلا إذا كانت المرأة نفسها غير حافظة للسر.

وهذا ما أخلص إليه من أن الاسلام عامل الجنسين في موضوع حفظ الأسرار على السواء ولم يفرق بينهما في المعاملة، وأريد أن أفصل أكثر في موقفين للنبي -صلى الله عليه وسلم- في تعامله مع المرأة في سرٍ خطير، وقد قدَر لها ذلك ولم يفرَق بين جنس امرأة ورجل. فالموقف الأول في حادثة نزول الوحي والثاني في الهجرة. وأنقل الرواية بالنص حتى يتأملها القارئ.

فأما الموقف الأول فهو بدء الوحي، فتروي لنا سيدتنا عائشة رضي الله عنها: (أول ما بُدئ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [٣٢٨].

ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَثُ فيه - وهو التعبُد الليالي ذوات العدد -

قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو على غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ الجهد (٣٢٩) ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت : ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣)﴾ (٣٣٠)

فرجع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: "لقد خشيت على نفسي" فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ وتُكسِبُ المعدوم وتَقْري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة - وكان امرأ قد تنصَّر في الجاهلية - وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَميَ فقالت له خديجة : يا ابن عمِّ اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم- خبر مارأى، فقال له ورقة :هذا الناموس الذي نزل على موسى ياليتني فيها جذعاً (٣٣١) ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله : أو مُخْرِجِيَّ هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحي) (٣٣٢).

لقد أخبرها بأعظم سر في الوجود ومع ذلك طمأنته السيدة خديجة، وذهبت به إلى من يستطيع حلَّ المشكل في هذا السر، إنه ابن عمها الخبير في أمور الأديان والكتب السماوية. على أنه وردت رواية في (مصنف ابن أبي شيبة) هي أصرح من رواية الصحيحين وغيرهما من السنن

في أن خديجة ذهبت أولاً بمفردها إلى ابن عمها، حيث أتى رسول الله خديجة فأخبرها بالذي رأى، فأتت ورقة بن نوفل فذكرت ذلك له فقال لها: هل رأى زوجك صاحبه في حضر؟ قالت: نعم قال: فإن زوجك نبي سيصيبه من أمته بلاء [٣٣٣].

وجاء في فتح الباري لابن حجر ما يلي:

ووقع عند ابن إسحاق عن إسماعيل بن أبي حكيم مرسلاً أن خديجة قالت: أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاء؟ قال: نعم. فجاءه جبريل فقال: يا خديجة هذا جبريل قالت: قم فاجلس على فخذي اليسرى ثم قالت: هل تراه؟ قال: نعم قالت: فتحول إلى اليمين وقالت: هل تراه؟ قال: نعم. ثم قالت: فتحول فاجلس في حجري ثم قالت: هل تراه؟ قال: نعم. ثم ألقت خمارها وتحسرت وهو في حجرها وقالت: هل تراه؟ قال: لا قالت: اثبت فوالله إنه لملك وما هو بشيطان. وفي رواية مرسلة عند البيهقي في الدلائل أنها ذهبت إلى (عداس) وكان نصرانياً فذكرت له خبر جبريل. فقال: هو أمين الله بينه وبين النبيين. ثم ذهبت إلى ورقة! [٣٣٤].

ومهما يكن في روايات هذه القصة فقد تستوقفنا رواية الطبراني التي ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد وحسنها وذكرها ابن حجر أيضاً في فتح الباري - وفي أن السيدة خديجة هي التي هدأت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاولت أن تخفف من كربه. سواء بذكر محاسنه أو بعمل هذه التجربة لبيان أن من رآه ليس بشيطان، حيث نزعت خمارها وأجلست رسول الله في حجرها، أو حين ذهبت لاستشارة الحكيم الثقة العاقل ابن عمها ورقة بن نوفل.

ويلاحظ في هذه الرواية التفاصيل التي ذكرها النبي - صلى الله عليه وسلم - لزوجته ولم يخْفِ عليها أي معلومة بحكم أنها امرأة ولا تحفظ السر. وكان تصرفها مقابل ذلك ذكياً جداً. ولو كان غيرها لما فكر بالطريقة التي عالجت بها الحدث.

وأما الموقف الآخر فترويه عائشة - رضي الله عنها - كذلك في حادث الهجرة فتقول: لقلّ يوم كان يأتي على النبي - صلى الله عليه وسلم- إلا يأتي

فيه بيت أبي بكر أحدَ طرَفي النهار، فلما أذن له في الخروج إلى المدينة لم يرعنا إلا وقد أتانا ظهراً، فخبر به أبو بكر فقال: ما جاءنا النبي - صلى الله عليه وسلم- في هذه الساعة إلا لأمر حدث، فلما دخل عليه قال لأبي بكر: أَخْرِجْ من عندك! قال: يارسول الله إنما هما ابنتاي يعني عائشة وأسماء قال: أُشعِرْتُ أنه قد أذن لي في الخروج، قال: الصحبة يارسول الله؟ قال الصحبة قال: يارسول الله إن عندي ناقتين أعددتهما للخروج فخذ إحداهما قال: أخذتها بالثمن (٣٣٥).

ويلاحظ أمر مهم وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أخبر أبا بكر بأنه قد أُذِنَ له بالخروج، مع العلم بأن قريشاً لو علمت فإنها ستمنعه بل ستقتله هو وصاحبه، ولهذا فهو أولاً قال لأبي بكر: أَخْرِجْ من عندك! فلما قال له: إنما هما ابنتاي. لم يلَح عليه بالطلب أو لم يقل: فلنتحدث بعيداً. وأيُ خبر هو؟! إنه سر الهجرة والخروج.

وقد ذكر ابن اسحاق ومن بعده ابن هشام في سيرتهما أنه بعد هجرة رسول الله جاء نفر من قريش ليحققوا مع أسماء بنت أبي بكر وهم يعلمون أن النبي - صلى الله عليه وسلم- كثير التردد إلى أبي بكر، تقول أسماء:

(أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فخرجت إليهم، فقال: أين أبوك؟ فقلت: والله لا أدري أين أبي، فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم وجهي لطمة خرج منها قرطي ثم انصرفوا) (٣٣٦) ولو تأملنا هذه الرواية كذلك لتبين لنا أن المرأة تقف مواقف في حفظ السر قد تصعب على الرجال.

أعود فأقول: إن الإسلام لم يفرّق بين الرجل والمرأة في حفظ السر وكشفه، وإنما هي التربية التي يتلقاها كل واحد منهما في تحمل المسؤولية وحفظ الأمانة.

المبحث الثالث

الأزواج يبوحون بكثير من أسرارهم لزوجاتهم

الرجل على الرغم من أنه تبدو عليه القوة، إلا أنه تمر عليه لحظات يكون أضعف من المرأة، وخاصة إذا كان في ضائقة أو مشكلة أو هم، فإنه يحتاج إلى شخص يبوح له عن سره ويشاركه الرأي، ولعل أكثر من يبوح له الأزواج بأسرارهم هم زوجاتهم، ولهذا تشترط كثير من الأنظمة والقوانين على الرجال العاملين في السلك العسكري أو الدبلوماسي أو المناصب القيادية للدولة أن يتزوج من أهل بلده وألا يتزوج من الخارج، وذلك حفاظاً على أسرار بلده وأمنها، وكم من رجل تزوج بأجنبية فعزل عن عمله؛ لأن الرجل يمر بلحظات ضعف وهمّ وحزن فيبوح لزوجته بأسراره وهمومه.

ولهذا قال يحيى بن خالد:

الرجل ينبئ عن نفسه في ثلاثة مواضع، إذا اضطجع على فراشه وإذا خلا بعرسه، وإذا استوى على سرجه (٣٣٧).

وتؤكد ذلك (إيفات كريستيان) فتقول:

تبعاً لاستطلاع حياة الرجل فإن ٩٠٪ من الرجال يعتبرون زوجاتهم أفضل أصدقائهم! وتتفق (آن ويلسون شايف) بالرأي في كتابها (حقيقة النساء) قائلة:

(إن العديد من الرجال يقولون أثناء العلاج بأنه ليس لديهم أحد يشاركونه ما بداخلهم إلا زوجاتهم) (٣٣٨).

فالزوجة إذن هي مستودع أسرار الرجل لأنها رفيقة دربه في الحياة وتربطه بها أوثق عقد وأغلظه، فإن كان يستأمنها على بيته وماله وأولاده فكيف لايستأمنها على أسراره.

وقد جاء في كتاب (فيض القدير) للحافظ المناوي عند شرحه لحديث (خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك)

يقول: (ومن حفظها لغيبته أن لا تفشو سرَه، فإن سرَ الزوج قلّما سلم من حكاية ما يقع له لزوجته، لأنها قعيدته وخليلته) (٣٣٩) وهو يؤكد أن الزوج كثيراً ما يبوح بأسراره وأموره لزوجته؛ لأنها جليسته في منزله وخلوته، وهي أيضاً خليلته وحبيبته، ثم إن الرجل يعيش مع زوجته بطبعه وطبيعته من غير مجاملة، فكل واحد منهما يرى حقيقة الآخر، ولا يخفي عليه شيئاً إلاّ ما ندر، أو ما حرص أحد الزوجين أن يخفيه، كما ورد عن محمد بن واسع رحمه الله وهو ينقل لنا عن بعض اللحظات الإيمانية والتي تمر على بعض الرجال فيحرصون على إخفائها عن زوجاتهم فيقول:

(لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بلَّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته. وقال كذلك: إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة (يعني من قراءة القرآن) وامرأته معه لا تعلم به). (٣٤٠).

فهذه هي الحالات النادرة والتي لايمكن أن نقيس عليها، ولكن الأصل أن كلا الزوجين يعرف الآخر إن كان مهموماً من لون وجهه وطريقة حركته وأسلوبه بالكلام، ولهذا وصف الله تعالى العلاقة الزوجية (باللباس) عندما قال:

﴿هِنَّ لِبَاس لَكِمَ وَأَنتِمَ لِبَاس لَهِنَّ﴾ (٣٤١)

فاللباس ستر ووقاية فيستر الآخر، سواء كان الستر والحماية في حفظ أسراره، أو عدم كشف عيوبه وسقطاته، ولهذا يلاحظ في السنة النبوية أن وفوداً كانت تقدم على زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم- ليسألنهن عن أسرار النبي - صلى الله عليه وسلم- وحياته الخاصة، وتتحدث عن مثل هذا المؤلفة الصحافية (كاتي مارتون) صاحبة كتاب (السلطة الخفية قرينات الرؤساء اللواتي صنعن تاريخنا)

عن مثل هذا وبينت كيف أن الرؤساء يكشفون الأسرار لزوجاتهم فتقول:

(فالرئيس يبقى إنساناً في نهاية المطاف. وهو بحاجة لأن يفضي بهمومه إلى إنسان يثق به ثقة مطلقة.

وهل هناك أقرب إليه من زوجته؟!

فعندما يضع رأسه على المخدة ليلاً يريد أن يبوح بكل مخاوفه والمشاكل التي يتعرض لها إلى أذن صاغية. تستوعب هواجسه وتهدئ من روعه) (٣٤٢).

بل إن رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم- يبوح بأعظم سرٍ عنده إلى خديجة - رضي الله عنها - عندما نزل إليه الوحي. وقد أشارت عليه بالذهاب إلى ورقة بن نوفل بعدما هدأت من روعه ولم يفكر النبي - صلى الله عليه وسلم- بشخص آخر يبوح له بسره العظيم. والذي كان بالنسبة له نقلة نوعية من رجل عادي في الخلق. إلى أن يكون سيد الخلق عليه الصلاة والسلام.

الأسرار الزوجية

الباب الثالث

إفشاء الأسرار الزوجية في الفضائيات

الفصل الأول	إفشاء الأسرار الزوجية في الفضائيات أشد سوءاً وعقوبة
الفصل الثاني	صفات من نكشف له أسرارنا على الهواء
الفصل الثالث	فكرة (الاسم المستعار)
الفصل الرابع	ضوابط للحديث عن الأسرار الزوجية في الفضائيات
الفصل الخامس	أهم مساوئ الفضح للأسرار الزوجية في الفضائيات

تمهيد

يقول رئيس قسم التصوير في مجموعة كمسلي :(Kemsely)

"إن الكاميرات هي عين الناس"(٣٤٣).

لقد أتاحت هذه الوسائل الحديثة، ومنها الفضائيات بالطبع، وضع صورة الموضوع أمام المتعلم واضحة المعالم، فشاركت العينُ السمع والعقل، وحددت دور الخيال ليعيش مع الواقع مباشرة، مما جعل البحث العلمي أكثر وضوحاً وأعمق أثراً في العقل و الوجدان.

أضف إلى ذلك أن كثيراً من العلوم الحديثة، يتوقف فهمُها وتصوُّرُ كثير من معلوماتها على وجود الصور التوضيحية بل النماذج والمجسمات، وكثيراً ما يكون بعض ما ندرسه من تجهيزات، أو كائنات حية أو تشريح أو نحوها، يتوقف فهم حقائقها على وجود صورة أو فيلم واقعي، من واقع هذا الذي ندرسه لنفهمه وندرك حقيقته جيداً.

أجل، لقد غدت العملية التعليمية بالتصوير:

- أكثر توضيحاً للمعلومات وشرحاً لها، وترسيخاً ودقةً في فهم جوانب الموضوع

- أكثر واقعية وجاذبية وإمتاعاً. (٣٤٤)

لقد غدت الفضائيات اليوم وسيلة فعالة للارتباط والاتصال بالآخرين في سائر أنحاء العالم، وأصبحت تحتل حيزاً كبيراً في المجتمع، وتملأ فراغاً كبيراً في حياة الناس، وتساندها في ذلك وسائل الاتصال الأخرى كالإنترنت ووسائل الإعلام المقروءة من صحف ومجلات.

وللفضائيات وجهان:

أ- وجه إيجابي:

حيث غدا من يقطن أقصى الشرق يتابع أحداثاً تحصل في أقصى الغرب وفي نفس الوقت. وقد ربطت بين العالم حتى جعلته كالمدينة الواحدة. كما أنها وسيلة فعالة لنشر الأفكار والآراء والمذاهب.

ثم إنها تتميز بكثرة متابعيها ومشاهديها من مختلف أصناف البشر، وذلك بسبب تنوع مادتها، وأسلوبها الدعائي الجاذب المثير.

وهي كذلك لاتحتاج لمثقف أو كتاب أو درجة من العلم، إذ يكفي أن تحوي جهاز الاستقبال لتشاهد ماتريد وفي الوقت الذي تريد.

ب - وجه سلبي:

ومع كل ما سبق فلها آثار سلبية حيث يلاحظ:

١- عزوف الناس عن القراءة والمطالعة.

٢- انتشار ظاهرة السهر إلى وقت متأخر من الليل.

٣- الانزواء في البيوت، وقلة الزيارات وهذا لا يتعلق بالأصدقاء والزملاء، بل يمتد إلى الأقارب والأنساب.

٤- سهولة انتشار المجون والفسق والمعاصي.

٥- سهولة انتشار الأفكار والعقائد الفاسدة والباطلة.

ومما يُلاحظ أنها مساوئ وآثار تتنوع ما بين: آثار صحية، وآثار نفسية، وآثار اجتماعية، وآثار ثقافية، وآثار دينية.

الفصل الأول

إفشاء الأسرار الزوجية في الفضائيات أشد سوءاً وعقوبة

الفصل الأول

إفشاء الأسرار الزوجية
في الفضائيات أشدُّ سوءاً وعقوبة

قد نقلتُ سابقاً أنَ إفشاء الأسرار، بعمومها، والأسرار الزوجية، بخصوصها، لا يتوقف على مجرد الكلام، بل يشمل ذلك أيضاً الكتابة، والإشارة، وقد جاء في حاشية ابن عابدين ما يلي:

(لو حلف: لا يُفشي سرّ فلان، أو لا يظهره، أو لا يُعلم به، يحنث بالكتابة وبالإشارة!) (٣٤٥)

وقد نقلت كذلك فيما سبق النهيَ الشديد عن إفشاء السرَ الزوجي، وأنّ ذلك يشمل إفشاءه لشخص واحد، كما يشمل إفشاءه لجماعة..

لكنني أتساءل: ألا يكون النهي أشد والعقوبة أقسى عندما يكون إفشاء الأسرار الزوجية في التلفزيون أو قناة فضائية؟!

إنني أرجح هذا، وأرى أنه كلما كثر المطلعون على سر من الأسرار، كان الاثم أشدَ على من يبثه لهم، وكان النهي أقوى في التوقف عن كشفه.

وإن المطلع على قواعد الشريعة ونصوصها وروح التشريع الاسلامي، يعلم أن هناك ضرراً عاماً وضرراً خاصاً، وأن هناك من الذنوب ما يكون تأثيره على المذنب فقط، ومن الذنوب مايكون تأثيره على المذنب وغيره.

وأن المولى عز وجل تسامح فيمن يستتر بذنبه، رجاءً لتوبته، لكنه تشدد مع من يجهر بذنبه. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

"كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإنّ من الاجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره ربه، فيقول: يافلان! قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيت يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه"[٣٤٦].

واستطيع أن أرجع هذا الحكم المتشدد إلى أمرين رئيسين:

١- عموم المشاهدة:

فالتلفزيون والقناة الفضائية تتميز بعموم المشاهدة، ولقد غدت شاشات الفضائيات متاحة مباحة أمام كل رجل وامرأة، أمام كل بالغ وطفل، أمام كل مثقف وجاهل، أمام كل شاب وشابة، أمام كل سليم النية أو خبيثها!

كما أنَ المشاهدين كثيرون، لا سيّما إنْ كان برنامج القناة من النوع المشهور، والذي يتمتع بمصداقية وبمتابعة، وهذا ما يجعل الفضائح والأسرار تنتشر بسرعة وبشكل أكبر.

٢- بقاء الصورة والصوت:

وهذا أشد سوءاً من الأول، فتأثير الصورة أقوى وأبقى، خاصة إن اعتمد الأمر على الإبهار، من صورة، وصوت، وحركات، وهذا ما يجعل النفوس لا تتصافى بسرعة، وتبقى الحادثة أو الكلام يتردد في الذهن والذاكرة.

إنَّ المشهد، وتلك الصور، تبعث نَفْسَ الذكريات حين تسجيلها، ولو بعد حين.

وتستعيد النفس وكذلك العقل الذكرى نفسها، والحدث نفسه، ولو بعد مرور زمان.

المشهد هو نفسه، وصاحب المشهد تغيَّر.

الصورة هي نفسها، وصاحب الصورة تغيَّر

بل قد ينتقل صاحبها من سيء لحسن، ومن باطل لحق، ولا يرضى لنفسه ما قد فعله من قول أو فعل قد سُجِّلَ وحُفِظ وانطبع في أذهان الناس!

ولعل مسلسل الفنانات المصريات التائبات لن ينتهي، ولعل أفلامهن ومسلسلاتهن ستبقى، وسيبقى كذلك من يتعمد ترويج تلك الأفلام والمسلسلات وزيادة عرضها كلما تابت إحداهن!

إن إفشاء الأسرار الزوجية - بشكله السافر والضار - على الفضائيات، وأمام الملأ من الناس، لهو من أشرّ وأسوأ أنواع إفشاء الأسرار.

وهو من إشاعة الفاحشة الذي نهى الله عنه بتوعُّدِ فاعليه عندما قال تعالى:

﴿إنَّ الَّذين يحبُّون أن تشيع الفاحشة في الَّذين آمنوا لهمْ عذابٌ أَليمٌ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٤٧)

الفصل الثاني

صفات من نكشف له أسرارنا على الهواء

الفصل الثاني

صفات من نكشف له
أسرارنا على الهواء!

لابد للإنسان العاقل ألاَ يبث مشاكله أو أسراره لمن هبَ ودب، وليس كل من يظهر على شاشة التلفاز هو محل ثقة، وأستطيع أن أضع بعض الضوابط لمن نكشف له أسرارنا -من واقع خبرتي- التي يُحتاج إليها في كشف سر عائلي على الهواء:

١- أن يكون ذا دين وتقوى:

لأنه يخاف الله، ولأنه يعلم الحلال من الحرام.

٢- أن يكون صاحب اختصاص:

وهذا شرط مهم، فإذا كنت تريد من كشف سرَك العائلي البحث عن الحكم الشرعي فيكون أمام عالم دين، وإذا كنت تريد البحث عن حل اجتماعي فأمام مختص اجتماعي، وإذا كنت تريد البحث عن حل لأمور نفسية فأمام طبيب نفساني... وهكذا.

٣- أن يكون ذا حكمة:

فقد قال الله: ﴿ومن يُؤتَ الحكْمة فقدْ أُوتيَ خيْرًا كثيرًا﴾ (٣٤٨) ونستطيع معرفة الحكيم من طريقة حديثه، ومن تفكيره في إيجاد الحلول، ومن حسن ظنه بالناس، ومن طلبه لسلامة أفراد المجتمع، ومن اقتفائه أثر الرسول في معالجة المشاكل والفضائح.

الفصل الثالث

فكرة الاسم المستعار

الفصل الثالث

فـــكـــرة (الاسم المستعار)

بعض الأسرار أو الفضائح أو المشاكل قد تكون محرجة، أو خاصة جداً، أو جنسية، ولهذا فإني أطرح فكرة (الاسم المستعار)، تجنباً لانتشار المساوئ والقصص المثيرة والتشهير والتسفيه في المجتمع، ونحن نعلم جميعاً أن مُقدّم البرنامج الناجح والمهني المسؤول هو الذي لا يسمح في برنامجه بالتجريح أو ذكر الأسماء بالسوء.

إن التجريح وذكر الأسماء بالسوء على الفضائيات يلاقي كثيراً من الاستهجان والازدراء من عامة الناس، وهذا مما يدل على أن النفوس الأبية والقلوب الفطرية لا تتقبل مثل هذا الأسلوب أو تحبذه.

كما إن تجنب ذكر الاسم صراحة يجنب قائل الحادثة أو الفكرة من أن يلحق به الضرر قبل أن يلحق بغيره، إذ هناك من الأضرار ما هي أضرار نفسية من تشويه سمعة أو موقف معين يتخذه الناس بسبب ذلك السر، أو تأنيب النفس بسبب ذلك العمل.

وهناك أضرار اجتماعية من نشر لخصوصيات الناس، واستماع العامة - وخاصة المراهقين والأطفال - لقصص وحكايا تطبع لديهم تصوراً سلبياً.

وهناك أضرار مالية، فقد يتعمد متصل أو مشارك ما في برنامج ما ذكر أسماء صريحة أو فضح أشخاص بعينهم وهذا سيقودهم إلى رفع الدعاوى، والملاحقة القانونية.

ومن أمثلة استخدام الاسم المستعار هو: وضع اسم آخر، أو رمز لاسم، مِنْ مثل: (ع.ع)، أو (س من الناس) أو (أحد المشاهير) أو (فلان من البشر) وهكذا. فهو أسلم.

وقد نصّ العلماء - من الإمام النووي وغيره - على استحباب عدم ذكر الأسماء الصريحة، حتى لو في مجال الاستفتاء[٣٤٩].

الفصل الرابع

ضوابط للحديث عن الأسرار الزوجية في الفضائيات

الفصل الرابع

ضوابط للحديث
عن الأسرار الزوجية في الفضائيات

١- ألاّ يكون مما حرّم الله نشره بين الناس من الفواحش والفضائح.

والحكم على أي عمل أو قول في الشرع إنما يكون بعد دراسة حيثياته، ومطابقتها مع نصوص الإسلام. ومن هنا لابد من تنزيل موضوع السر الذي سيفشى على الأحكام الشرعية المعتبرة

٢- أن يكون الحديث في حدود الأدب والضوابط الأخلاقية والمهنية.

حيث لا تستخدم الألفاظ البذيئة، ولا العبارات المستهجنة اجتماعياً وأخلاقياً، ولا سيما وأننا نعاني اليوم من انتشار البذاءة لدى الماجنين في الفضائيات.

ولا تقتصر البذاءة على الألفاظ، وإنما تشمل اللباس المثير، والحركات المغرية، ونحو ذلك.

٣- أن يكون الحديث مقتضباً، وغير مكرر.

إن أهمية الفضائيات تكمن في أنها تحفظ الصوت والصورة، وتبقى في الذهن راسخةً لفترات طويلة، كما أنها ترسم في ذهن المشاهد فكرة ترتبط بذلك المشهد، ولهذا كله فإنني أفضل عند كشف أي سر زوجي (جنسي أو شخصي أو اجتماعي أو مالي، أو معاصي) ألاّ يمتد الحديث عن ذلك الحدث لفترة طويلة، كما لا يتم تكرار وإعادة فضح هذا السر.

إن الحديث عن هذا السر لمرة واحدة.. تبقى له آثار قد تدوم سنينَ وأياماً! فكيف إن تمَّ إعادة وتكرار ذلك؟!.

٤- أن يستخدم التورية والمجاز والتعريض.

إن اللغة العربية - بحمد الله - تمتاز عن كثير من اللغات الأخرى بالمواصفات البيانية والإبداعية، والتي تجعل الشخص قادراً على قول جملة أو معنى، مرةً بشكل صحيح، وأخرى بتلميح.

ومرةً صراحة، وأخرى بتوريةٍ لفكرةٍ أخرى.

ومرةً بقول شيء وأنت تريد معنى آخر.

ومثل هذا يجعل الإنسان الذي يريد كشف سرٍ ما أمام سَعَةٍ ورحابة في التعبير بطريقة لا تجرح ولا تفضح!.

٥- ألا يتحدث عن الأخطاء والفضائح بشكل افتخار واعتزاز!

إن بعض الأسرار تتعلق بشيء من المعاصي أو الكبائر أو الفضائح، ومثل هذه الأسرار ينبغي سترها وكتمانها، وإذا كان هناك فائدة من كشفها، فلابد عند كشفها من ألا يكون هناك مجال للفخر فيها أو الاعتزاز بها.

٦- أن يكون هناك فائدة من كشف الأسرار.

وعادة ما تكون الفائدة في طلب استشارة أسرية، أو البحث عن حكم شرعي وكثيراً ما ترد لي - سواء في برامجي الحوارية، أو عبر الهاتف، أو من خلال البريد الالكتروني - مشاكل فيها الكثير من الأسرار الزوجية، لكن أصحابها يطلبون المشورة والنصيحة، وكما قال عليه الصلاة والسلام: (الدين النصيحة، قلنا (الصحابة رضوان الله عليهم): لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم). (٣٥٠).

الفصل الخامس

الزوجية

في

الفضائيات

الفصل الخامس

أهم مساوئ الفضح
للأسرار الزوجية في الفضائيات

١- نَشر الفاحشة أو الأخطاء والمساوئ في المجتمع.

٢- إعطاء صورة سلبية عن صاحب الفضيحة، وتشويه سمعته.

٣- كشف ستر الله.

٤- الاعتداء على الحرية الشخصية التي كفلها الإسلام والقانون.

٥- إبراز بعض السلبيات (خاصة الأمور الجنسية) بحجمٍ أكبر مما تستحق.

٦- الإثارة، والتي تجذب المراهقين والشباب وذوي النفوس الضعيفة .

التوصيات

١- إغناء المكتبة الإسلامية بكتب ورسائل تتناول الأسرار الزوجية. حيث أنني لاحظت من خلال متابعتي وبحثي الدؤوب عن مراجع وكتب تتحدث عن هذا الموضوع فقْر المكتبة الإسلامية، وقلة المصادر والأبحاث والدراسات، التي أهملت هذا الموضوع.

٢- اهتمام المربين والمرشدين والعلماء والمصلحين، ممن له اهتمام بالشؤون الأسرية، بتوضيح وتفصيل أحكام الأسرار الزوجية للخاطبين والمتزوجين، لا سيما وأن بعض الإحصاءات تُشير إلى نِسبٍ هائلة من الرجال والنساء المتزوجين، والذي لا يتورّعون عن نشْر أسرارهم الزوجية.

٣- أتمنى من المجامع الفقهية والمنتديات الإسلامية أن يتم تأصيل العمل الإعلامي بضوابطه الشرعية عبر تخصيص برامج أسرية وتربوية على الفضائيات، يُبادر مقدّموها إلى طرح أهم وأكثر المشاكل الزوجية شيوعاً، ومن ثمَّ البحث عن حلول لها، حتى تسدُّ ثغرة في حياتنا الأسرية؛ إذ يحتار الكثيرون في مشاكلهم الزوجية التي هي أسرار؛ أيفضح نفسه بكشفها أمام إنسان قد لا يستوعب حجم المشكلة وظرفها وحقيقتها، ويلجأ إلى التشهير به؟! أم يكبتها ويكتم عليها؟! وستبقى مشكلة وسراً يحتاج لحل.

٤- أودُّ أن يتمّ لفت نظر مقدّمي البرامج الأسرية في فضائياتنا العربية والإسلامية من أن يلجؤوا إلى التشهير ببعض الأفراد، أو فضح وكشف الأسرار الزوجية لآحاد الناس، طلباً للشهرة والإثارة والجذب والإعجاب.

٥- أتمنى من علمائنا الأفاضل إصدار نشرات وكتيبات تتحدث عن الأسرار الزوجية، ويتم توزيعها في المساجد والمنتديات والملتقيات والمؤتمرات، حتى تعمّ الفائدة، ويعرف الزوجان مدى الحدود المسموح بها في كشف أسرارها الزوجية.

٦- وختاماً أوصي الجمعيات الأهلية والمدنية وحتى الدينية، والتي لها عناية بشؤون الأسرة والعائلة والمجتمع، بطبع هذا الكتاب وتداوله والاستفادة منه.

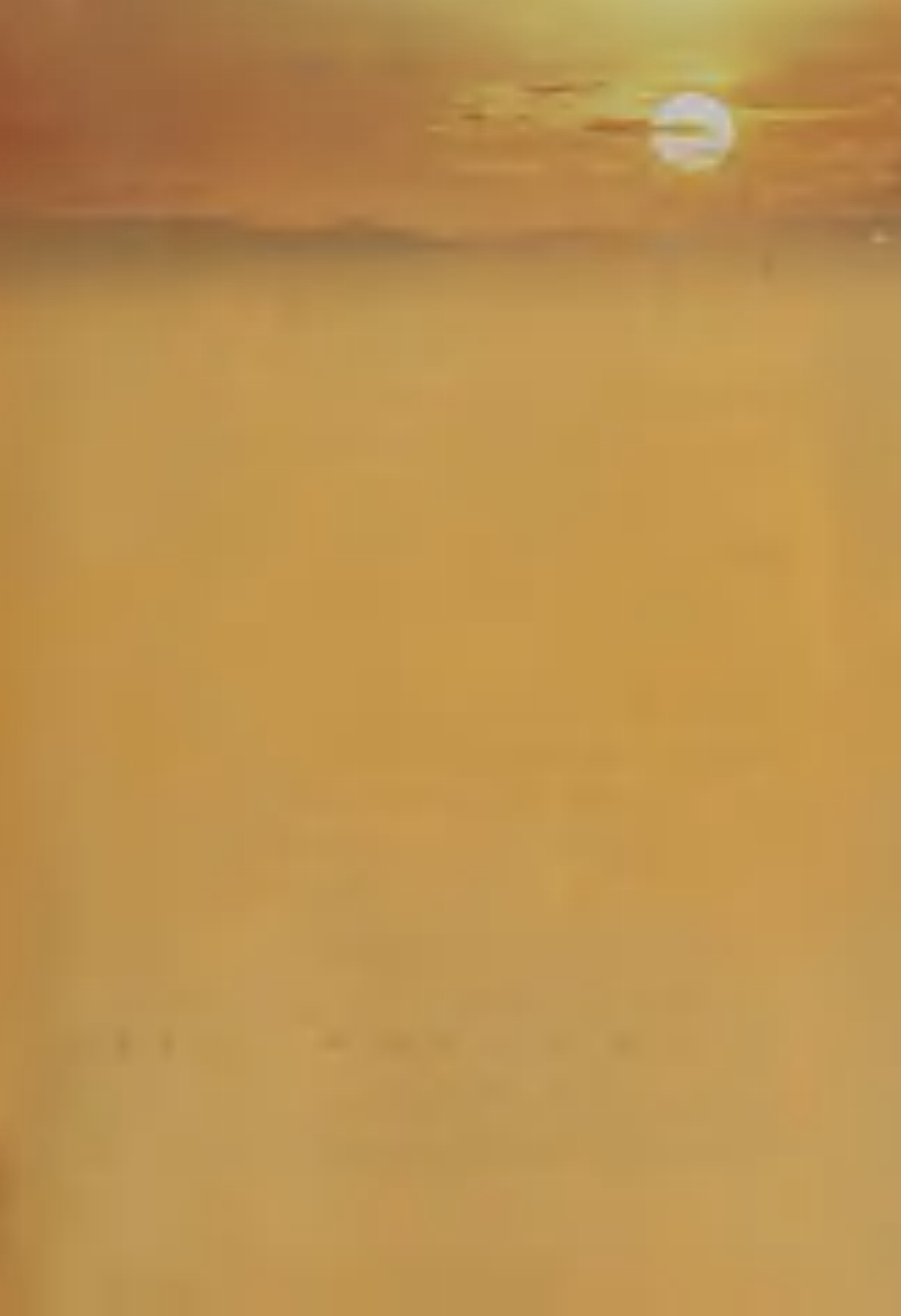

الخاتمة

ولابد لي في النهاية من أن أوضح أنني لستُ ضد هذه البرامج، خاصة وأنني أحد مقدمي تلك البرامج الحوارية، وقد لمست فوائدها خلال برامجي، من حيث توضيح الأحكام الشرعية، أو إبراز المضامين الاجتماعية الراقية، أو الحث على فضائل الأعمال ومحاسن الأخلاق، أو من حيث البحث عن الحلول للمشاكل التي تواجه المتزوجين، لكنني أتمنى أن تلتزم هذه البرامج بالبعد عن الإثارة، والالتزام بالمصداقية والتحليل الواقعي، والاستنارة من تاريخنا الإسلامي المجيد، المتمثل بكتاب الله، وسنة رسوله الكريم، وحياة صحابته المَرْضيين.

وأودُّ ممن له ملاحظة أو تعقيب أو زيادة فائدة أن يراسلني ويعلمني بذلك، إذْ ما هو صواب في هذه الرسالة فمن توفيق الله عز وجل لي، وما كان من خطأ وسهو فمن الشيطان ومن نفسي. اللهم هذا جهْد المُقلَ، وعمل الضعيف، وفعْل العاجز، فتجاوز عني وعن تقصيري.

ولك الحمد أولاً وآخراً.

الهوامش

١-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/١٩) في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى﴿وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم..﴾ (الآية رقم٨٤) مطبعة دار الشعب القاهرة، ١٣٧٢هـ، الطبعة الثانية،تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني.

ونلاحظ ما ورد في هذه الرواية (كرهت أن تفشي سرَ زوجها..!). وهذه الرواية بهذا الشكل لم نجدها مخرجة.. عند أحد من أهل الحديث، على أن قصة تبتّل عثمان بن مظعون معلومة مشتهرة عند أهل الحديث، من حديث سعد بن أبي وقاص في صحيح مسلم (٢/٢٠٢١) كتاب النكاح، حديث رقم (١٤٠٢) تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥، وفي سنن ابن ماجه (١/٥٩٣) كتاب النكاح، حديث رقم (١٨٤٨) تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥م.

ومن حديث عائشة في سنن أبي داود (٢/٤٨) كتاب الصلاة، حديث رقم (١٣٦٩) تحقيق وترقيم: محمد محيي الدين عبدالحميد دار الفكر بيروت دار الريان القاهرة، ١٩٨٩م.

ومن حديث أبي موسى الأشعري في صحيح ابن حبان (٢/١٩) كتاب الصلاة، حديث رقم (٣١٦) تحقيق وترقيم: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

إلا أن كلها لم تذكر سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لزوجة عثمان وكيف أنها خافت من ذكر سرَ زوجها، وأكثر الروايات على أن زوجة عثمان دخلت على زوجة النبي (ص) وفي بعض الروايات على عائشة، مبتذلة سيئة الهيئة، فسألتها عن حالها، فأخبرت عن زهد عثمان في الدنيا والنساء وتبتّله، ومن زوجات رسول الله وصل الخبر لرسول الله، فنهاه عن التبتل.

وقد جاء في فتح الباري عن ابن حجر مايلي:

ووقع في أسباب الواحدي - يقصد أسباب النزول- من غير إسناد أن رسول الله ذكّر الناس وخوّفهم، فاجتمع عشرة من الصحابة: أبو بكر، وعمر،وعلي، وابن مسعود، وأبو ذر، وسالم مولى أبي حذيفة، والمقداد، وسلمان، وعبدالله بن عمرو بن العاص، ومعقل بن مقرن، في بيت عثمان.. إلخ الخبر.

الهوامش

٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٩/١٠٥) تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (٥/١٢) تحقيق: مصطفى حجازي، إصدار وزارة الإعلام بدولة الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٣م.

٤- سورة التحريم، آية ٣

٥- سورة الممتحنة آية ١

٦- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (١٢/١٨).٧- سورة الرعد، آية ٢٢.

٨- سورة النحل، آية ١٩

٩- سورة الملك، آية ١٣

١٠- سورة طه، آية٧

١١- سورة التوبة، آية ٧٨

١٢- سورة التحريم، آية ٣

١٣- سورة الممتحنة، آية ١

١٤- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (٢٢٨) مادة سرر، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

١٥- الطبيب المسلم وأخلاقيات المهنة، د.هشام إبراهيم الخطيب/ د.عبد القادر العكايلة / د.عماد إبراهيم الخطيب، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٦- نشرت توصيات ومقررات الندوة على شبكة (إسلام ست) الإلكترونية http:// Islamset.com..

١٧ مجلة الفرحة العدد ٣٧ الصفحة ٤٠ أكتوبر ١٩٩٩م، من مقال بعنوان: (الثرثرة بالأسرار كالشرر من النار)

١٨- رواه الترمذي في سننه، كتاب الأدب، رقم الحديث (٢٨٢٢)، تحقيق وترقيم: أحمد محمد شاكر، دار الحديث بالأزهر- القاهرة.

ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب أيضاً، رقم الحديث (٥١٢٨) تحقيق وترقيم: محمد محيي الدين عبدالحميد.

١٩- فيض القدير بشرح الجامع الصغير للحافظ المناوي المجلد السادس، المحلي بأل من حرف الميم، دار المعرفة، بيرت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.

الهوامش

٢٠- رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة رقم الحديث (١٩٥٩) تحقيق: أحمد محمد شاكر ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، رقم الحديث (٤٨٦٨) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ورواه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين رقم الحديث (١٤٦٤٤) دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٣م.

٢١- فيض القدير للمناوي(١ / ٢٦٨)

٢٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/ ١٤٨) لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

وانظر كذلك: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٦/ ٧٩) لمحمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٢٣- رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، رقم الحديث (٤٨٦٩) تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ورواه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث (١٤٢٨٣) (٢/ ٣٤٢).

٢٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير (٦/ ٥٦٩).

٢٥- رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١) حديث رقم (٢٥٨٩) كتاب: البر والصلة، باب تحريم الغيبة. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

٢٦- الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، المجلد الخامس الصفحة ٢٩٤.

٢٧- الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص،٢٩٧ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠م

٢٨- نشرت مناقشات وتوصيات ومقررات هذه الندوة على شبكة الإنترنت على موقع شبكة (إسلام ست): (http://.islamset.com).

٢٩- الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠١٨) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، القاهرة، ١٩٨٢م.

٣٠- سورة البقرة، أية ١٤٠

٣١- سورة البقرة أية ١٤٦

٣٢- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (كتم)/ ٤٢٥-٤٢٦

٣٣- لسان العرب لابن منظور (٢/ ٥٤٥) نشر، دار صادر، بيروت، الأولى ١٩٥٦م.

٣٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لمؤلفه أحمد الفيومي،ص٣١٣، دار الفكر، بيروت.

الهوامش

٣٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري جزء ٢٦ سورة الحجرات آية ١٢. مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٥٤م.

٣٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦ /٢١٨) سورة الحجرات آية ١٢

٣٧- رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب النكاح رقم (٤٨٤٩) تحقيق: د. مصطفى البغا. ورواه مسلم في صحيحه أيضاً في كتاب النكاح. برقم (١٤١٣) تحقيق: محمد عبد الباقي

٣٨- بدائع الصنائع لعلاء الدين الكاساني (٢ /٢٥٣) طبعة: دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٢م.

٣٩- المحلى لابن حزم (٩ /٤٦٦) طبعة: دار الآفاق الجديدة - بيروت- تحقيق: لجنة إحياء التراث.

٤٠- ديوان الحماسة (٢ /٥٦-٥٧) وهو ما اختاره أبو حاتم حبيب بن أوس الطائي من أشعار العرب. دار القلم. بيروت. لبنان.

٤١- الأغاني (٩ /١٧١) لأبي فرج الأصفهاني. تحقيق: سمير جابر. دار الفكر. بيروت. الطبعة الثانية.

٤٢- سورة طه / الآية ٧

٤٣- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٦ /١٣٩). بتصرف واختصار.

٤٤- مجلة الفرحة. العدد (٣٧) الصفحة ٤٠ أكتوبر ١٩٩٩م. من مقال بعنوان: (الثرثرة بالأسرار كالشررمن النار).

٤٥- موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة للدكتور روحي البعلبكي/ ٣٣٦ الطبعة الثانية دار العلم للملايين. بيروت. إبريل ١٩٩٩م.

٤٦- أدب الدنيا والدين. أبو الحسن علي بن محمد الماوردي صفحة ٤٣ طبعة: دار الإحياء العلوم. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م حققه: أ. مصطفى السقا. وراجعه وعلق عليه: محمد شريف سكر.

٤٧- مجلة الفرحة. العدد (٣٧) الصفحة ٤٢. أكتوبر ١٩٩٩م ومن مقال بعنوان (١٠ وصايا حول الأسرار الزوجية).

٤٨- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (١١ /٤٨٦) طبع مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤١٣هـ الطبعة التاسعة تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد نعيم العرقسوسي.

الهوامش

٤٩- مجلة الفرحة، العدد (٣٧) الصفحة (٤٣)، أكتوبر ١٩٩٩م من مقال بعنوان: (١٠ وصايا حول الأسرار الزوجية).

٥٠- مجلة الدعوة في ٢٥/٦/١٤٢٢هـ ونشرت ضمن إحصائية في موقع شبكة (مفكرة الإسلام) الإلكترونية (www.islam memo.com)وتحت عنوان (مجالس نسائية).

٥١- أدب الدنيا والدين للماوردي ص.٤٣٢

٥٢- مجلة الفرحة العدد (٣٧) الصفحة (٤٣). أكتوبر ١٩٩٩م. من مقال بعنوان: (١٠ وصايا حول الأسرار الزوجية).

٥٣- نقلاً عن مقال للكاتبة (أليس الملاّخ) تحت عنوان: (في اختبار الأسرار: الرجل أيضاً يفشي السر!) من موقع (لحواء) على شبكة الإنترنت: www.balagh.com/woman/heih

٥٤ الطريق إلى بناء الأسرة المسلمة، موسى الأسود صفحة ،١٤٧ مكتبة المعلا/ الكويت، ودار البيان/ الكويت، الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ - ١٩٩٢م.

٥٥- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (٢/٢٦٣) تحت عنوان مثل (ماوراءك يا عصام) طبعة دار المعرفة بيروت: تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

٥٦- سوة الإسراء/ آية ٣٤

٥٧- رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، بأرقام (٤٨٣٠) و(٤٨٣٦) و(٤٨٥٠) تحقيق : د. مصطفى البغا، من حديث عمر بن الخطاب

ورواه النسائي في سننه ، كتاب النكاح، بأرقام (٣٢٤٨) و(٣٢٥٩) ورواه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، رقم (٧٥) ترقيم: إحياء التراث العربي.

٥٨- رواه مسلم في صحيحه (١٩٢٩/٤) كتاب فضائل الصحابة ، باب: من فضائل أنس بن مالك . حديث رقم (٢٤٨٢) . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥ / ٢٢٩) رقم الحديث (٢٥٥٣٠) تحقيق : كمال يوسف حوت .

٥٩- تقدم تخريجه ص١١ .

٦٠- الموسوعة الفقهية: (١٧٢،١٧١/٢٤)، صادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية.

٦١- سورة النساء /آية .٣٤

٦٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي (٤٣٠/٣).

الهوامش

٦٣- روه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، حديث رقم (٤٨٩٣) وراه مسلم في صحيحه أيضاً، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (٢٤٤٨) وقد جاء في شرح النووي على صحيح مسلم (لا تبث حديثنا تبثيثاً)؛ أي لا تشيعه ولا تُظهره، بل تكتم سرّنا وحديثنا كله.

(لا تنقث ميرتنا تنقيثاً) الميرة الطعام المجلوب، ومعناه: لاتفسده ولا تفرّقه ولا تذهب به، ومعناه وصفها بالأمانة) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/٢١٩-٢٢٠).

٦٤- رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، حديث رقم (١٤٣٧) وراه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، حديث رقم (٤٨٧٠).

٦٥- السكة: بالكسر الطريق المستوي؛ مختار القاموس المحيط للزاوي ص ٣٠٥ مادة (س.ك.ك).

٦٦- رواه أبو داود في سننه (٢/١٥٣) كتاب النكاح، رقم الحديث (٢١٧٤) تحقيق وترقيم: محمد محيي الدين عبدالحميد من حديث أبي هريرة، وورد من حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم في صحيحه (٢ / ١٠٦٠) في كتاب النكاح .

٦٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٨ / ١٦٠) والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي(٢١٩/٨)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

٦٨- انظر: البخاري في كتاب التفسير حديث رقم (٤٦٢٨)، وفي كتاب الطلاق أرقام (٤٩٦٦، ٤٩٦٧) وكتاب الأيمان والنذور حديث رقم (٦٣١٣) وفي مواضع أخرى، وفي صحيح مسلم في كتاب الطلاق أرقام (١٤٧٣، ١٤٧٤).

٦٩- سوة التحريم / آية ٣-٤

٧٠- سوة التحريم/أية ١٠

٧١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٨ / ١٧٠).

٧٢- الموسوعة الفقهية (٢٤/١٧٢) الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية.

٧٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، ص ٥٧ دار الفكر.

٧٤- سورة الحجرات/آية ١٢

٧٥- تقدم تخريجه ص ١٥ .

٧٦- رواه أبو داود في سننه، حديث رقم (٤٨٨٠) عن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه.

٧٧- الموسوعة الفقهية إصدار وزارة الأوقاف الكويتية، المجلد العاشر الصفحة ١٦٢.

الهوامش

٧٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (١٢/١٢٥) باب: لا يرجم المجنون والمجنونة أي إذا وقع في الزنا في حال الجنون.

٧٩- إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية (٣/١٥٣) فصل: في تحريم الحيل، طبعة دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد.

٨٠- شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٦٣) مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٨١- سورة النور آية ١٩

٨٢- الموسوعة الفقهية إصدار وزارة الأوقاف الكويتية المجلد ٢٤، الصفحة ١٧٠.

٨٣- الموطأ للإمام مالك بن أنس، كتاب الحدود، باب: ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا/٦٢٩ -٦٣ تحقيق: فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الحديث، مصر، الثانية عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

وقد قال محققه محمد فؤاد عبدالباقي في شرح بعض ألفاظه: فدعا له: أي طلب لأجله.

ثمرته: قال الجوهري: ثمر السياط عُقد أطرافها. وقال أبو عمر: أي لم يمتهن ولم يلن.

قد ركب له: أي ذهبت عقدة طرفه.

القاذورات: كل قول أو فعل يستقبح، كالزنا والشرب والقذف، سميت قاذورة لأن حقها أن تقذر، فوصفت بما يوصف بها صاحبها.

يبدي: بالياء، للإشباع، أي يظهر

صفحته: هي لغة: جانبه ووجهه وناحيته، والمراد: من يظهر ما ستره أفضل.

٨٤- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، برقم (٥٧٢١) تحقيق د. مصطفى البغا، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٩٠). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٨٥- سورة لقمان، الآية ٢.

٨٦- شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٦٢-٢٦٣).

٨٧- خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، إعداد: قطب عبدالحميد قطب، مراجعة: د. محمد عاشور، الجزء الثاني، الصفحة (١١٠ - ١١١) دار الاعتصام، القاهرة.

٨٨- الكريُّ: الذي يكريك دابته، أي: يؤجرك إياها، والجمع أكرياء. لسان العرب لابن منظور (١٥/٢١٩).

الهوامش

٨٩- حجراً، أي ستراًوبراءة من هذا الأمر. لسان العرب لابن منظور (١٦٧/٤).

٩٠- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم. إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف: د. صالح بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي. وعبدالرحمن ملوح مؤسس دار الوسيلة للنشر والتوزيع، المجلد السادس الصفحة (٢٢٥٠) الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م - ٢٠٠٠م جدة ، السعودية.. نقلاً عن كتاب (مكارم الأخلاق ومعاليها) للخرائطي ص٣٥ تحقيق: سعاد سليمان الخندقاوي، مصر مطبعة المدني، ١٩٩١م.

٩١- حاشية ابن عابدين (٤٢٧/٦) طبعة دار الفكر - بيروت ١٣٨٦هـ. الطبعة الثانية وانظر كذلك: إعانة الطالبين (٢٤٨/٣) للسيد البكري بن محمد شطا طبعة: دار الفكر - بيروت.

٩٢- نظام الأسرة في القانون السويدي المبحث الثاني: الآثار القانونية الناتجة عن حل الأسرة، الفرع الثالث: منع كشف الأسرار للطرفين للدكتور منذر الفضل . وهو أستاذ القانون المدني المشارك بكلية الحقوق - بغداد ، وهو الآن أستاذ محاضر (غير متفرغ) بكلية القانون والفقه المقارن بلندن ، والكتاب المذكور منشور في الإنترنت على هذا الموقع ، www.rezgar.com/debat.

٩٣- تقدم تخريجه ص ٣٢ .

٩٤- سوة التحريم /آية ١٠.

٩٥- يُقال: سفعت الشيء إذا جعلت عليه علامة، يريد أثراً من النار. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(٣٧٤/٢).

٩٦- رواه أحمد في مسنده (٣٥٣/٣) في مسند جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

٩٧- إعانة الطالبين للسيد البكري (١٦٦/٤). والمبسوط للسرخسي (٩/٣٦) ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٩٨- حاشية ابن عابدين (٤٢٦/٦).

٩٩- حاشية ابن عابدين (٧٩٢/٣).

١٠٠- المصدر السابق (١١١/٨).

١٠١- بدائع الصنائع للكاساني (٥٣/٣).

١٠٢- البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٣٦٢/٤) لزين بن إبراهيم بن محمد بن بكر الحنفي- طبعة: دار المعرفة - بيروت، ١٤١٣ه - ١٩٨٣م .

الهوامش

١٠٣- مؤلف (أسباب الهداية) هو الإمام ابن الجوزي كما هو مذكور في (كشاف القناع) لمنصور البهوتي (١/١٠)، وما هو مذكور في (الإنصاف لعلي بن سليمان المرداوي (٣/٥٠٠).

١٠٤- مؤلف (الرعاية) هو نجم الدين بن حمدان، كما هو مذكور في (الفروع) لمحمد بن مفلح المقدسي (٣/٨٨).

١٠٥- الفروع لمحمد بن مفلح المقدسي (٥/٢٤٨) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ الطبعة الأولى تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي.

١٠٦- المصدر السابق (٥/٢٤٨).

١٠٧- تقدم تخريجه ص ٣٣ .

١٠٨- الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي (٢ / ٣٠) طبعة دار المعرفة ، بيروت . ١٤٠٢ه - ١٩٨٢م .

١٠٩- مجلة الفرحة العدد ٣٧ الصفحة ٤١، أكتوبر ١٩٩٩م، مجلة أسرية تصدر من الكويت.

١١٠- بَخر الفمُ : أَنْتَنَتْ ريحه ، فالذكر أَبْخَر ، والأنثى بخراء . المصباح المنير للفيومي ص ٢٥ .

١١١- أعسر : من الفقر . يقال : أعسر الرجل إذا افتقر . المصباح المنير ص ٢١٢ .

١١٢- مختار القاموس المحيط للطاهر الزاوي/ ٤١٤-٤١٥ مادة ع ر س.

١١٣- مجلة الفرحة العدد ٣٧ الصفحة ٤١، أكتوبر ١٩٩٩م، تصدر عن الكويت.

١١٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٢/١٢٥).

١١٥- الودج: عرق في العنق، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ص٥١٩ مادة (ودج) دار الإرشاد حمص، سوريا . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ،١٩٨٩م.

١١٦- تفسير الطبري (٦/١٠٥) عند قوله تعالى: ﴿والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾سورة المائدة الأية ٢٥

١١٧- مع الناس مشورات وفتاوى للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص١٢٧-١٢٨ دار الفكر دمشق، ودار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١١٨- فتاوى العلامة مصطفى الزرقا، اعتنى بها: مَجد أحمد مكي/ ٢٤٤ طبعة دار القلم دمشق الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

وان هذا ضمن مجموعة أسئلة عن المرأة في الإسلام بعثت بها إلى فضيلة الأستاذ الزرقا (السيدة هدى محمد حلمي) بتاريخ ١/١/١٤١٤هـ وهي تَحضرُ رسالة دكتوراه تتصل بالموضوع، ونشرت في الكتاب المذكور.

الهوامش

١١٩- رواه أبو داود في سننه (٣/٢٩٣) كتاب البيوع، باب، في عطية المرأة بغير إذن زوجها، حديث رقم (٣٥٤٦) ورواه النسائي في سننه (٤/١٣٥) كتاب، العمرى حديث رقم (٦٥٩٠).

١٢٠- سبل السلام للصنعاني ٥٨/٣ طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ الطبعة الرابعة، تحقيق، محمد عبدالعزيز الخولي.

١٢١- الوليدة، الجارية. فتح الباري لابن حجر (٥/٢١٩).

١٢٢- سورة النساء/ آية ٥ .

١٢٣- الحديث رواه البخاري في صحيحه (٢/٩١٥) كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها، حديث رقم (٢٤٥٢) ترقيم وتحقيق، د. مصطفى البغا، ورواه مسلم في صحيحه (٢/٦٩٤) كتاب الزكاة، باب، فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج، حيث رقم (٩٩٩) ترقيم وتحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي.

١٢٤- رواه البخاري في صحيحه (٥/٢٠١٠) كتاب النكاح باب، (والذين لم يبلغوا الحُلُم) حديث رقم (٤٩٥١) ترقيم وتحقيق، د. مصطفى البغا.

١٢٥- سورة النساء الآية ٣٤

١٢٦- مجلة الفرحة، العدد ٣٧ الصفحة ٢٤-٢٥ أكتوبر ١٩٩٩م.

١٢٧- سورة النساء/ الآية ٤

١٢٨- سور النساء/الآية ١٩

١٢٩- سورة النساء/ الآية ١٩

١٣٠- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني د. محمد سعيد رمضان البوطي - ص ٥١، دار الفكر -دمشق، ودار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٣١- المصدر السابق.

١٣٢- مجلة الفرحة العدد (٧٦) من صفحة (٢٤) يناير ٢٠٠٣م ضمن ملف يبحث في (هل من حق الزوج أن يتصرف في مال زوجته؟).

١٣٣- رواه البخاري في صحيحه (٢/٨٦٨) كتاب المظالم باب، قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، حديث رقم (٢٣٢٨) ورواه مسلم في صحيحه (٣/١٣٣٩) كتاب، الأقضية باب، قضية هند، حديث رقم (١٧١٣- ١٧١٤) واللفظ لمسلم.

١٣٤- رواه البخاري في صحيحه (٦/١٤٥) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب، هبة المرأة لغير زوجها، ورواه مسلم في صحيحه (٣/٩٢)

الهوامش

١٣٥- كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق وكراهية الإحصاء.
١٣٦- مجلة الفرحة العدد ٣٧ الصفحة ٤١، أكتوبر ١٩٩٩م.
١٣٧- مع الناس مشورات وفتاوى للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص١٠٣
١٣٨- المصدر السابق صفحة ١١٢ .
١٣٩- فتاوى مصطفى الزرقا ص ٢٦٦، عناية وجمع: مجد أحمد مكي.
١٤٠- نقلاً عن الموسوعة الفقهية (٢٩/٦٧-٦٨) وزارة الأوقاف في دولة الكويت - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - بتصرف واختصار.
١٤١- ألف جواب وجواب حول الجنس والحب والجمال/ محمود مهدي استانبولي ص١٦٦ الشركة المتحدة بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ه -١٩٨٤م.
١٤٢- المصدر السابق ص١٦٠-١٦١ .
١٤٣- رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق حديث رقم (٢٠٧٠) ترقيم وتحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
١٤٤- مع الناس مشورات وفتاوى للدكتور البوطي ص ١٤٩-١٥٠
١٤٥- المصدر السابق ص ١٣٤
١٤٦- رواه البيهقي في سننه الكبرى(٧/١٩٤) كتاب النكاح، باب: ما يكره من ذكر الرجل إصابته أهله حديث رقم (١٣٨٧٧) من حديث أبي سعيد الخدري طبع: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤هـ ١٩٩٤م تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.
١٤٧- المصدر السابق (٧/١٩٤).
١٤٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/١٥٣) لابن القيم الجوزية.
١٤٩- أُوعك: بصيغة المجهول: من الوعك وهو شدّة الحمى . عون المعبود شرح سنن أبي داود (٦/١٥٦).
١٥٠- تقدم تخريجه ص ٣٣ .
١٥١- رواه عبدالرزاق في مصنفه (٦/١٩٣) برقم (١٠٤٦٣) طبعة: المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ الطبعة الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. وهو موجود في مجمع الزوائد للهيثمي (٤/٢٩١) في النكاح باب: ما يفعل الرجل إذا دخل بأهله، وقد عزاه للبزار مطوّلاً، وللطبراني مختصراً.
١٥٢- تقدم تخريجه ص ٣٢ .
١٥٣- رواه البخاري في صحيحه (٥/٢٢٤٠) كتاب الأدب حديث رقم (٥٦٧٢)، تحقيق د. مصطفى البغا، ورواه مسلم في صحيحه (١/٦٨) كتاب الإيمان، حديث رقم (٤٧) تحقيق: فؤاد عبدالباقي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

الهوامش

١٥٤- الحديث رواه مسلم في صحيحه (١/٢٧٢) في الطهارة. باب: نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين. برقم (٣٥٠) ترقيم وتحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. من حديث السيدة عائشة ونصه: عن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: إن رجلاً سأل رسول الله عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل. وعائشة جالسة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأفعل ذلك. أنا وهذه. ثم نغتسل!

(كسل وأكسل في الجماع: خالطها ولم يُنْزِل. أو عزلَ ولم يُردْ ولداً. مختار القاموس المحيط للطاهر الزاوي ص٥٣١ طبعة دار خدمات القرآن - دمشق مادة (ك س ل)

١٥٥- قصة أبي طلحة رواها البخاري في صحيحه (٥/٢٠٨٢) في كتاب العقيقة. باب: تسمية المولود غداة يولد لمن يعق عنه وتحنيكه برقم (٥١٥٣) ترقيم وتحقيق د. مصطفى البغا. ورواه مسلم في صحيحه (٣/١٦٨٩) في كتاب الآداب باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته برقم (٢١٤٤) ترقيم وتحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

١٥٦- الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف في دولة الكويت (٥/٢٩٢/٢٩٣) مادة إفشاء السر.

قلت: وهذا النص بذاته منقول بتصرف يسير من كلام الإمام النووي. انظر: شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٠/٨) كتاب النكاح باب إفشاء سر المرأة. طبعة. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ١٣٩٢هـ. الطبعة الثانية.

انظر كذلك في: سبل السلام للإمام الصنعاني (٣/١٤٠) طبعة دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٣٧٩هـ. الطبعة الرابعة. تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي. وانظر كذلك: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٦/١٥٨) للإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب. طبعة دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٥هـ. الطبعة الثانية.

١٥٧- رواه البخاري في صحيحه (٥/٢١٩٢). كتاب اللباس. باب الثياب الخضر. حديث رقم (٥٤٨٧). ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٢٧) حديث رقم (١٤٠٧٩) أيضاً عن عكرمة التابعي رحمه الله.

١٥٨- فتح الباري لابن حجر (١٠/٢٨٢).

الهوامش

١٥٩- هدبة الثوب هو بضم الهاء وسكون الدال، وهي طرفه الذي لم يُنسج، شرح صحيح مسلم للنووي (١٠/٢).

١٦٠- قال النووي:

قال العلماء: إن التبسم للتعَجب من جهْرها وتصريحها بهذا الذي تستحي النساء منه في العادة. أو لرغبتها في الأول وكراهة الثاني والله اعلم) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠/٣).

١٦١- عسيلتك: هو بضم العين وفتح السين تصغير عسلة. وهي كناية عن الجماع، شبَه لذته بلذة العسل وحلاوته.

١٦٢- رواه مسلم في صحيحه / (٢/١٠٥٦) كتاب النكاح. باب: لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدَتها، حديث رقم (١٤٣٣) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

١٦٣- تحرير المرأة في عصر الرسالة د. عبدالحليم أبو شقة (٦/٧٢) نشر: دار القلم بالكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٦٤- سورة الشورى / الآية ٤٩ - ٥٠

١٦٥- الموافقات للشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (٢/١٠-١١) دار المعرفة. بيروت. عبدالله دراز.

١٦٦- الموسوعة الفقهية (١٦/٢٤٧).

١٦٧- الأشباه والنظائر للسيوطي (١/٨٤) دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٣هـ الطبعة الأولى.

والمحصول لمحمد بن عمر الرازي (١/٤٣٩) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٠هـ الطبعة الأولى. تحقيق: طه جابر فياض العلواني.

والموافقات لأبي إسحاق إبراهيم الغرناطي الشاطبي (١٠/٣٠١). طبع: دار المعرفة . بيروت .

١٦٨- رواه مسلم في صحيحه (١/٢٤٩) كتاب الطهارة، حديث رقم (٣٠٧).

١٦٩- رواه البخاري في صحيحه (١/٦١) كتاب العلم .باب: من استحيا فأمر غيره بالسؤال. حديث رقم (١٣٢) ورواه مسلم في صحيحه (١/٢٤٧) كتاب الطهارة. باب: المذي حديث رقم (٣٠٣).

١٧٠- فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١/٣٧٩ - ٣٨١).

الهوامش

١٧١- أحكام النساء لابن الجوزي ص٦٧

١٧٢- سورة النساء الآية / ٤

١٧٣- المرأة في الفقه الإسلامي للدكتور أحمد حجي الكردي ١٨-١٩ مطبعة الصباح - حلب - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١٧٤- المصدر السابق ص ٣٦

١٧٥- الطرير: ذو المنظر والرُواء. مختار القاموس المحيط للطاهر الزاوي ص ٣٨١ مادة ط رر.

١٧٦- البدْرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار مختار القاموس المحيط للطاهر الزاوي ص ٤٢ مادة ب در.

١٧٧- كتاب الأذكياء ص ٢٩-٣٠ لابن الجوزي.

١٧٩- حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) لمحمد أمين عابدين (٣/ ٥٩٠) دار الفكر، بيروت، ١٣٨٦هـ الطبعة الثانية.

وكذلك: المبسوط للسرخسي (٥/ ١٨٧) دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ

١٨٠- مغني المحتاج شرح المنهاج للخطيب الشربيني (٣/ ٤٤٢-٤٤٤) دار الفكر، بيروت.

١٨١- المغني لابن قدامة المقدسي (٨/ ١٧٥-١٨١) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ الطبعة الأولى.

١٨٢- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفة الدسوقي (٢/ ٥١٨ - ٥٢٠) دار الفكر، بيروت، المحقق، محمد عليش.

١٨٣- ملحق جريدة (الرأي العام) الكويتية الرمضاني ص ٦ بتاريخ ٢٤ رمضان ١٤٢٢هـ تحت عنوان:

قوانين العلاقات الأسرية من السلف القديم.

١٨٤- مجلة الفرحة الزوجية الكويتية عدد (٢٩) صفحة (٤٣) فبراير ١٩٩٩م بعنوان: (هل الديون من الأسرار الزوجية؟).

١٨٥- عنوان موقع الشبكة (لها أون لاين)

الالكتروني هو www.laha online.com/Family/Her

١٨٦ الأحول والمعاملات في الفقه الإسلامي راشد عبدالله الفرحان، ص ١٨ ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

الهوامش

١٨٧- بداية المجتهد لابن رشد (١/٢٧١) و المحلى لابن حزم (٩/٤٦٦).

١٨٨- فتاوى مصطفى الزرقا ص ٢٤٦ .

١٨٩- قال في مجمع الزوائد (٣/١١٥)، رواه أحمد في حديث طويل، والطبراني في الكبير، وفيه علي بن زين وفيه كلام.

١٩٠- رواه البخاري في صحيحه (١/٢٣٤) كتاب الجماعة والإمامة باب، من جلس في المسجد ينتظر الصلاة حديث رقم (٦٢٩) ورواه النسائي في سننه (٣/٤٦١) كتاب القضاء باب، فضل الحاكم العادل في حكمه حديث رقم (٥٩٢١).

١٩١- فضّ الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء للسيوطي (١/٤٨) طبع مكتبة المنار - الزرقاء الأردن ١٩٨٥م - الطبعة الأولى. تحقيق، محمد شكور بن محمود الحاجي الميادنيني.

١٩٢- سير أعلام النبلاء للذهبي (٤ / ٣٩٤) .

١٩٣- البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/٣١٠) لزين بن إبراهيم بن بكر الحنفي.

١٩٤- تقدم تخريجه ص ٣٢ .

١٩٥- سورة النور / الآيات ٥٨-٥٩

١٩٦- زبدة التفسير في فتح القدير، محمد سليمان الأشقر ص ،٤٧٦ وزارة الأوقاف بدولة الكويت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

١٩٧- مع الناس مشورات وفتاوى، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص١٥٠-١٥١

١٩٨- مجلة الفرحة العدد ،٣٧ اكتوبر ١٩٩٩م مقال بعنوان، (لمن أفشي أسراري).

١٩٩- سترد القصة كاملة في آخر هذا الباب.

٢٠٠- الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي /٩٨ تحقيق، محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق طبعة ١٩٨٦م مصورة عن طبعة عام ١٩٨٣م.

٢٠١- مجلة ولدي التربوية العدد ١٣ الصفحة ٢١ ديسمبر ١٩٩٩م والصادرة من دولة الكويت.

٢٠٢- شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/٨٧ - ٩٨) الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م الناشر، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٠٣- إحياء علوم الدين للغزالي (١/٣٢٣) دار المعرفة، بيروت.

٢٠٤- بهذا اللفظ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٧١) وعزاه لأبي يعلى وللطبراني في الصغير.

الهوامش

أقول: وقد ورد في صحيح مسلم بهذا اللفظ: «خدمت رسول الله عشر سنين، والله ما قال لي أف قط، ولا قال لشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا». في كتاب الفضائل (٤/١٨٠٤) حديث رقم (٢٣٠٩). وورد في صحيح البخاري بهذا اللفظ: "خدمت رسول الله عشر سنين. ما قال لي أف قط، ولا لم صنعت، ولا ألا صنعت". في كتاب الأدب (٥/٢٢٤٥) حديث رقم (٥٦٩١).

٢٠٥- إحياء علوم الدين للغزالي (٢/١٩٥) وقد رواها ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢٢٩) رقم الحديث (٢٥٥٢٧) تحقيق: كمال يوسف حوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٠٦- تقدم تخريجه ص ٣١ .

٢٠٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١١/٨٢) كتاب الاستئذان باب حفظ السر.

٢٠٨- التُحفة: ما أتحفت به الرجل من البرّ واللطف، والجمع تُحف، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، مادة ت ح ف ص ٧٤ طبعة: دار الإرشاد- حمص - سوريا.

٢٠٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (١/٢١٧) وعزاه لأبي يعلي والطبراني في المعجم الصغير وقال: فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو ضعيف.

٢١٠- مجلة الفرحة الأسرية العدد ١٩ صفحة ٤٠، إبريل ١٩٩٨م.

٢١١- سيكولوجية الأسرة الوالدية ص ٥٤٦ للدكتور إبراهيم الخليفي والدكتور بشير الرشيدي.

٢١٢- الاسلام وعلم الاجتماع العائلي/ ٩٠-٩١ للدكتور عبد الرؤوف عبدالعزيز الجرداوي نشر وزارة الأوقاف الكويتية الطبعة الثانية ١٩٩٤ وهو ينقل هذه النسبة عن دراسة قام بها (Jahn Thamas) وكانت موضوعاً لرسالة الدكتوراه بجامعة شيكاغو عام ١٩٤٩م

٢١٣- مقال للدكتورة (وفاء العساف) نشر في موقع (لها أون لاين) على الشبكة الإلكترونية: .www.laha onlin.com/fFamily/her and him

٢١٤ وجأه باليد والسكين وتوجأه: ضربه مختار القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوي ص ٦٤٨ مادة (و ج أ).

٢١٥- رواه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق (٤/١٨٧) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه.

الهوامش

٢١٦- سورة التحريم/ الآية ١٠

٢١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري في الجزء (٢٨) الصفحة (١٧٠)

٢١٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي في المجلد الثامن صفحة ٦٦ في سورة التحريم الآية ٨-١٠

٢١٩- سورة المجادلة /الآية١

٢٢٠- وردت روايات أخرى في اسم المجادلة، ففي اسمها ونسبتها أربعة أقوال، كما يقول (ابن الجوزي) في كتابه (زاد المسير): (خولة بنت ثعلبة، خولة بنت خويلد، خولة بنت الصامت، خولة بنت الدليج) زاد المسير لابن الجوزي (٨/ ١٨١) طبعة المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٤هـ.

وقال ابن حجر في كتابه فتح الباري (١٣/ ٣٧٤) حينما ذكر (خولة بنت ثعلبة وقصتها): (وهذا أصحُ ماورد في قصة المجادلة وتسميتها).

٢٢١- الظهار: هو تشبيه الرجل زوجته أو جزءاً شائعاً منها أو جزءاً يعبَر به عنها بامرأة محرمة عليه تحريماً مؤبداً، أو بجزء منها يحرم عليه النظر إليه، كالظهر والبطن والفخذ . الموسوعة الفقهية المجلد ٢٩ الصفحة ١٨٩

٢٢٢- رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٦٦٦) كتاب الطلاق باب الظهار برقم (٢٠٦٣) ورواه النسائي في سننه (٦/ ١٦٨) كتاب الطلاق باب الظهار برقم (٣٤٦٠) .

ورواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٢٣) برقم (٣٧٩١) .

٢٢٣- رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد ،حديث رقم (٦٩٨٤) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، حديث رقم (١٤٢٨) .

٢٢٤- سورة الأحزاب/ أية ٣٧ .

٢٢٥- رواه بهذا اللفظ الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن، حديث رقم (٣٢١٢) تحقيق: أحمد شاكر.

٢٢٦- سورة النور/ الأيات من ٦-٩

٢٢٧- رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب تفسير القرآن برقم (٤٤٧٠) وفي الطلاق رقم (٥٠٠١) . ورواه الترمذي في سننه، في تفسير القرآن برقم (٣١٧٩). . رواه أبو داود في سننه في الطلاق، بأرقام (.٢٢٥٤، ٢٢٥٦٢٢٥٥)

٢٢٨- الكنف: الستر والجانب، وأرادت بذلك الكناية عن عدم جماعه لها؛ لأن عادة الرجل أن يدخل يده مع زوجته في دواخل أمرها. فتح الباري لابن حجر(٩/ ٩٦).

الهوامش

٢٢٩- رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، حيث رقم (٤٧٦٥) .
وروواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، حديث رقم (١١٥٩) .

٢٣٠- رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث (٣١٨٤) وفي كتاب المساقاة حديث رقم (٢٢٣٩) .

٢٣١- سورة البقرة / آية ٢٢٣

٢٣٢- رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٤٩) كتاب النكاح باب، في جامع النكاح حديث رقم (٢١٦٤) . ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٩٥) حديث رقم (١٣٨٨٥) . وقد جاء في كتاب (عون المعبود) شرح بعض ألفاظ هذا الحديث:
(إلا على حرف) أي طرف ،يعني لايجامعون إلا على طرف واحد،
وهي حالة الاستلقاء وقال في المجمع: على حرف أي جنب
(يشرحون النساء شرحاً منكراً) قال الخطابي: يبسطون، وأصل الشرح في اللغة: البسط، ومنه انشراح الصدر بالأمر، وهو انفتاحه.
ومن هذا قولهم: شرحت المسألة إذا فتحت المغلق منها، وبيّنت المشكل من معناه،
قلت(القائل مؤلف عون المعبود): قال في القاموس: شرح كمنع : كشف.
فعلى هذا معنى قول: يشرحون النساء أي يكشفونهن وهو الظاهر.
(يصنع بها ذلك) أي الشرح المتعارف بينهم .
(حتى شري أمرهما) شري كرضي أي ارتفع وعظم، وأصله من قولهم: شرى البرق إذا لجّ في اللمعان قاله الخطابي.
عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب (٦/ ١٤٤/ ١٤٥).

٢٣٣- رواه الدار قطني في سننه (١/ ١٢٠) كتاب الطهارة باب في النهي للجنب والحائض عن قراءة القرآن برقم (١٣) تحقيق: السيد عبدالله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٦م.

٢٣٤- البهجة في شرح التحفة لأبي الحسن بن عبدالسلام (١/ ١٤٠).

٢٣٥- الأسرة المسلمة في العالم المعاصر أ.د وهبة الزحيلي ص ٣٣٤ طبعة: دار الفكر المعاصر -بيروت ودار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

٢٣٦- ينظر في تفصيل ذلك الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف بدولة الكويت الجزء التاسع والعشرون، الصفحات ٥٣-٥٧.

٢٣٧- قوانين الأسرة بين عجز النساء وضعف العلماء ص ٢٠٠-٢٠٤ أ. سالم البهنساوي: دار القلم الكويت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

الهوامش

٢٣٨- بحوث وفتاوى فقهية معاصرة أ.د أحمد حجي الكردي ص ١٩٠-١٩٤ طبع دار البشائر الإسلامية بيروت الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٣٩ - قوانين الأسرة بين عجز النساء وضعف العلماء ، أ. سالم البهنساوي ص ٢٠٥ .

٢٤٠- بحوث وفتاوى فقهية معاصرة ، أ.د.أحمد حجي الكردي ص ١٩٠-١٩٤ .

٢٤١- دعاوى الطلاق والطاعة للمسلمين وغير المسلمين، المستشار فتحي حسن مصطفى ص ٤٢ الناشر: منشأة المعارف - الإسكندرية الطبعة الثانية ١٩٩١م .

٢٤٢- رواه أحمد في المسند (٣٠٩/٦) المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد): رواه أحمد و الطبراني ورجالهما رجال الصحيح (٢٨٤/٨).

٢٤٣- الدر المنثور للسيوطي في سورة التحريم ٢١٦/٨ والطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) الجزء ٢٨ صفحة ١٥٦

٢٤٤- رواه أحمد في المسند في (باقي مسند المكثرين) رقم الحديث (١٣٤٦٨).

٢٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، المجلد الحادي عشر الصفحة ٨٢ كتاب الاستئذان باب حفظ السر .

٢٤٦- تقدم تخريجه ص ١٠٨ .

٢٤٧- رواه البخاري في (صحيحه) كتاب المناقب حديث رقم (٣٤٢٦) ، ورواه مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٤٥٠) في كتاب فضائل الصحابة.

٢٤٨- رواه الطبراني في المعجم الكبير باب: ذكر سن فاطمة ووفاتها ومن أخبارها ، من حديث السيدة عائشة، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمصر .

٢٤٩- رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح ،حديث رقم (٢٤٨٧) ورواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، حديث رقم (٤٦٧٥).

٢٥٠- الموافقات للشاطبي (٢٤٨/٤).

٢٥١- رواه أبو داود في سننه في كتاب النكاح رقم الحديث (٢١٣٥) .

٢٥٢- رواه الحاكم في مستدركه (٣٤/٤) حديث رقم (٦٨٠٠).

٢٥٣- رواه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، حديث رقم (٤٨٢٧) واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (فضائل الصحابة) حديث رقم (٤٤٦٩) .

الهوامش

٢٥٤- رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق. رقم الحديث (٢٩٧٤).

٢٥٥- رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، رقم الحديث (٢٢٧٩).

٢٥٦- رواه النسائي في سننه (المجلد الأول / كتاب المواقيت باب: الرخصة في الصلاة بعد العصر).

٢٥٧- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، حديث رقم (٢٧٢٨)، ورواه ابن ماجة في سننه، حديث رقم (٣٦١).

٢٥٨- رواه البخاري في صحيحه (١/١١٤) كتاب الحيض، باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض، حديث رقم (٢٩٣) ورواه مسلم في صحيحه (١/٢٤٦)، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها حديث رقم (٣٠١).

٢٥٩- رواه البخاري في صحيحه (المجلد الثالث/ رقم الحديث ٣٦٠٦) ورواه مسلم في صحيحه (١٨٨٨/٤) (رقم الحديث ٢٤٣٥).

٢٦٠- رواه مسلم في صحيحه (١٨٨٨/٤) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين حديث رقم (٢٤٣٦).

٢٦١- الفاه: الفم. مختار القاموس المحيط للأستاذ الطاهر أحمد الزاوي / ٤٨٦ مادة (ف و هـ) طباعة ونشر: دار خدمات القرآن - دمشق.

٢٦٢- العرْق: العظم أُكل لحمه، وبقيت عليه بقية. والتعرّق: هو أكل ما على العظم من اللحم. مختار القاموس المحيط ص ٤١٨ مادة (ع ر ق).

٢٦٣- رواه مسلم في صحيحه، (١ / ٢٤٥) كتاب الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، حديث رقم (٣٠٠). ورواه النسائي في سننه (المجتبى) كتاب الحيض، باب: سؤر الحائض (١ / ٥٦) حديث رقم (٧٠) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الاسلامية ١٤٠٦هـ.

٢٦٤- رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم برقم (١٧٩٤) وكتاب الحيض حديث رقم (٣١٦). ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الحيض، رقم الحديث (٢٩٦).

٢٦٥- رواه ابن ماجة في سننه في كتاب (الطهارة وسننها)، حديث رقم (٦٥٤)، وفي كتاب النكاح حديث رقم (١٩١٢). و رواه أحمد في المسند في (باقي مسند الأنصار)، حديث رقم (٢٣٢٠٨) واللفظ له.

٢٦٦- رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٥) كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، حديث رقم ٢٩٧ . ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٤٣) كتاب الحيض باب: مباشرة الحائض فوق الإزار، حديث رقم (٢٩٤) .

٢٦٧- رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٢٩) كتاب: أبواب الخمس في باب نفقة نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حديث رقم (٢٩٣٠) وكذلك في كتاب الرقاق باب فضل الفقر (٥/ ٢٣٧٠) برقم (٦٠٨٦) .

ورواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٢) كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٧٣) .

٢٦٨- رواه البخاري (٢/ ٩٠٧) كتاب الهبة وفضلها، باب: فضلها: والتحريض عليها، برقم (٢٤٢٨)، ورواه مسلم (٤/ ٢٢٨٣) كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٧٢).

٢٦٩- المنيحة: قال الجوهري: منحة اللبن كالناقة أو الشاة، تعطي غيرك يحتلبها ثم يردها عليك، وقال اللحياني: ولاتكون المنحة إلا المعارة للبن خاصة . لسان العرب (٢/ ٦٠٧).

٢٧٠- رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٦٣) كتاب الجهاد والسير، باب المحبة وما يترس بترس صاحبه حديث رقم (٢٧٤٨) .

٢٧١- شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٦٤).

٢٧٢- فتح الباري لابن حجر (١١/ ٨٥).

٢٧٣- موسوعة (نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم) المجلد التاسع الصفحة (٣٩٤٧) إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبدالله بن حميد وعبدالرحمن بن الملوّح.

٢٧٤- الطبيب المسلم وأخلاقيات المهنة ص ٧٤ تأليف د.هشام إبراهيم الخطيب ود. عبدالقادر العكايلة ود. عماد إبراهيم الخطيب.

٢٧٥- رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٥) رقم الحديث (٤٩١٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

٢٧٦- رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٥) رقم الحديث (٤٩١٦) ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٩٥) رقم الحديث (٧٠٢٥) كلاهما من حديث عبدالله بن الزبير- رضي الله عنه.

٢٧٧- سورة الأحزاب/ الآية ٥٨.

٢٧٨- سورة مريم / الآية ٢٣ . ٢٨٠- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/ ١٢٥-١٢٦) دار مكتبة الحياة، بيروت.

الهوامش

٢٧٩- من مقال للدكتور محمد سليمان الأشقر بعنوان (الشريعة وإفشاء السر، الطب نموذجاً بتاريخ ٢٩/٨/٢٠٠١م على الموقع الإلكتروني www.islamonline.net والمقال تكلم عن هذه الأسرار بشكل عام، ولم يقصرها على الأسرار الزوجية.

٢٨٠-فتح الباري لابن حجر

٢٨١- رواه أبو داود في سننه كتاب الصيام باب القبلة للصائم حديث رقم (٢٣٨٥)

٢٨٢- رواه البخاري في صحيحه (٢/٦٨٠) كتاب الصوم باب القبلة للصائم حديث رقم (١٨٢٧) واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه (٢/٧٧٧) كتاب الصيام، باب: بيان ان القبلة في الصوم ليس محرمة على من لم تحرك شهوته حديث رقم (١١٠٦).

٢٨٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٤/١٥٢).

٢٨٤- كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص ٢٠٧ -٢٠٨

٢٨٥- رواه البخاري في صحيحه كتاب البيوع حديث رقم (١١٠٨) ومسلم في صحيحه في كتاب الأقضية، حديث رقم (١٧١٤).

٢٨٦- رواه أبو داود في سننه (٢/٣٣٠) كتاب الصوم، باب : المرأة تصوم بغير إذن زوجها، برقم (٢٤٥٩) . ورواه ابن ماجه في صحيحه كتاب الصلاة باب: مواقيت الصلاة (٤/٣٥٤) برقم (١٤٨٨) ورواه الحاكم في مستدركه كتاب الصوم (١/٦٠٢) برقم (١٥٩٤) . وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٢٨٧- سورة النساء /آية ٣٥

٢٨٨- مغني المحتاج شرح المنهاج لمحمد الخطيب الشربيني (٣/٢٦١) طبعة: دار الفكر - بيروت . والمصنف الذي يقصده هو مؤلف المنهاج (منهاج الطالبين وعمدة المفتين) في فقه مذهب الإمام الشافعي، وهو الإمام النووي.

٢٨٩- أي تدبغ جلدة، وأصل المَعْس: الدلك باليد، والمنيئة هي الجلد أول ما يوضع في الدباغ ثم يسمى أفيقاً ثم أديماً . انظر: تحرير المرأة في عصر الرسالة لعبدالحليم أبو شقة الجزء ٦ صفحة ٧٠

الهوامش

٢٩٠- رواه مسلم في صحيحه (٢/١٠٢١) كتاب النجاح باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقعها، برقم (١٤٠٣)، ورواه الترمذي في سننه (٣/٤٦٤) كتاب الرضاع باب، ماجاء في الرجل يرى المرأة تعجبه برقم (١١٥٨) وقال: حديث حسن غريب. ورواه أبو داود في سننه (٢/٢٤٦) كتاب النكاح، باب: ما يؤمر من غضَّ البصر، برقم (٢١٥١).

٢٩١- العَزْل هو : أن يجامع الرجل حليلته فإذا قارب الإنزال نزع وأنزل خارج الفَرْج . الموسوعة الفقهية المجلد ٣٠ الصفحة ٨١

٢٩٢- الموطأ للإمام مالك بن أنس (٢/٤٦٥) تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث - القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

٢٩٣- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد البصري الماوردي ص ٤٢٣-٤٢٦ تحقيق: أ. مصطفى السقا، بتصرف.

٢٩٤- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/١٢٦).

٢٩٥- فيض القدير للمناوي (٦ / ٥٦٩) . .

٢٩٦- سوة البقرة / الآية ٢٢٣

٢٩٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ج١ / سورة البقرة آية ٢٢٣ ..

٢٩٨- رواه مالك في الموطأ (٢/٤٧٣) كتاب الرضاع باب: ماجاء في الرضاعة بعد الكبر.

٢٩٩- سورة النساء / الآية ٣٥ .

٣٠٠- رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي جحيفة في كتاب الصوم رقم (١٨٦٧) وفي كتاب الأدب برقم (٥٧٨٨)، ورواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد برقم (٢٤١٣).

٣٠١- من موقع (إسلام ويب) على الشبكة الالكترونية www.islamwed.net/Family/lmg/husben وتحت عنوان (فقه التعامل بين الزوجين).

٣٠٢- تقدم تخريج القصة وذكرها ص ٣١ .

٣٠٣- تقدم التخريج ص ٣١ .

٣٠٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٩/١٧٨).

٣٠٥- الحديث تقدم بطوله ص ١٣٤-١٣٥ .

الهوامش

٣٠٦- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ليوسف بن موسى الحنفي أبي المحاسن (٢/ ٣٢٧) نشر عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبى القاهرة. والحديث تقدم في ص١٣٤ من الباب السابع بتمامه.

٣٠٧- شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٦٤).

٣٠٨- رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٧)، ورواه أحمد في المسند (٢/ ٣٤٢)من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -.

٣٠٩- عِرْسي: العِرسُ: امرأة الرجل. مختار المحيط للطاهر الزاوي /٤٥ مادة ع ر س.

٣١٠-غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للاسفرايني الحنبلي (١/ ١١٧) مكة المكرمة ١٣٩٣هـ.

٣١١- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/ ١٢٦).

٣١٢- العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (١/ ٦٧) شرحه وضبطه وصححه: أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الأبياري طباعة: دار الكتاب العربي. بيروت وهذه الطبعة في عام ١٩٨٦ تصويراً عن طبعة عام ١٩٤٠م

٣١٣- الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً. مختار الصحاح للرازي ص ٣٥٧ مادة غ ل ل. والمقصود ثوب خفيف كالثياب الداخلية التي نلبسها اليوم.

٣١٤- عجْعَجْتُ: عجْعَج صاح ورفع صوته. مختار القاموس المحيط للطاهر الزاوي ص ٤٠٧ مادة ع.ج.ج.

٣١٥- الغدائر: جمع غديرة وهي الظفيرة من الشعر. مختار القاموس المحيط للطاهر الزاوي ص ٤٥١ مادة غ د ر.

٣١٦- اللكع: اللئيم والعبد والأحمق ويقال في النداء: يا لُكع. مختار القاموس المحيط للزاوي ص ٥٥٧ مادة ل ك ع.

٣١٧- كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص ٢١٢- ٢١٣

٣١٨- تم نقل هذه الأمثال والحكم من الموقع الاكتروني: www.angelfire.com تحت عنوان: ما قيل في المرأة.

٣١٩- كيف نفهم الجنس الآخر؟ تأليف إيفات كريستيان ترجمة : محمد خالد ص ٤٦ نشر: دار الحرية القاهرة.

٣٢٠- نفس المصدر السابق ص ٥٦

الهوامش

٣٢١- مقال للكاتبة (أليس الملاخ) نشر في الشبكة الالكترونية (الإنترنت) في موقع .www.balagh.com/woman/heil
٣٢٢ تقدم تخريجه ص ٣٣ .
٣٢٣- المحاسن والأضداد للجاحظ / ٢٨ دار إحياء العلوم - بيروت الأولى ١٩٨٦م تقديم ومراجعة ؛ د. عاصم عيتاني.
٣٢٤- إليك أيتها الفتاة المسلمة، منير محمد الغضبان ص ١٤٦-،١٤٧ مكتبة المنار- الأردن - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٣٢٥- المصدر السابق ص ,١٥٠
٣٢٦- المصدر السابق ص ١٥١ -,١٥٣
٣٢٧- كيف نفهم الجنس الآخر، إيفات كريستيان ، ترجمة ؛ محمد خالد ص ٤٦- ٤٧.
٣٢٨- فلق الصبح؛ أي مثل ضيائه إذا انفلق وانماز عن ظلام الليل، وذلك حين يتضح فلا يشك فيه. كشف مشكل الصحيحين لابن الجوزي (١/ ٩) تحقيق؛ د. مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٢٩- الغط؛ الضغط الشديد، ومنه الغط في الماء وغطيط النائم، ومعنى الغط في هذا الحديث الخنق. كشف مشكل الصحيحين لابن الجوزي (١/ ٩).
٣٣٠- سورة العلق، الآيات ١-٣.
٣٣١- ياليتني فيها جذعاً معنى الكلام؛ ليتني بقيت إلى وقت مخرجك، وكنت شاباً لأبالغ في نصرتك بقوة الشباب. كشف مشكل الصحيحين لابن الجوزي (١/ ١١).
٣٣٢- رواه البخاري في صحيحه (١/ ٤) كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله حديث رقم (٣) ورواه مسلم في صحيحه (١/ ١٣٩ - ١٤١) باب بدء الوحي الى رسول الله حديث رقم (١٦٠).
٣٣٣- مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٢٩) حديث رقم (٣٦٥٥٣) .
٣٣٤- فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٢٠) قلت؛ قد ذُكرتْ روايةُ ابن اسحاق في مجمع الزوائد للهيثمي (٨,٢٥٦) وعزاها للطبراني في الأوسط وقال؛ إسناده حسن.
٣٣٥- رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧٥١) كتاب البيوع باب؛ إذا اشترى متاعاً او دابة فوضعه عند البائع أو مات قبل أن يقبض حديث رقم (٢٠٣١) ورواه في كتاب المغازي. (١٥٠٢٤ /)باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة حديث رقم (٣٨٦٦) ورواه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٨٣) ذكر ما كان يروح على المصطفى والصديق بالمحنة أيام مقامهما بالغار رقم (٦٢٧٩).

الهوامش

٣٣٦- السيرة النبوية لابن هشام (١ /١٥٧) دار القلم - بيروت ١٤١٢هـ.

٣٣٧- محاضرات الأدباء لأبي القاسم الراغب الاصفهاني (١ /١٢٧).

٣٣٨- كيف نفهم الجنس الآخر إيفات كريستيان ترجمة، محمد خالد ص ٨٢-٨٣.

٣٣٩- فيض القدير للمناوي (٣ /٤٣٠).

٣٤٠- دموع القراء (بكاء السلف عند تلاوة القرآن وسماعه) لمحمد شومان الرملي /٤٢-٤٣ الطبعة الأولى دار النفائس - الأردن.

٣٤١- سورة البقرة / الآية ١٨٧.

٣٤٢- نشر مخلص عن هذا الكتاب في موقع: www.albayan.co.ae/albayan/book/.2002 بتاريخ: الاثنين ٢٠٠٢/٨/١٢م، وكتاب (السلطة الخفية) هو من نشر: آنشور بوكس، بنيورك، ٢٠٠٢م.

٣٤٣- مقدمة إلى الصحافة المصورة، د. محمود أدهم، ص ٥٢. مطابع الدار البيضاء، القاهرة ١٩٨٧م.

٣٤٤- التصوير بين حاجة العصر وضوابط الشريعة، د. محمد توفيق رمضان البوطي، ص١٤٢ - ١٤٣ - مكتبة الفارابي، دمشق.

٣٤٥- حاشية ابن عابدين (٣/٧٩٢)، وانظر كذلك: البحر الرائق (٤/٣٦٢).

٣٤٦ - تقدم تخريجه ص ٣٨.

٣٤٧- النور / ١٩

٣٤٨- سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

٣٤٩- الموسوعة الفقهية (٣١/٣٣٥) الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية (٣٥٠) صحيح مسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

فهرس الآيات القرآنية

-الآيات القرآنية :

حرف الألف

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (١-٣)

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ..التوبة (٧٨)

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي ..النور (١٩)

حرف التاء

تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ .. الممتحنة (١)

حرف الراء

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ.. النساء (٣٤)

حرف السين

سِرًّا وَعَلَانِيَةً.. الرعد (٢٢)

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ..التوبة (٦٥-٩٦)

حرف الضاد

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ..التحريم (١٠)

حرف القاف

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي.. المجادلة (١)

حرف اللام

لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ.. التوبة (١١٧-١١٩)

لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ .. الشورى (٤٩-٥٠)

حرف النون

فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ .. البقرة (٢٢٣)

حرف الهاء

هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ.. البقرة (١٨٧)

فهرس الآيات القرآنية

حرف الواو

وَآتوا النِّسَاءَ صَدقَاتِهِنَّ نِحْلَةً .. النساء (٤)

وأسرُّوا قولكم أو اجهروا به.. الملك (١٣)

وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسئولا.. الإسراء (٣٤)

وإذ أسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه حديثًا.. التحريم (٣)

وَإنْ خفتم شقاقَ بينهما فابعثوا حكمًا منْ أهله وحكمًا .. النساء (٣٥)

وَإنَّ فريقًا منهم ليكتمون الحقَّ وهم يعلمون .. البقرة (١٤٦)

وَتخفي في نفسك ما اللهُ مبديه .. الأحزاب (٣٧)

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا.. الأحزاب (٥٨)

وَالذينَ يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء .. النور(٦-٩)

ولا تؤتوا السفهاءَ أموالكم.. النساء -٥

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا.. الحجرات (١٢)

وما من دابة في الأرض إلا على اللهِ رزقها .. هود (٦)

وَمَنْ أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله.. البقرة (١٤٠)

وَمن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.. البقرة (١٦٩)

واللهُ يعلم ما تسرون وما تعلنون .. النمل (١٩)

حرف الياء

يعلم السرَّ وأخفى.. طه (٧)

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن.. الحجرات (١٢)

يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم.. النور (٥٨)

يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها.. النساء (١٩)

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك .. التحريم (١)

يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا.. مريم (٢١)

فهرس الأحاديث النبوية

- أول الحديث:

حرف الألف

أتدرون ما الغيبة؟........................ أبو هريرة

اتق الله وأمسك عليك زوجك .... أنس بن مالك

أتى عليَّ النبي وأنا ألعب مع الغلمان .... أنس بن مالك

إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة .... جابر بن عبدالله

أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم؟........................ عمر بن الخطاب

أسر إلي النبي سراً، فما أخبرت به........................ أنس بن مالك

أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج........................ عائشة

أعرستم الليلة؟........................ أنس بن مالك

أفضل الصدقة سرٌ إلى فقير وجهد من مقل .... أبو ذر

أقسمت عليك أن تفتحي........................ ميمونة بنت الحارث

أمسك عليك زوجك واتق الله .... انس بن مالك

أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم أجرك .... ميمونة بنت الحارث

أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك........................ اسماء بنت أبي بكر

أنكحني أبي امرأةً ذات حسب، فكان يتعاهد .... عبدالله بن عمرو بن العاص

أن رجلاً أنصارياً تزوج امرأة من بني عجلان .... عبدالله بن عباس

أن رجلاً من أسلم قال لأبي بكر: إن الآخر زنى .... سعيد بن المسيب (مرسل)

أنّ النبي كان يتكئ على حجري........................ عائشة

إنْ كان النبي ليقبل بعض أزواجه وهو صائم........................ عائشة

إنّ صاحبكم تغسله الملائكة........................ عبدالله بن الزبير

إن للنبي سراً لا أخبر به أحداً أبداً........................ أنس بن مالك

إن من شر الناس عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي........................ أبو سعيد الخدري

إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة .... جابر بن عبدالله

إني رزقت حبها........................ عائشة

إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبى........................ عائشة

إني لأفعل ذلك، وأنا وهذه، ثم نغتسل........................ عائشة

فهـرس
الأحاديث النبوية

إنما كان هذا الحيّ من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا.............. عبدالله بن عباس

أوصاني خليلي ألا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد راكب........... سلمان الفارسي

أول ما بُدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة................... عائشة

أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاء؟.................. اسماعيل بن أبي حكيم (مرسل)

إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث............................. أبو هريرة

أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله.............. زيد بن أسلم (مرسل)

حرف الباء

البينة أو حدٌ في ظهرك................................. عبدالله بن عباس

حرف التاء

توفي رسول الله وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد........................ عائشة

حرف الجيم

جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثنا........................ عائشة

حرف الحاء

حضت وأنا مع النبي في الخميلة................................ أم سلمة

حرف الخاء

خدمت رسول الله عشر سنين. فما ضربني ضربةً.................. أنس بن مالك

خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك........................ عائشة

خرج رسول الله فصلى. ثم خطب، ثم أتى النساء فوعظهن...... عبدالله بن عباس

خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك....................................

حرف السين

سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله............................ أبو هريرة

حرف الشين

الشياع حرام............................... أبو سعيد الخدري

فهرس الأحاديث النبوية

حرف الصاد

صدق سلمان.. أبو جحيفة

صلاتان ما تركهما رسول الله في بيتي سراً ولا علانية.................. عائشة

حرف العين

عرضت علي الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة................ جابر بن عبدا لله

حرف الفاء

فاقبلوا رفقة من جرهم وأم إسماعيل عند الماء فقالوا:.......... عبدا لله بن عباس

فإن كان ذلك لم تحلي له حتى يذوقك عسيلتك........................ عائشة

فإني مسر إليك فاحفظيه. إني أشهدك أن.................................

حرف الكاف

كل أمتي معافىً إلا المجاهرون...................................... أبو هريرة

كيف كان يصنع رسول الله في الجنابة؟.............................. عائشة

كان سره وعلانيته سواء ثم ندمت!.................................. أم سلمة

كان النبي إذا أراد أن يباشر امرأة.......................... ميمونة بنت الحارث

كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم............ عمر بن الخطاب

كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي فيضع......................... عائشة

كنت أضع لرسول الله ثلاثة انية من الليل مخمرة..................... عائشة

كنت رجلاً مذاء فاستحييت أن أسأل رسول الله لمكان ابنته....... علي بن ابي طالب

حرف اللام

لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة.................................. عائشة

لعلك وجدت علي حين عرضت عليَ حفصة...................... عمر بن الخطاب

لقد مات رسول الله) وما شبع من.................................. عائشة

لو سترته بثوبك لكان خيراً لك...................................... هزال

لو كانت سورة واحدة لكفت الناس......................... أبو سعيد الخدري

لا تخبري عائشة بما كان مني وقد حرمتها عليَ............. الضحاك (مرسل)

لا حرج عليك أن تنفقي عليهم بالمعروف............................ عائشة

لا يجوز لامرأة هبة في مالها إذا ملك زوجها عصمتها ....عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

اللهم هالة بنت خويلد .... عائشة

فهــرس الأحاديث النبوية

حرف الميم

مرحباً بابنتي.. عائشة

المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس:.................. جابر بن عبدالله

المستشار مؤتمن.. أبو هريرة

ما أشبع من طعام فأشاء أن أبكي إلا بكيت.............. عائشة

ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا، ولكني أصلي وأنام و................ انس بن مالك

ما حديث بلغني عن عثمان؟.................. سعد بن أبي وقاص، عائشة

ما فعل كعب بن مالك؟....................................أبو موسى الأشعري

ما نظرت إلى فرج النبي قط.............................. عائشة

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت.............. أبو هريرة

حرف الهاء

هل منكم إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه..................... أبو هريرة

هنَ حولي كما ترى يسألنني النفقة...................... جابر بن عبدالله

حرف الواو

الولد للفراش..الولد للفراش

حرف الياء

يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثلاثة أهلَة في.............. عائشة

يا ابن أخي كان رسول الله لا يفضل بعضنا على بعض في.............. عائشة

يا بني اكتم سرَي تكن مؤمناً........................... أنس بن مالك

يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى.......................... عائشة

يا معشر من أمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه.............. أبو برزة الأسلمي

فهرس الأشعار

حرف الباء

وللسر مني موضعٌ لا يناله نديمٌ، ولا يُفضي إليه شرابُ

حرف الراء

إذا كان لي سرٌّ فحدثته العدا وضاق به صدري فللناس أعذرُ
وسركَ ما استودعته وكتمته وليس بسرك حين يفشو ويظهرُ
كريمٌ، يميت حتى كأنه عمَّ بنواحي أمرهِ وهو خابرُ
كتومٌ لأسرارِ الخليل أمينُها يرى أن بثَّ السر قاصمةُ الظَهرِ
أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ فتخاءُ تَنْفُرُ من صفير الصافرِ
هلاّ برزت إلى غزالةَ في الوغى أو قد كان قلبُكَ في جناحيْ طائرِ

حرف العين

أتانا رسولُ الله يتلو كتابهُ كما لاح مشهورٌ من الفجر ساطعُ
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبُنا به موقناتٌ أنَّ ما قال واقعُ
يبيت يُجافي جَنْبهُ عن فراشهِ إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجعُ

حرف الميم

لا يكتمُ السرَّ إلا مَنْ له شرفٌ والسرُّ عند كرام الناس مكتومُ
السرُّ عندي في بيتٍ له غلقٌ ضلّتْ مفاتيحه والبابُ مَرْدومُ
ولستُ مُحدِّثاً سرِّي خليلي ولا عرسي إذا خطرتْ هُمومُ
وأطوي السرَّ دون الناس إني لما استودعت من سرٍّ كتومُ

حرف الياء

وسرُّكَ ما كان عند امرئٍ وسرُّ الثلاثة غيرُ الخفي
فقالت وأرختْ السترَ، إنما معي. فتحدث غيرَ ذي رقْبةٍ أهلي
فقلتُ لها، ما بي لهم من ترقُّبٍ ولكن سري ليس يحمله مثلي

فهرس المراجع

- كتب التفاسير والقرآن وعلومه :

١- القرآن الكريم، كلام المولى عز وجل، طبعة : جمعية إحياء التراث الإسلامي، دولة الكويت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة : مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤م.

٣- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة : دار الكتب العلمية، مصر، ١٩٨٧م.

٤- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة : دار الشعب، مصر، ١٣٧٢هـ، الطبعة الثانية، بتحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني.

٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبعة : دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٦- زبدة التفسير في فتح القدير، لمحمد سليمان الأشقر، طبعة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ١٩٨٨م، الطبعة الثانية.

٧- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، طبعة : المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ.

-كتب السنة النبوية وشروحها

٨- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، لمحمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، طبعة : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، الطبعة الثانية.

٩- سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، طبعة : دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥٧م، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي.

١٠- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، طبعة : دار الفكر ودار الريان بالقاهرة، مصر، ١٩٨٩م، تحقيق وترقيم: محمد محي الدين عبدالحميد.

١١- سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، طبع : دار الحديث بالأزهر، القاهرة، مصر، ١٩٨٧م، تحقيق وترقيم: أحمد محمد شاكر.

فهرس المراجع

١٢- سنن الدارقطني، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، طبعة : دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م، تحقيق : السيد عبدالله هاشم يماني المدني.

١٣- سنن النسائي، للإمام الحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، طبعة : مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ١٤٠٦هـ، تحقيق وترقيم : عبد الفتاح أبو غدة.

١٤- سنن النسائي، للإمام الحافظ أبي عبدالرحمن النسائي، طبعة : دار الفكر، بيروت، لبنان، ودار الحديث، القاهرة، مصر، ١٩٨٧م.

١٥- السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، طبعة : دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، تحقيق وترقيم : محمد عبدالقادر عطا.

١٦- شرح صحيح البخاري، للإمام أبي الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطَّال، طبعة : مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، بعناية : ياسر بن إبراهيم.

١٧- شرح صحيح مسلم، للإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبع : دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ، الطبعة الثانية.

١٨- صحيح ابن حبان، للإمام الحافظ ابن حبان، طبع : مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الطبعة الثانية : بتحقيق : شعيب الأرناؤوط.

١٩- صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، طبع : دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ١٩٨٧م، تحقيق وترقيم : د. مصطفى البغا.

٢٠- صحيح مسلم، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري، طبع : دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥٤م، الطبعة الرابعة، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي.

٢١- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، طبع : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، الطبعة الثانية.

فهرس المراجع

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبع: دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ١٤٠٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي.

٢٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ عبدالرؤوف المناوي، طبع: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ، الطبعة الثانية.

٢٤- كشف مشكل الصحيحين، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، طبع: دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: د. مصطفى الذهبي.

٢٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، طبع: دار الفكر بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٦- المستدرك على الصحيحين، للحافظ الحاكم النيسابوري، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م - الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.

٢٧- المسند، للإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، طبع: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ.

٢٨- المسند، للإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٢٩- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، طبع: مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٣٠- المصنف، لأبي بكر عبدالرزاق الصنعاني، طبع: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٣١- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، لأبي المحاسن يوسف بن موسى الحنفي، نشر: عالم الكتب بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة.

٣٢- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بجمهورية العراق، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي.

٣٣- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، طبع: دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة الثانية، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي.

فهرس المراجع

- كتب اللغة العربية وآدابها وفنونها

٣٤- الأذكياء، للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، طبع: مكتبة الغزالي، بيروت.

٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، طبع: وزارة الإعلام بدولة الكويت، ١٩٧٣م، تحقيق: مصطفى حجازي.

٣٦- الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، طبع: دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، تحقيق: سمير جابر.

٣٧- ديوان الحماسة، وهو ما اختاره، أبو حاتم حبيب بن أوس الطائي من أشعار العرب، بشرح العلامة التبريزي، طبع: دار القلم، بيروت، لبنان.

٣٨- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، طبع: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا.

٣٩- العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي، طبع: دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦م، شرحه وضبطه وصححه: أحمد أمين / أحمد الزين / إبراهيم الأبياري.

٤٠- لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي، طبع: دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م، الطبعة الأولى.

٤١- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، طبع: دار المعرفة، ببيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

٤٢- المحاسن والأضداد، للجاحظ، طبع: دار إحياء العلوم، ببيروت، لبنان، ١٩٨٦م، الطبعة الأولى، تقديم ومراجعة: د. عاصم عيتاني.

٤٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، طبع: مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٤٤- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، طبع: دار الإرشاد، حمص، سوريا ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، الطبعة الأولى.

٤٥- مختار القاموس المحيط، للطاهر أحمد الزاوي، طبع: دار خدمات القرآن، دمشق، سوريا.

٤٦- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، طبع: دار المعرفة، بيروت، لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٤٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، طبع: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٣هـ، تحقيق: الطاهر الزاوي ومحمود الطناحي.

فهرس المراجع

- كتب الفقه التراثية

٤٨- إعانة الطالبين، للسيد البكري بن محمد شطا، طبع: دار الفكر، بيروت.

٤٩- البحر الرائق شرح كنزالدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد بن بكر الحنفي، طبع: دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة الثانية.

٥٠- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، طبع: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

٥١- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن رشد المشهور بابن رشد الحفيد، طبع: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٥٢- حاشية ابن عابدين (رد المحتار شرح الدر المختار)، لمحمد أمين بن عمر عابدين الدمشقي الحنفي، طبع: دار الفكر، بيروت، ١٣٨٦هـ، الطبعة الثانية.

٥٣- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمختصر خليل، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، طبع: دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد عليش.

٥٤- سبل السلام، للإمام الصنعاني، طبع: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ، الطبعة الرابعة، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخولي.

٥٥- الفروع، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٨هـ - الطبعة الأولى، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي.

٥٦- كشاف القناع عن متن الاقناع، لمنصور بن يوسف بن إدريس البهوتي، طبع: دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٧- المبسوط، لشمس الدين السرخسي الحنفي، طبع: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٨- المحلى، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، طبع: دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، تحقيق: لجنة إحياء التراث.

٥٩- المغني، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، طبع: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، - الطبعة الأولى.

٦٠- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشيخ محمد الخطيب الشربيني، طبع: دار الفكر، بيروت، لبنان.

فهرس المراجع

- كتب الفقه المعاصر

٦١- الأحوال والمعاملات في الفقه الإسلامي، راشد عبدالله الفرحان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م الطبعة الأولى، دولة الكويت.

٦٢- بحوث وفتاوى فقهية معاصرة، أ.د أحمد الحجي الكردي، طبع: دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م، الطبعة الأولى.

٦٣- فتاوى مصطفى الزرقا، اعتنى بها: محمد أحمد مكي، وقدم لها: د. يوسف القرضاوي، طبع: دار القلم، دمشق، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة الثانية.

٦٤- مع الناس مشورات وفتاوى، د. محمد سعيد رمضان البوطي، طبع: دار الفكر - دمشق، ودار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الطبعة الأولى.

- كتب القواعد والأصول الفقهية:

٦٥- الأشباه والنظائر، لزين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم الحنفي، طبع: دار الفكر، دمشق طبعة ١٩٨٦م مصورة عن طبعة عام ١٩٨٣م، تحقيق: د. محمد مطيع الحافظ.

٦٦- الأشباه والنظائر، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، الطبعة الاولى.

٦٧- المحصول في أصول الفقه، لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ١٤٠٠هـ، تحقيق: طه جابر فياض العلواني.

٦٨- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي، طبع دار المعرفة، بيروت، لبنان، تحقيق: عبدالله دراز.

- كتب أسرية واجتماعية

٦٩- الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، د. وهبة الزحيلي، طبع: دار الفكر المعاصر، بيروت ودار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.

٧٠- الإسلام وعلم الاجتماع العائلي، د. عبدالرؤوف عبدالعزيز الجرداوي، طبع ونشر، وزارة الاوقاف والشوون الإسلامية بدولة الكويت، ١٩٩٤، الطبعة الثانية.

فهرس المراجع

٧١- تحرير المرأة في عصر الرسالة. د. عبد الحليم أبو شقة. طبع: دار القلم. الكويت. ١٤١٦هـ - ١٩٩٥. الطبعة الرابعة.

٧٢- دعاوي الطلاق والطاعة للمسلمين وغير المسلمين. المستشار: فتحي حسن مصطفى الناشر: منشأة المعارف. الإسكندرية ،مصر. ١٩٩١م. الطبعة الثانية.

٧٣- سيكولوجية الأسرة الوالدية. د. إبراهيم الخليفي. ود. بشير الرشيدي. دولة الكويت.

٧٤- الطريق إلى بناء الأسرة المسلمة . موسى الأسود. نشر: مكتبة المعلا. الكويت. ودار البيان. الكويت. ١٤٢٢هـ -١٩٩٢ الطبعة الأولى.

٧٥- قوانين الأسرة بين عجز النساء وضعف العلماء. أ. سالم البهنساوي. طبع: دار القلم. الكويت. ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

٧٦- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني. د. محمد سعيد رمضان البوطي طبع: دار الفكر دمشق. ودار الفكر المعاصر بيروت. ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م الطبعة الأولى.

٧٧- المرأة في الفقه الإسلامي د. أحمد حجي الكردي. مطبعة الصباح. حلب. ١٤٠٤هـ .١٩٨٤الطبعة الأولى.

- كتب التراجم والتاريخ والموسوعات

٧٨- سير أعلام النبلاء. للحافظ الذهبي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤١٣هـ. تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد نعيم العرقسوسي.

٧٩- السيرة النبوية. ابن هشام المعافري المشهور بـ (سيرة ابن هشام). دار القلم. بيروت. ١٤١٢هـ.

٨٠- موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة. د. روحي بعلبكي. : دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ١٩٩٩م. الطبعة الثانية.

٨١- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم. إعداد مجموعة من المختصين بإشراف د. صالح بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي وعبدالرحمن الملوح مؤسس دار الوسيلة للنشر والتوزيع طبع: دار الوسيلة. السعودية. ١٤١٩ / ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩ / ٢٠٠٠م. الطبعة الثانية.

٨٢- الموسوعة الفقهية. إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت الطبعة الأولى.

فهرس المراجع

- كتب عامة وأخلاقية

٨٣- أدب الدنيا والدين. لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي. طبع: دار إحياء العلوم بيروت. ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م. الطبعة الأولى. تحقيق: أ. مصطفى السقا.

٨٤- ألف جواب وجواب حول الجنس والحب والجمال. محمود مهدي أستانبولي. طبع الشركة المتحدة. دمشق. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م الطبعة الأولى.

٨٥- إحياء علوم الدين. لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي. طبع: دار المعرفة. بيروت.

٨٦- إليك أيتها الفتاة المسلمة. منير محمد الغضبان. طبع: مكتبة المنار. الأردن. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م الطبعة الثانية.

٨٧- خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة. إعداد: قطب عبدالحميد قطب. مراجعة: د. محمد عاشور. طبع: دار الاعتصام. القاهرة. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٨- دموع القراء. محمد شومان الرملي. طبع: دار النفائس. الأردن. الطبعة الأولى.

٨٩- الذريعة إلى مكارم الشريعة. الراغب الأصفهاني. طبع: دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ١٩٨٠م الطبعة الأولى.

٩٠- الزواجر عن اقتراف الكبائر. لابن حجر المكي الهيثمي. طبع: دار المعرفة. بيروت. لبنان. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٩١- الطبيب المسلم وأخلاقيات المهنة. د. هشام إبراهيم الخطيب ود. عماد ابراهيم الخطيب ود. عبدالقادر العكايلة. طبع: دار اليازوري العلمية ،عمان. الأردن. ١٩٩١م الطبعة الأولى.

٩٢- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب. الإسفراييني الحنبلي. في مكة المكرمة ١٣٩٢هـ.

٩٣- فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء. لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي. مكتب المنار الزرقاء. الأردن. ١٩٨٥م. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد شكور بن محمود الحاجي الميادنيني.

٩٤- كيف نفهم الجنس الآخر؟ تأليف: إيفات كريستيان. ترجمة محمد خالد. نشر: دار الحرية. القاهرة.

فهرس المراجع

- مواقع إلكترونية على شبكة الإنترنت

٩٥- موقع جريدة (الرياض) السعودية http//servr.1alriyadh.com.sa

٩٦- شبكة (إسلام ست)، http//islamset.com

٩٧ -شبكة (مفكرة الإسلام)، www.islammemo.com

٩٨- موقع (لحواء)، www.balagh.com/woman/heih

٩٩ -شبكة (لها أون لاين)، www.lahaonline.com/famliy/her

١٠٠- موقع، www.rezgar.com/debat

١٠١- شبكة (إسلام أون لاين) www.Islamonline.net

١٠٢-موقع ، www.angelfire,com

١٠٣- موقع جريدة (البيان) الإماراتية، www.albayan.co.ae

١٠٤-شبكة (أخبار اليوم)، www.akhbarelyom.org.eg

١٠٥- شبكة (نزوى)، www.nizwa.com

١٠٦-موقع شبكة (الاتجاه الاخر) www.alitij jahalakhar.com

١٠٧- شبكة (إسلام ويب) www.islam web.net

١٠٨- موقع شبكة (أمان)، www.amangorden.org

- مجلات أسرية وتربوية إسلامية

١٠٩- مجلة (الفرحة) الأسرية. مجلة زوجية اجتماعية شهرية. رئيس مجلس الإدارة أ. جاسم المطوع، رئيسة التحرير. أسماء خالد الرويشد، دولة الكويت.

١١٠- مجلة (ولدي) التربوية، مجلة أسرية تربوية شهرية . رئيس مجلس الإدارة أ. جاسم محمد المطوع، رئيس التحرير د. محمد الثويني، دولة الكويت.

١١١- مجلة (النور) الأسرية، مجلة اجتماعية تربوية شهرية، صادرة عن بيت التمويل الكويتي بدولة الكويت. رئيس التحرير: محمد رشيد العويد.

١١٢- مجلة (الوعي الإسلامي) مجلة إسلامية جامعة، رئيس التحرير: جاسم محمد مطر شهاب، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

من إصداراتنا
ابتسامات نبوية
سلسلة مهارات التعامل مع أبنائك وبناتك
كيف ؟؟
كيف ؟؟
كيف ؟؟
كيف تكتب وتروي قصة
كيف ؟؟
كيف ؟؟
كيف ؟؟
أقوي شخصية ابني
كيف ؟؟
كيف ؟؟
كيف ؟؟

من إصداراتنا
سلسلة غرفة النوم
غرفة النوم
المشاكل الزوجية
العين والحسد
زوجات النبي
تحجبي يا ابنتي

دار اقرأ

للنشر والتوزيع

دار اقرأ الدولية

الأسرار الزوجية

الأسرار الزوجية

الأسرار الزوجية

جاسم محمد المطوع

- قاضي الأحوال الشخصية بدولة الكويت سابقاً .
- مؤسس ورئيس لجنة مصابيح الهدى الخيرية .
- مؤسس ورئيس مجلس إدارة مجلتي الفرحة وولدي .
- رئيس فريق عمل قانون صلة الأرحام وفريق عمل المؤسسة الإعلامية للتنمية الاجتماعية باللجنة الاستشارية العليا بالديوان الأميري بدولة الكويت .
- رئيس مجلس إدارة بيت السعادة الوقفي وعضو بصندوق الأسرة التابع للأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت
- معد ومقدم برنامج "البيوت السعيدة" وبرنامج "حوار بلا أسوار" في قناة ART الفضائية.
- معد ومقدم برنامج "بيوت الأنبياء" وبرنامج "بيوت النبي محمد " في قناة ART الفضائية .
- مؤسس ورئيس فريق مسابقة "الأسرة العربية المثالية" مع حكومة دوبي .

في هذا الكتاب

- متى يكون السر الزوجي أو العائلي سراً؟ ومتى يمكن كشفه؟ ولمن يكشف؟
- ما هي أنواع الأسرار العائلية؟ وكيف نتعامل مع كل نوع؟ وما آثار كشف الأسرار؟
- ما هي الأسرار التي يجب على الزوجين معرفتها عن الآخر؟ والأسرار التي لا ينبغي لأحد الزوجين أن يكشفها للآخر؟
- كيف يتعامل الزوجان مع الأسرار المالية أو الصحية أو الاجتماعية أو الجنسية؟
- هل الزوجان مُلزمان بكشف ماضيهما لبعضهما البعض؟ وما الموقف لو سأل أحدهما الآخر عن الماضي؟
- ما هي الأسرار الزوجية التي يجب كشفها للأبناء والأسرار التي لا ينبغي كشفها لهم؟
- ما مدى تدخل الأهل أو الأصدقاء في العلاقة الزوجية وكشف الأسرار لهم؟
- ما أثر إخفاء أحد الوالدين أسرار الأبناء عن الآخر؟ وكيف نربي أبناءنا على حفظ الأسرار؟
- كيف تناول القرآن الكريم والسنة النبوية موضوع الأسرار العائلية؟
- هل كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - أسرار مع زوجاته؟ وما هي الأسرار التي كشفتها زوجاته؟
- هل تحفظ المرأة الأسرار؟ وكيف عامل الإسلام المرأة بذلك؟
- ما موقف قوانين الأحوال الشخصية من الأسرار العائلية؟
- متى يكون كشف السر العائلي إيجابياً؟

هذا وغيره الكثير والكثير عن الأسرار الزوجية ستجدها في هذا الكتاب

دار اقرأ للنشر والتوزيع

الكويت - حولي - شارع المثنى - بجوار المكتبات الإسلامية .
ص.ب ١٩٣٧ حولي - الرمز البريدي ٣٢٠٢٠ - هاتف ٢٦٥٥٣٤٠ - ٢٦٥٥٣٥٠ فاكس ٢٦٥٥٣٥٠
القاهرة - مدينة نصر خلف أرض المعارض عمارات إمتداد رمسيس ٢ رقم ١٦٨ شقة ٢
ت: ٢٠٢/٢٦٢٠٥٦٣ ف: ٢٠٢/٢٦٢٠٥٦٣ محمول: ٠١٠/١٥٣٢٧٢٦ - ٠١٠/١٥٣٢٧٦٧
email: dariqraa@yahoo.com / email: dariqraa@hotmail.com / www.dar_iqraa.tk